

ISSN 2394-6628

March 2018

مجلة التلميذ

مجلة عربية أدبية شهرية

الرئيس العام
الدكتور أصغر حسن سامون
رئيس التحرير
الدكتور مঞ্জول الدين النذوي

تصدر عن وزارة التعليم العالي جامو وكشمير
Jammu & Kashmir Higher Education Department



The First Monthly International Arabic Journal in J&K Since 2011
March 2018 Vol. 01 Issue: 03

AL- TILMEEZ

الرسالة من الرئيس العام



إنما العلم والأدب من أهم الأمور الرائعة التي تتسبب في إيجاد السعادة والنور للبشر، فكلما تقدم العلم تحسنت أوضاع الناس الصحية، والاقتصادية، والتعليمية، وغيرها، هذا عدا ما يحدثه العلم في نفس الإنسان من ثقة بالنفس وتقوية للمهارات المختلفة، فالعلم هو نبراس التقدم، واجبنا نحو العلم.

تشجيع الناس على التعلم، وتحبيب العلم إليهم، ويكون ذلك من خلال المؤسسات المعنية، والأسرة الأدبية والأدباء، والمدرسة، وقادة الرأي، والنخب المجتمعية، وغيرهم من الحريصين على إحداث نهضة علمية وأدبية وثقافية، وفتح المنابر العلمية المختصة بصورة المجلات العلمية والأدبية والثقافية خاصة، واحترام كل ما يصدر عنها من بحوث، ودراسات، ومنشورات، ونتائج، فمثل هذه الخدمات هي النواة الحقيقية للتطور والارتقاء، ونشر المواد العلمية بطرق جذابة، ومسليّة، والابتعاد عن تقديمها للمتعلمين بالطرق الجامدة التقليدية التي تنفرهم منها، وتتسبب لهم بحالة من الملل.

فنحن نعتقد بأن هذه المجلة العلمية المحكمة (مجلة التلميذ) تفيد العلم والأدب والعلماء وغيرهم من العلماء في أي واحد إن شاء الله.

الرئيس العام
الدكتور أصغر حسن سامون
(IAS)

Printed & Published by:
Jammu & Kashmir
Higher Education Department
at Govt. Press

+91-9622169299, 9469000117
www.tilmeezjournal.com
e-mail: editor@tilmeezjournal.com
asgarsamoon@gmail.com

بذرة آتت أكلها !

بذرة صغيرة الحجم تحتاج في بداية زرعها الى مكان لا يبالي به ولا يكثرث فاذا اختلطت بالثرى و مكثت تحت الأرض لبضعة أيام يطلع نبتة الناعم الغض الطري وينجم نجما نجما ويقوم على ساقه ثم يتعرعر وينمو ويقاسي الحرارة في النهار ويواجه البرودة بالليل ويعاني العوائق والمعاطب في نشئها حتى تسمي شجرة وارفة الأغصان يستظل بها المارة ويستفيد صاحبها وغير ذويها من ثمارها وأوراقها و حطبها وما تحوي من الأوكسوجين والاحضرار وكلما ترسخ جذورها في أعماق الأرض وتشمخ أفنانها الى السماء تأتي بأكل أكثر فأكثر وما أحسن قول الله عز وجل:

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ. (سورة إبراهيم الآية: 24-27)

كذلك الفكرة تنمو صغيرة تدفؤها الخيال وتغذيها الدماغ فتتطور فتارة تبرد وتارة تسخن ،تارة تدجوو تارة تنجلي حتى تستقر في قرار مكين ثم تنضج في المخ والدماغ ويأخذ صاحب هذه الفكرة يعمل طبق فكره خارج دماغه في واقع الحياة.

لعلي طولت الكلام ولم أكن أريد إلا ان اكتب عن فكرة اصدار "مجلة التلميذ" في أرض لم تكن تعرف التلمذة من قبل في أرض عرفت في التاريخ أنها تذلل العلم وتهينه اذ ألجأت العلامة أنور شاه الكشميري ومير الواعظ يوسف شاه الى الفرار منها لجهلها الفكري وسقمها الذهني ومرضها القلبي الإعتقادي.

يرجع تاريخها الى سنة ٢٠١١م اذ نشأت فكرة الاسهام في نشر الدين ولغة الضاد في قلب أخت في الاسلام المستضيئ في الأرض التي وصفتها لكم ثم نمت الفكرة وترسخت وأمعنت في المنطلقات والمراكز حتى تجمّع رأبها على اصدار مجلة عربية تكون صلة بين العجم والعرب بما لها ميدان فسيح رحب وذلك بعد أن استشارت فيها صديق سفرها في الحياة وبعلمها. فالأخت ميمونة مسعودة لانها وجدت رفيقا ميمونا سعيدا لا ريب أنهما واجها مشاكل مالية ولكنهما تبسما أمامها فاستحيت المشاكل وتندمت امامهما وتولت هاربا.

ألا..... لا تسرع في سؤال من هي الأخت ومن رفيق سفرها فهما ليسا الا الدكتورومعراج الدين الندوي وحليلته الدكتورة نور أفشان.

والآن ها هي ذي المجلة التي أمست خفقان القلوب تخفق لها وتنتظرو وقت زورتها في مستهل كل شهرو وجدت مكانها في قسم التعليم العالي لدولة جامو وكشميرو جعلتها محل رعايتها .
والحمد لله وله المنة.

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

رئيس قسم اللغة العربية كلية أمرسنج الحكومية

وزارة التعليم العالي جامو وكشمير



**Government of Jammu & Kashmir
Higher Education Department**

Advisory Board

الهيئة الاستشارية

رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور محمد صلاح الدين العمري
عميد كلية الآداب سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور كفيل أحمد القاسمي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور صلاح الدين تاك
رئيس قسم العربية سابقا بجامعة عليكرة الإسلامية	البروفيسور مسعود أنور علوي
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر كشمير	البروفيسور منظور أحمد خان
الأستاذ المساعد بقسم علم اللاموت السني عليكرة	الدكتور ربحان اختر القاسمي
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة سرينجر كشمير	البروفيسور عبدالرحمن واني
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور شاد حسين
رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المليية الإسلامية	البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي
جامعة اللغة الانجليزية و اللغات الأجنبية بحيدرآباد	البروفيسور السيد جهانكير
رئيس قسم اللغة العربية سابقا بجامعة كشمير سرينجر	البروفيسور بيرزاده بشير أحمد
رئيس معهد اللغة العربية بصورة سرينجر، كشمير	البروفيسور عبد الرحمن وار
الأستاذ المشارك بقسم العربية بجامعة عليكرة الإسلامية	الدكتور محمد يوسف خان
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير	الدكتور طارق أحمد أهنكر
الأستاذة المشاركة بقسم العربية بجامعة عليكرة الإسلامية	الدكتورة تسنيم كوثر
المدير العام لشبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات بالمغرب	د. زكرياء السرتي المغربي
الباحث و الأكاديمي بالدوحة قطر	د. قاضي عبدالرشيد الندوي
رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه	الدكتور شمس كمال أنجم
المحاضر بالجامعة السعودية الإلكترونية	د. تيسير محمد أحمد الزيادات

مجلة التلميز

مجلة عربية أدبية شهرية تصدر
عن وزارة التعليم العالي جامو وكشمير

مجلس التحرير

Editorial Board

الرئيس العام

الدكتور أصغر حسن سامون
(IAS)

نائب الرئيس العام

البروفيسور يسين أحمد شاه

مدير التحرير

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

مساعده

الدكتورة تسمية محي

الدكتور عناية الله واني الندوي

الدكتور فاروق أحمد مير القاسمي

الدكتورة نورأفشان

الدكتور محمد ربحان الندوي

محتويات العدد

03	رئيس التحرير	الأهمية العالمية للغة العربية ومسؤوليتنا
07	البروفيسور يسن أحمد شاه	سمات الغزل في العصر الأموي و آفاقه
22	البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي	مولانا محمد يوسف شاه مير واعظ كشمير
41	د. عناية الله واني الندوي	الولايات المتحدة بمنظار سيد قطب رحمه الله
49	البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي	استخدام الوسائل الحديثة في تدريس اللغة العربية
54	عبدالرشيد فاتح القاسمي	المقارنة بين أبي العتاهية والشيخ نور الدين ولي....
66	الدكتور محمد إرشاد الحق	تقنيات قصصية معاصرة في القصص القرآني....
73	ياسر عرفات بيك الندوي	أدب الأطفال في ضوء مؤلفات الشيخ الندوي...
82	گلزار احمد بال	نظرات الشيخ علي الطنطاوي
92	رفعت آرا	مجلة البعث الإسلامي ودورها.....
99	الدكتور معراج الدين الندوي	حياة مصطفى صادق الرافعي الأدبية
105	الدكتورة عقيلة	أحمد أمين ومساهمته في الأدب العربي
119	الدكتورة تسمية محي	الشيخ أحمد سرهندي (مجدد ألف ثاني)
122	الدكتورة نور أفشار	المرأة تحت مظلة الإسلام
134	دكتور رياض أحمد الندوي	مساهمة شعراء المهجر في المديح النبوي

الأهمية العالمية للغة العربية

الافتتاحية:

رئيس التحرير:

إن أهمية اللغة العربية لا يمكن الاستهانة بها في العالم المعاصر. وهذه هي اللغة الرسمية في 22 بلداً، وهناك حوالي 300 مليون ناطق باللغة العربية في جميع أنحاء العالم وأصقاعه. ومعظم الناطقين باللغة العربية في الشرق الأوسط. ويقدرها المسلمون في جميع أنحاء العالم، لأنها لغة القرآن الكريم، وهي من أقدم لغات العالم لا تزال موجودة حتى الآن.

وقد اكتسبت اللغة العربية أهمية كبيرة بسبب انتشار الإسلام في القرنين السابع والثامن. خلال هذه الفترة اتصلت العربية باللغات الأوروبية. على الرغم من حدوث تغيرات طفيفة في اللغة العربية خلال القرن الماضي، فقد تم صقلها مع كلمات جديدة والمصطلحات التكنولوجية خلال القرن الماضي أيضاً.

وقد كُتِبَ في الصفحات الذهبية من التاريخ أن العرب قد ساهموا كثيراً في النهوض بالعلوم والطب والفلسفة. وتم الحفاظ على المعرفة القيمة للثقافات اليونانية والرومانية والبيزنطية للعالم من خلال المكتبات العربية. كما قدم العرب مساهمات كبيرة في الأدب والرياضيات والملاحة والتنجيم والهندسة المعمارية.

في العالم المعاصر اليوم، تعتبر اللغة العربية في غاية الأهمية نظراً للأهمية الاقتصادية للبلدان العربية المنتجة للنفط في السيناريو العالمي. تعلم اللغة العربية يمكن أن تفتح أبواب العمل في صناعة النفط والسفر ويمكن أن تساعدنا في العثور على مهنة في مجالات متنوعة مثل الصحافة والأعمال والصناعة والتعليم والمالية والمصرفية والترجمة التحريرية والترجمة الشفوية والاستشارات والخدمة الخارجية والاستخبارات الخ.

ومن المعلوم أنه تزايدت أهمية الشرق الأوسط في الشؤون الدولية وهناك نقص في بعض الناس الذين هم على دراية جيدة في اللغة والثقافة العربية في الغرب. وبصرف النظر عن هذا، فإن العديد من الفرص التجارية المتاحة في العالم العربي نتجت لتوسع الأسواق، ولا شك أن هناك فوائد مادية كثيرة تعود على دراسة اللغة العربية حتى يمكن للإنسان أن يصبح رجل

أعمال دولي موجه نحو السوق العربية المتنامية. وقد لعبت اللغة العربية دوراً هاماً في تشكيل المستقبل الإسلامي في عالم العولمة وصراع الحضارات.

الاهتمام العالمي باللغة العربية:

الاهتمام العالمي باللغة العربية بدأ يظهر منذ منتصف القرن العشرين للميلاد، وتحديداً في عام 1948م عندما قررت منظمة اليونسكو اعتماد اللغة العربية كالثالث لغة رسمية لها بعد اللغتين الإنجليزيتين والفرنسيّة، وفي عام 1960م تم الاعتراف رسمياً بدور اللغة العربية في جعل المنشورات العالمية أكثر تأثيراً، وفي عام 1974م عُقد المؤتمر الأول لليونسكو في اللغة العربية بناءً على مجموعة من الاقتراحات التي تبنتها العديد من الدول العربية، وأدى ذلك إلى اعتماد اللغة العربية كأحدى اللغات العالمية التي تُستخدم في المؤتمرات الدولية.

قال المستشرق الألماني يوهان فك:

"إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ العربية بهذا المقام العتيق من حيث هي لغة المدنية الإسلامية .

وقال مؤرخ أمريكي "غوستاف جرونوبوم" (Gustave Edmund von Grunebaum):

"عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أنزلها قرآناً عربياً، والله يقول لنبيه : ﴿ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا هِلْسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم: 97]، وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أمّا السعة فالأمر فيها واضح، ومن يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويُضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتزين الدقة ووجازة التعبير

لغة العرب، وتمتازُ العربيةُ بما ليس له ضرب من اليسر في استعمالِ المجاز، وإن ما بها من كُنَيَاتٍ ومجازاتٍ واستعاراتٍ ليرفعها كثيراً فوق كلِّ لغة بشرية أخرى، وللغة خصائصُ جمّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أيِّ لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي الثقل إليها، يبين ذلك أن الصورة العربية لأيِّ مثلٍ أجنبيٍّ أقصر في جميع الحالات.¹

وقال المستشرق الألماني "أوجست فيشر" (August Fischer) (German orientalist) وهو يتكلّم عن

العرب والمعاجم :-

"وإذا استثنينا الصّين، فلا يوجد شعبٌ آخرٌ يحقُّ له الفخارُ بوفرة كتب علوم لغته، وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها، بحسب أصول وقواعد غير العرب"²
وقال "فيلا سبازا":

"اللغة العربية من أغنى لغات العالم، بل هي أرقى من لغات أوروبا؛ لتضمّنها كلّ أدوات التعبير في أصولها، في حين أنّ الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدّرت من لغات ميتة، ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دماغها ما تحتاجُ إليه"³

ولقد قام أفاضل كشمير بإصدار مجلة عربية بعنوان "مجلة التلميذ" التي كانت تصدر أولاً تحت إشراف الأستاذ محمد صلاح الدين العمري منذ 2011م، والآن قام الأمين العام للتعليم العالي الدكتور أصغر حسن سامون بإشرافها.

فإن الخطوة هذه تجاه إصدار المجلة العربية تبشرنا بمستقبل أدبي زاهر - إن شاء الله - وبالمناسبة نأمل لو نال هذا المشروع الميمون نجاحاً ملحوظاً ليكون ذلك فاتح عهد جديد في تاريخ الصحافة العربية في "جامو وكشمير". وكانت المجلة تتناول منذ صدورها أبرز المستجدات العربية والعالمية في كل مناحي الحياة الأدبية، شارك ويشارك في كتابة مقالاتها أبرز الأدباء والعلماء والمفكرين من أصقاع العالم العلمي والأدبي.

منذ صدورها قبل سبعة أعوام (2011) وحتى اليوم، شكلت "مجلة التلميذ" رمزاً عربياً أدبياً

¹ الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي ص 301

² مقدمة المعجم اللغوي التاريخي: أوجست فيشر، ص 4، الطبعة الأولى 1967 بالقاهرة
³ <http://diwanalarab.com/spip.php?article27382> "لغتنا هويتنا": لرامز مجي الدين علي، المصدر:

ثقافياً متميزاً، فقد نجحت في طرح صيغة جديدة لمعنى المجلة الثقافية و الأدبية. كما أنها لم تتوقف عن الصدور منذ تأسيسها. وشهدت المجلة منذ صدورها تحديثات مستمرة في الموضوعات والأبواب بإضافة أبواب جديدة بحسب التطور العلمي. واليوم تأتي "مجلة التلميز" في إصدار جديدة تحت رعاية مجلس التعليم العالي جامو وكشمير وسيندرج تحتها عدد من الأبواب الأدبية المختلفة ان شاء الله.

فالحاجة ماسة إلى بذل جهود مركزة لترقية اللغة العربية وتنميتها في جامو وكشمير ، فنحن نرجو منأمينسرو وزارة التعليم العالي الدكتور أصغر حسن سامون خاصة و جميعاً أعضاء المجلة و الأدباء و الكتاب و الباحثين المساعدة العلمية والأدبية وإرسال مقالاتهم الشيقة والانجازات الأدبية .

فعلينا جميعاً أن نعرف أهمية اللغة العربية ومكانتها، وأنه لا غنى للمسلمين عنها، كما يجب أن يعتز بها لا بغيرها من اللغات كما هو الحال عند بعض المسلمين مع الأسف، وعلينا أن نعلم أن اللغة بحر لا تكفي السباحة فيه، بل أن نغوص في مكنونه، ونستخرج منه المعاني الجميلة والبديعة للعالم المعاصر ونصنعها ونلبسها لباساً جذاباً.

أقول هذا سائلاً الله سبحانه وتعالى - أن يردنا إلى اللغة العربية رداً جميلاً، وأن يزيدنا علماً بها، والله عز وجل أعلم. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سمات الغزل في العصر الأموي و آفاقه

(الإباحي و العذري)

البروفيسور يسين أحمد شاه¹

تعود الأدب العربي في بناء القصيدة أن تبدأ بذكر الحب والحنين ولا يعرف أحد ذلك الفنان المجهول الذي خلق وأسس هذه العادة والعرف النبيل. وهذه القصائد التي تضم عشرات من الأشعار من المدح والهجاء والفخر، كانت مبدوءة بهذا الأسلوب المفترض السالف الذكر على السواء، وهذا يعني أن شاعراً كان يمر بالديار العتيقة فيذكر هناك أنه كان يزور حبيبته في هذا المكان ويتمتع بوجودها ولقاءها، فيكثر في البكاء ويلتمس من زملائه أن يشاركوه فيه ثم يشرع في الثناء على حبيبته ويذكر ما تحمله من الجمال والهاء جسداً، من حيث لا يترك شيئاً من جسمها إلا ويحمده ويثنى عليه، تتكون بداية كل قصيدة - كما ذكرناه من قبل - بمثل هذه الأشعار التي أصبحت بذرة أولى للغزل في الأدب العربي، رغم أنها لم تسم آنذاك غزلاً صراحة بل كانت تندرج صنفاً تحت أصناف النسيب والتشبيب (Amatory prelude). مع ذلك أن هذه الأشعار تحمل في طيها جميع العناصر التي تتحتم لنموذج من الشعر أن يدخل في صنف الغزل.

وعلى قدر العموم أنها ما كانت تتصل بعواطف الشاعر الودية مباشرة، وكذلك هذه العواطف الحبية المتولدة من خلال هذه الأشعار كانت تافهة وفارغة من الحقيقة والصواب². فنظراً إلى ما قاله ابن قتيبة أن هذه الأشعار البدائية في القصائد هي الشكل الأول للغزل في الأدب العربي، رغم أنه سماها نسيباً.

"وسمعت بعض أهل العلم يقول أن مقصد القصيدة ابتداءً فيها بذكر الديار والدمن (آثار الناس) فشكا وبكى وذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق وأمال وجد والفراق وفرط الصبا³".

معاني الغزل وحدود الغزل العربي المحددة:

تناول العرب شخصية المرأة كروح الغزل وخياله البنائي، وأما الغزل فيستخدم في معاني عديدة

¹ المسجل بالجامعة العنقودية سرينجر كشمير
² تاريخ الشعوب الإسلامية ، لـ كارل بروكلمان ص 29
³ طبقات الشعر و الشعراء لـ ابن قتيبة ص 6-7

باللغة العربية كالحب للمرأة أو الكلام عنها، و الف النساء والتخلق بما يوافقهن"¹. وقال أبو الهلال العسكري معترفا بأن البدائيات والعناصر للغزل هي الحب والعشق و لواذع الهوى، واستطرد قائلا: وينبغي أن يكون التشبيب دالا على شدة الصبابة وافراط الوجد والتهالك في الصبوة ويكون برّيا من دلائل الخشونة والجلادة، وأمارات الإباء والعزّة"².

ازداد الغزل الأردّي في العصر الحديث عمقا وسعة إلى حد كبير، فتبدل التعريف الكلاسيكي القديم للغزل وهو "الكلام عن النساء والعشق معهن" من حيث أن الشاعر اليوم يستطيع أن يأتي في الغزل بكل ما يريد من المعاني والأحاسيس، بل الشاعر الأردّي يُدخل في غزله في الأيام الراهنة تجاربها الذاتية وأهوائه وعقائده وعواطفه حتى يضم فيه أفكار الحكمة والفلسفة مع كل من الحب واللقاء والوداع بالنسبة إلى حبيبته كما أصبح الشعر الآتي لـ "ساحر لدهيانوي" تعريفا صحيحا للغزل اليوم.

دنیا نے تجربات وحوادث کی شکل میں

جو کچھ دیا ہے مجھے لوٹا رہا ہوں میں

الترجمة: "أدفع كل ما جادتنني به الدنيا من الحوادث والتجارب".

ولكن الشعر المذكور آنفا لا ينطبق على الغزل العربي تماما لأن العرب استخدموا الغزل كما استخدم اسلافهم النسيب والتشبيب في العصر الجاهلي، ولذا أن الشاعر العربي لا يذكر في غزله الا ما ورد عليه من أحوال الحب والحنين والحرق والشجن.

يقول الناقد المعاصر محمّد سامي الدهان:

إن الغزل العربي له موضوع ومعنى خاص به حتى اليوم وهو "رضاء المرأة" الغزل ألصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة لأن المرأة نصف الرجل وتتمام عيشه وحياته وهي مبعث الرضاء والغضب لأنها مظهر الجمال الحي في دنياه ... منذ دبت الحياة البشرية على الأرض سعى الرجل إلى رضاء المرأة في أساليب شتى، الأصوات والآلات والأقوال، والرجل في هذا كله فنّان يسعى إلى قلب المرأة، فهو

¹ العمدة، لابن الرشيقي ص94

² كتاب الصناعتين، لـ أبي هلال العسكري

بذلك (بالفن) يتحدث عنها ويتحدث إليها وحديثه هو الغزل¹.

هكذا يثبت أن الغزل حسب أسلوب العرب هو التخطيط الفني للكلمات المستعملة فيه، وبذلك يسترضى الشاعر حبيبته وشريك حياته، ودار كل من النسيب والتشبيب والغزل حول المرأة في كل عصر ومصر. وأحلت المرأة مكانة الروح في الغزل وشأنه وُبُحْبُوحَتَهُ دائماً، ويرى عند إمعان النظر في أن عمر بن أبي ربيعة وامرؤ القيس وجميل بثينة وحتى قيس وما إلى ذلك من الشعراء لم تملك قلوبهم إلا هذه المرأة وما زالت ولا تزال مصدراً ومنبعاً لما قرضوه من الشعر والحكمة²⁷. واتفق بالاجماع معاجم اللغة العربية على معنى الغزل والتعريف به، وهو الكلام عن النساء والثناء على حسنهن وجمالهن والحب والتمتع بهن².

وهنا يبرز خيال وسؤال عن العواطف الحبية للمرأة لأن لها حقاً سواء على الحب والهوى والتحميد بالنسبة للرجل على ما يتجمل به من الجمال والمروءة والشجاعة؟ وبمعنى آخر هل لها حق على بيان الغزل وقرضه؟ فلا شك في ذلك ولا مِرْيَةَ أن لها حقاً فيه سواء مثلما يستحقه الرجل. فنظراً إلى ذلك أن الغزل هو اسم آخر للتعبير عما يدور في قلوب الرجال والنساء معاً من العواطف الحبية.

ومع ذلك أن الأدب العربي لا يسع إلا عدداً قليلاً من النساء اللاتي قرضن الغزل وتقدّمن في هذا المجال، وهذا لأن الحياء والعفاف يحولان بينهن وبين غزلهن. "ويظهر أن قلة الغزل الصادر عن المرأة في الشعر العربي راجعة إلى خجلها قديماً فكتمت حبها في نفسها حتى مات معها"³. وعلى هذا فإن الشعر الغزل لا يحتوي إلا على الحب والهوى وذكر المرأة وحسنها، بناءً على هذه الخلفية الواقعية يثبت أن الغزل العربي هو أقرب إلى الشعر الإنكليزي وهو الشعر الودي/ الشعر الحبي (love lyric/ lyrical poetry) من الغزل الجديد باللغة الأردية.

وعندما نلقي نظرة عابرة على ما قدمه الشعراء العرب من الشعر الغزل في العصر الجديد ومنهم جميل صدقي الزهاوي وبشار الخوري وأبو القاسم الشابي، ومحمود حسن إسماعيل والياس أبو شبكة وما إلى ذلك، فيمكن لنا القول بأن المرأة حتى اليوم لم تتخلص ولم تنفصل من أكناف الغزل العربي، بل هي تملكه قلباً وقالبا على مر العصور والدهور، وتشكو ذلك الأدبية العربية المعاصرة إلى شعراء الغزل

¹ فنون الأدب العربي لـ محمد سامي الدهان ج 1 ص 5-7

² المنجد، لـ لوئيس معلوف

³ الأسلوب لـ أحمد الشائب

العربي بالكلمات التالية:

"فإن الغزل لا يعنينا نحن معشر النساء ما دام لا يقرر حقا ولا يدفع باطلاً. لقد
شبعنا غزلاً يتغنى بنجل العيون ولَمى الشفاه، وبرد الرضاب وليلالشعور وضمور
الخصور وشموخ الصدور ولا أنكر أنه يطرب حواء ولكنه بعد التطريب والتحبيب
لا يكسبها حقا، ولا يرتفع بها عن الدمي إلى مقام الرجل الشرقي بما وقر له في
نفوس قومنا من احترام وما له من هيل وهيلمان"¹.

نوعا الغزل الكبيران :

وللغزل نوعان كالحب، الأول أفلاطوني والثاني مادي، وتسمى العقيدة الأفلاطونية للحب "الحب
العذري" أو "الحب العفيف" أو الحب الأفلاطوني والنوع المادي للحب يشتهر "بالحب المفحش أو "الحب
المحقق". عندما يزاوّل الشاعر العقيدة العذرية فيستطرق طريقة "أفلاطونية" إلى بيان الغزل
(Platonic). وإن كان يعتقد اعتقاد الحب المادي والجسدي فيظهر في كلامه الشعري المفحش والجرأة
والجانب المادي.

قسم النقاد المعاصرون بالإجماع الغزل إلى هذين القسمين فحسب. ومنهم طه حسين وشوقي
ضيف. أعنى "القسم العذري" (platonic love poetry) والقسم المفحش (obscene love poetry).
"الأول غزل العذريين الذين كانوا يتغنون في شعرهم هذا الحب" الأفلاطوني العفيف والثاني
غزل الإباحيين الذين أسميهم (المحققين) وهم الذين كانوا يتغنون الحب ولذاتها العملية"².

قدم محمد سامي الدهان بحثاً قيماً في هذا الخصوص وفحوى قوله:

"إن الغزل العربي كان حواه حب الشاعر وأمنيته، فكان يمنع "الحياء والصبر
بعضاً من الشعراء في بيان حبهم إلى المرأة هكذا يتضح في كلامهم الشعري الغموض
والرعاية الحسنة فسمى كلامهم الحبي هذا بالغزل العذري والأفلاطوني. ومن
الجانب الآخر كان بعض من الشعراء يصارحون في الحب مع النساء ويجرؤون على

¹ خصائص الشعر الحديث ، لـ نعمات فؤاد صـ 232

² حديث الأربعاء ، لـ طه حسين ج 1 ، صـ 187

بيان جمال أجسامهن وأعضائهن الجسدية، وكلام هؤلاء العشاق اشتتمر بين الأدباء والنقاد بالشعر المفحش أو الغزل المادي، وفي الواقع أن الغزل العملي هذا كان يبني على قصة من الحب"¹.

وحسبما قال الأديب الناقد خورشيد فارق أن هاذين النوعين للغزل العربي يتفرقان إلى غزل العشاق الصادقين (love poetry of true lovers) وإلى غزل الهوى لأصحاب الطباع الجميلة (love poetry compared by armatures)².

أخذاً في الاعتبار ما ورد فيما سبق يتحتم أن العقيدة الودية للشاعر تجعل الغزل في الواقع العذري أو العفيف والمفحش أو المادي.

إن كان الشاعر يظن الشوق والإلهاب والظماً روحاً لحيته فهذا يعني أن غزله يعبر قمة مجد الحب والمحبة، وإن كان يصر على وصال الحبيب والتمتع به فهذا يدل على صبغة حبه بعمق اللون القدر الملون. وهكذا يتجلى فرق واضح بين معاني هذين النوعين من الغزل.

الغزل في العصر الجاهلي:

إن القصائد السبعة التي تسمى بالمعلقات السبع، هي في الواقع نماذج جميلة وبصمات عظيمة للشعر العربي القديم، وسميت أيضاً بالعمل المجدي لمنتجها والنموذج الذهبي لمن قام بها، واتفق النقاد بالإجماع على امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والناطقة الذبياني والأعشى ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد، هم أصحاب المعلقات السبع، كما قال ابن الرشيقي تعريفاً بالمعلقات اسماً وقدرًا:

"وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القبايطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهب فلان إذا كان أجود شعره"³.

1. العواطف والغزل الجاهلي:

العاطفة والحب جزءان لا يتجزآن بينهما، وأما الحب والمودة فهي صورة عاطفية عميقة وهكذا يتعلق الغزل بعواطف الشاعر الشديدة مباشرة ولكن قيل على سبيل العموم، لما نشأ من الغزل في

¹ فنون الأدب العربي ، لـ محمد سامي الدهان ، صـ 13

² Fariq K.A " A History of Arabic Literature ,Umayyad Period" PP.34

³ العمدة ، لـ ابن الرشيقي صـ 61

العصر الجاهلي أن شعراءه لم ينتجوه تحت ضغط عواطفهم الشديدة بل أنشئوه لبقاء العرف الأدبي الحسن الذي لا يجحد طوال الزمن، كما أشار إليه عزيز الفهمي فقال:

"الغزل وليد العاطفة ولكن الغزل الجاهلي كان مقدمة لفنون أخرى: للمدح، للهجاء، للفخر¹، إن الغزل الجاهلي هو مقدمة في الحقيقة للعناوين الأخرى.

يحزم ابن قتيبة على أن غزل الشعر الجاهلي لا يتصف بعواطف الشاعر الحقيقية أصلاً، ولا يقرض الشاعر هذه الأشعار إلا لالتفات السامعين ويجعلهم يستمعون إلى كلامهم الواقعي فيستخدمون له عنوان الحب والحنين الرشيقي.²

يوافق ابن رشيقي على هذا الرأي أن الأشعار الغزلية للقصيدة جزء لا ينفك منها، ولكن لا يتحتم أن يكون لسان حال لما طرأ عليه من العواطف والأحاسيس، وبداية القصيدة بذكر الديار الحبية فله مكانة مرموقة في العرف الأدبي الحسن من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم³.

ولكن النقاد المعاصرين ومنهم طه حسين وعز الدين اسماعيل وفيصل شكري يخالفون ما قطعه ابن رشيقي من الرأي ومن وافقوه من القدماء مخالفة صريحة لما لاحظوه من أثر شدة العواطف في الغزل الجاهلي، أن هذه الأشعار لا تحتل في القصيدة إلا مكانة العرف الفني والتقديم الاعتيادي، نتيجة لما سبق، يدل هذا الكلام على عواطف الشاعر الحقيقية طبعاً لأنهم يعتقدون أن الشعراء الجاهليين لم يدونوا هذه الأشعار من النسيب والتشبيب إلا تعبيراً عما يدور بباطنهم من العواطف الحقيقية بالنسبة إلى الحب والحبيبة وهي في الواقع رد فعل من قبل الشاعر عن الجمال، وازداد كلام شكر فيصل في هذا الجمال عاطفة أكثر فبدأ يقول:

"إن هذه العاطفة التي نلمحها في هذا القسم من الشعر الغزلي لم تكن عاطفة عريضة فقط ولا إنسانية فحسب، ولكنها كانت إلى جانب ذلك عاطفة صحيحة سلمية وعاطفة قوية".⁴

¹ المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، لعزيز فهمي ص 71

² طبقات الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 7

³ العمدة، لابن رشيقي، ص 94

⁴ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، شكري فيصل، ص 61

ومع ذلك، فلا ضير في أن نضع رأى القدماء في الاعتبار أن الشعراء الجاهليين زاد كلامهم تأثيراً من حيث أن هذه الأشعار تمس عواطف القارئ مباشرة.

ومع ذلك أن ابن قتيبة وغيره من النقاد يقطعون الرأي في خصوص هذه الأشعار أنها كانت تقرض في بداية الأمر لجلب التفات السامعين وقراءها، وأنهم يظنون أن الشاعر لا ينجح في أخذ ميلان القراء إليهم إلا بعد إظهار شدة العواطف والإنطباعات ولذا أنه يتعرض أولاً العناوين لمؤثرة للحب واللقاء والوداع والالتهاب وجمال النساء، "شكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به اصغاع الأسماع إليه لأن النسب قريب من النفوس"¹. وميزة الغزل الجاهلي الأخرى تؤيد ما قاله القدماء مزيداً من التأييد فلننظر:

2- التطابق بين الأحداث والشخصيات في القصائد الجاهلية.

إنما يصدق ما قاله القدماء في مجال الغزل الجاهلي أنه عرف من الأعراف وعادة من العادات، أكثر من العواطف الحبية حينما نجد في القصائد الجاهلية كلها تطابقاً غريباً وتوافقاً عميقاً ولونا واحداً بين أشعار النسب والتشبيب، فلنتفكر في أشعار هؤلاء الشعراء الأربعة.

أ. امرؤ القيس:

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالصراط لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل²

ب. طرفة بن العبد:

لحولة أطلال ببرقة تهمد
تلوح كبافي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحي على مطهم
يقولون لا تهلك أمسى وتجله

¹ طبقات الشعر و الشعراء ، لـ ابن قتيبة صـ 6-7
² ديوان لـ امرئ القيس

ج. زهير بن أبي سلمى:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلّم
وأدار لها بالرقمتين كأنها
مراجع وشم في نواشر معهم

د. لبيد بن ربيعة:

عفت الديار محلها فما مها
بمنى تأبد غولها فرجا مها
فمدافع الريان غرى رسمها
خلقا كما ضمن الوحي سلامها¹

ويثبت بعد إمعان النظر في هذه النماذج الأربعة، أن الشعراء الأربعة صوروا بيئة تغلب فيها عناصر الوحدة، والأطلال والشدة الصحراوية، اللهم إلا أنه يصعب تقينا أن الشعراء الأربعة أو كلهم من الشعراء الجاهلين لعلماء واجهوا نفس النتيجة في الحب والمودة، ثم ذهبوا إلى مكان واحد من الأطلال للبقاء عليه وبيان الألم والقلق والإضطراب الذي لاقوه، فلذا هذا أقرب قياسا وظنا أن أشعار النسيب والتشبيب في العصر الجاهلي لم تر نورا إلا اتباعا للأعراف الأدبية وحفاظا عليها، ولكن الشاعر تحت ضغط الاضطراب الفني يزين هذه الأشعار من الجاذبية والتأثير بما أن القارئ يظنها به أحوال الحب والمحبة الواقعية للشاعر الذي أنشأها.

تمشيا مع هذا الإضطراب الفني حسبما أظن أن الشعراء من الصحابة الكرام أقبلوا على ذكر الحب والحبوبة في بداية القصائد التي كان قصد قرضها أحيانا المدح والثناء على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم⁴⁴. ونرى في أشعار هؤلاء الشعراء الإسلاميين بيان الوحدة وذكر الأطلال والخراب مع ذكر الحب والحبوبة حسب العرف الجاهلي نفسه، فلذا هذه الأشعار للنسيب والتشبيب تتعلق بالحفاظ على العرف الفني أكثر من الحب الحقيقي للشاعر. كما قال عزيز فهمي:

"وكان المذهب في الاستهلال والانتقال كان له شيء من القداسة وشيء من الحرمة لا

¹ معلقاتهم

يجوز أن يتخطاهما شاعر، فقد عرف الشعر ابن خلدون فقال "هو الكلام الموزون المقفى ... الجاري على أساليب مخصوصة".¹

الكلمات المنتخبة واللغة المناسبة الشعرية:

من ميزات كلام الشعراء الجاهليين البارزة اللغة الصحراوية التي تحمل الكلمات المنتخبة والتراكيب المتينة، فنظرا إلى هذه اللغة الجاذبية سماهم ايح، أي، آر غب (H. A. R. Gibb) باسم "القادرين على اللغة السلسلة".²

إن الغزل العربي القديم مثمرة وجميلة جدا بالنسبة إلى الكلمات والتعبيرات وهذا ليس من عجب العجائب لأن العربي الجاهلي كان يشتبك مع حياته الصحراوية وبيئته اشتباكا لم يتيسر به له التصادم واللقاء مع ما كان موجودا في دنياه الخارجية من الثقافة الإجتماعية والاتجاهات اللسانية، فلذا لم يتعرض لسانه لتأثير اللغات والثقافات الأخرى ولم يكن مهددا لهذا الخطر.

ومن رغم هذه اللغة الخالصة انتخب الشاعر الكلمات الجيدة منها لقرض الأشعار أي أنه لم يتناول من الذهب الخالص إلا قطعات من التبر، وهكذا تملأ لغته الشعرية بالعظمة اللفظية والأسلوب المتين، ومن أجل ذلك لعلماءد "عرفان شاهد" الشعر الجاهلي فاقد المثل من نوعه في أدب اللغات السامية كلها. كما قال:

"A highly artistic poetry, unique in the literary history of the Semites"³

لاحظ ما يلي من لغة الشعر وبدايته كيف ابتدع الشاعر في اختيار الكلمات المناسبة والسلسلة لتشبيه دموع حبيبته بالأسهم الواردة في القلب:

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي

بسهميك في أعشار قلب مقتل⁴

وصور الشاعر في الأشعار التالية تلعب حبيبته وصديقاتها بقطعات لحمه المقدم إلهن من قبله

¹ المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول، لعزيز فهمي ص372

² Arabic Literature an introduction H.A.R Gibb pp14

³ History of Islam P.M Holt pp23

⁴ ديوان امرئ القيس

فدعمت براعة اللغة ضعف الموضوع المصور له.

ويوم عفرت للعداري مطيّي

فيا عجباً من كورها المتحمل

فضلي العداري يرتمين بلحمها

وشهم كهذاب الدمقس المفتل¹

فانظر ما ورد في شعر زهير بن أبي سلمى من الأسلوب والكلمات يترشح من ذلك بديهية أن كلماته تساعد بعضها بعضاً.

فَلَمَّا وَرَدَنَّ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ

وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ

ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ

عَلَى كُلِّ قَيْيٍ قَشِيبٍ وَمُفْأَمٍ²

وإن كلمات عمر بن كلثوم الشعرية والتعبيرات اللغوية هي أيضاً متينة ومحكمة وقوية البنية، ومن براعته أن الكلمة الواحدة لا تدل على حدة الكلام ولا تشعرنا بأنها زائدة، وذكر فيها الشاعر ميزات كأس الخمر الذي قدمته حبيبته ويبين أحوال جسدها السمين:

مُشْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا

إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدَمَاءَ بِكْرِ

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا³

بيان الأهواء والعواطف صراحةً:

ومما تميز به الغزل الجاهلي وأصبح بصمة له، هو صراحة الشاعر في بيان أهوائه الودية ولا

¹ أيضاً

² معلقة زهير بن سلمى

³ معلقة عمرو بن كلثوم

يشير إليها بالرمز والإيهام ويشعرنا بداهة بأنه يعتقد في التمتع بالنساء ويصرح في بيان ما تلذذ به من النساء، ولا يحاول في ذكر ما فعله من هذه القبائح بالأسلوب الجاد والطريقة الحسنة، وفي الواقع أن اهتمامه المادي بالمرأة وتلذذه بجسمها جعل غزله "الغزل المفحش" وقد أصبح الشاعر الجاهلي من أصحاب البراعة والمهارة في تصوير الجمال الجسدي للمرأة لإهتمامه المادي هذا بها، وما زال عنوان الغزل الجاهلي جسد المرأة عامةً، كما اعترف شكري فيصل وجعله أمراً هاماً بأن الشاعر الجاهلي كان يشتهي الحب المادي والتلذذ الجنسي بالنسبة إلى المرأة ولذا أنه يذكر شهوته الجنسية صراحة لأعضاءها الحساسة ومنها، الثدي والفخذ والخد الرفيع والأسنان اللامعة. ولكنه رغم بيانه هذه الأعضاء البدنية لا يقدر على تصوير ما ينبعث منها من الحس والإرتعاش والاهتزاز نتيجة لما سبق أن الشعراء الجاهليين وقعوا في حب الحسن الظاهري للمرأة فقط بدلا من حسنها الروحي وخلقها الحسن.

"يصف "الشاعر الجاهلي" الجيد والقد والشعر والفم والكشح والأرداف وغيرها، وصفوا لنا السوق والأثداء في تعبير صريح جريء فهؤلاء الشعراء لم يحاولوا أن يعبروا عن شيء من هذا الحسن تعبيراً مقتصداً فيه بعض الإستحياء أو بعض الرمز ... ولكن ما هو تأثير هذه الصورة الجميلة في نفوسنا ذلك ما تجاوزه أكثر الشعراء الجاهليين. الحديث عن الجمال الخلقي نفتقدها فلا نجدها عند كثيرين من هؤلاء الجاهليين".¹

وهذه هي الحقيقة أن الشعراء الجاهليين لم يذكروا تمتعهم بالمرأة بطريقة جريئة فحسب بل حسب مقاييسنا الثقافية والحضارية وقعوا فيه بالأسلوب المفحش المبين. وإليكم نموذجاً ما قاله إمرؤ القيس من الغزل الصريح العاري.

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدْرَ خَدْرَ عَنِيْزَةٍ
فَقَالَتْ: لَكَ الْوَيْلَاتُ!، إِنَّكَ مُرْجِلِي
نَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَيْبُطُ بِنَا مَعًا:
عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلْ
فَمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ

¹ تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، ص 137 - 187

فَالْهَيْئَتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مُحَوِّلٍ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ
بِشَقٍّ، وَتَحْتِي شَقُّهَا لَمْ يُحَوِّلْ¹

وبنفس الأسلوب البحري قام عمرو بن كلثوم بذكر أعضاء حبيبته الحساسة رغم إقراره بأن هذه الأعضاء لا يصح رؤيتها إلا في الوحدة ومكان الأمن وبعيدا عن الأنظار.

تُرِيكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ
وَقَدْ أَمِنْتَ عُيُونَ الْكَاشِحِينَ
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرِ
هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا
وَتُدِيًا مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ رَخَصًا
حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَّامِسِينَ²

إن الجرأة الفاحشة والصراحة في ذكر جسد المرأة ومع ذلك شهوة الشعراء الجاهليين البينة، يخرج ذلك كله الغزل الجاهلي من حيز الخلق الحسن، وبذلك يتهم هذا الشعر بالإتهامات، ولكننا أحيانا ننسى بعد تركيزنا على هذا الإتهام المحايد أن هذا الشعر الغزلي قد صنعه وأسسّه الجاهلي أي الذي يتعلق بالعصر الجاهلي وربما نعقده بالأصول الخلقية الإسلامية بعد أن نتهم هذا الإنسان الجاهلي بالإتهامات الخلقية القبيحة.

ومع ذلك، لا يمكن لنا أن نصرف عيوننا عما كان يتصف به العصر الجاهلي من الظروف الاجتماعية والأصول الخلقية والعرف الأدبي الخاص به. ويقول عزيز الفهمي يجب أولاً أن تحلل قطعة أدبية فناً من حيث الحسن والقبح، ثم ثانياً تقاس في ضوء الأصول الخلقية وفي هذا الخصوص أنه أثنى على ما قاله قدامة بن جعفر من آرائه في نفس المجال.

"الفن فن وليس الفن للأخلاق ... قد يكون في بشر جمال، أفليست بين العاهرات جميلة وليست

¹ ديوان امرئ القيس
² معلقة عمرو بن كلثوم

فحاشة المعنى في ذاته مما يزيل جودة الشعر فيه، فالأخلاق عندنا ليست الأخلاق عند أسلافنا ولا عند حقدتنا والأخلاق عندنا (نحن المصريين) ليست الأخلاق عند الإنجليز ... البحث الأدبي شيء، والأخلاق شيء آخر، الفن شيء والأخلاق شيء آخر كما أن الموسيقى شيء والمنطق شيء آخر". 56

الصبغة البدوية في الفكر والأسلوب:

تفتقد في الغزل العربي الجاهلي الإستعارات اللينة والرقيقة للحسن والجمال، والتشبيهات الجميلة الجاذبة التي تستخدم عامة لذكر تدلل المرأة ولا نجد في هذا الغزل الذي تطور في الحياة الصحراوية ما نجده في الغزل الجديد المعاصر من التشبيهات والإستعارات على العموم، ومنها ورق الورد للشفاه الجميلة، وحرارة الشمس في صبح الخريف للبسمة الرقيقة المنبعثة من تحت الشفة، وحسن الندى المقطرة على الخضراء للكلام اللين، وكأس المهيج للعيون المطربة الكحيلة. وتتجلى من حكاية هذا الغزل الجاهلي والتشبيهات الواردة فيه، صبغة شاملة للسذاجة وحياتها الصحراوية، وابتعد هذا الشعر من التكلف والتصنع تماما، وهو ملبوس بالسذاجة والجمال الطبيعي، ولأجل ذلك أن هذه المآثر الشعرية تسمى بالشعر الإلهامي.¹

والسبب الرئيسي لسذاجة الفكر والأسلوب أن الشعراء الصحراوية لم يتصلوا أصلاً بلطافة الثقافة والحضارة المدينة، وذكر جمال المرأة بالكلمات الرقيقة اللينة وهو ذلك الشيء الذي بدأ بادئ ذي بدء في العصر الأموي. والعصر الأموي هو العصر الذي اصطدم فيه العرب مع الثقافات الأخرى والحضارات المتقدمة من إيران ومصر وبابل ويونان.

وأما الغزل الجاهلي الصحراوي فيذكر فيه الشاعر الحب والحبوبة بأسلوب طبيعي كما يذكر الجمل والحصان، والطيور والوحوش فلا يمزج فيه تصورا لينا ولا استعارة غير مرئية.

It is a poetry which makes its main business to depict life and nature as they are, with little addition of phantasy.²

وفحوى القول أن الشعراء الجاهليين يركزوا عنايتهم البالغة على جسم المرأة اللطيف وذراعيها المتين وكعبيها المحكمة وصدرها القوي وكتفها السمين فحسب بدلا من التفاته إلى خلقها الحسن وعظمة

¹ جديد عربي شاعري ، نسيمه فاروقي ص28

² Translation of ancient Arabian Poetry” C.J Lyall

الحب معها، واختار الشاعر الأسلوب الطبيعي البالغ لبيان هذه الأجزاء البدنية لها، ويصرح في البيان سذاجته النهائية بل بداوته الفطرية حينما يشبه شجاعة حبيبته وجسمها المحكم وعزيمتها بشجاعة وعزيمة جملة وفرسه وعند ما يقيس ذراعها الجميل القوي بعمود المرمر، ويزن صدرها الكروي الحاد العاج ويشبه أصابعها الرقيقة الطويلة بالسواك.....

(للمقالة صلة)

المصادر والمراجع

- 1- تاريخ الشعوب الإسلامية ، لـ كارل بروكلمان
تعريب نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، ط.11، دار العلم بيروت 1988
- 2- طبقات الشعر والشعراء
ابن قتيبة ، عالم الكتب ، بيروت 1282 هـ
- 3- كتاب العمدة في صناعة الشعر و نقده
ابن الرشيقي ، مطبعة أمين همدية بمصر 1925 م
- 4- كتاب الصناعتين
أبو هلال حسن العسكري، تحقيق على و محمد ، ط 2 ، دار الفكر العربي 1971
- 5- فنون الأدب العربي
محمد سامي الدهان ج 1، دار المعارف ، القاهرة 1981 م
- 6- المنجد
لوئيس معلوف، (اردو) تاج پبليشرز دهلي
- 7- الأسلوب
أحمد الشائب، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1990 م
- 8- خصائص الشعر الحديث
الدكتورة نعمات فؤاد ، دار الفكر العربي 1980 م

9- حديث الأربعاء

الدكتور طه حسين ، ج2 – الطبعة 13، دار المعارف القاهرة (طبع أولا 1925)

10- فنون الأدب العربي

محمد سامي الدهان ، دار المعارف ، القاهرة 1981 م

11- المقارنة بين الشعر الأموي والعباسي في العصر الأول

عزيز فهمي ، دار المعارف ، القاهرة 1979

12- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام

شكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت 1959 م

13- جديد عربي شاعري

نسيمه فاروقي ، اسلامك بك سنتر لكهنؤ 1977 م

14- المعلقات السبع

- 1- Arabic Literature an introduction , H.A.R Gibb ,Oxford University Press, London ,1962
- 2- The Cambridge History of Islam, P.M Holt, Cambridge University Press 1970
- 3- A History of Arabic Literature , Ummayad Period , Fariq K.A “Delhi 1977
- 4- Translation of ancient Arabian Poetry” C.J Lyall, London 1930

مولانا محمد يوسف شاه مير واعظ كشمير

(حياته وخدماته)

1896-1968م

البروفيسور محمد مظفر حسين الندوي¹

هو من أهم الشخصيات الإسلامية الذي لعب دوراً هاماً في المجالين المهمين: العلمي والسياسي فنتجت مساعيه السياسية على الإخفاق وأعماله العلمية على النجاح والفوز. هو رائد الخلافة الإسلامية في كشمير التي كان يرأسها مولانا محمد علي الجوهر وأخوه شوكت علي في الهند، كما هو منشئ المؤتمر الإسلامي الذي ناضل محتلاً كمشير غلاب سنغ ورنجيت سنغ مناضلة شديدة. كان سائداً على قلوب الكشامرة.

كانت ولا تزال عادة أهل كشمير التدخين خاصة الشيشة وأكل اللحوم الكثيرة وإتّهم واللمهيرة في تقنية طبخ اللحوم وإن معداتهم لمستعدة لهضمها وتحويلها إلى العنف والشدة وكثرة الجدل، لا يقدر أحد على أن يسبقهم فهذا المجال، مهما كان ذا قوة وذا الجلال. أمّا تدخين الشيشة فهو من ثقافتهم القديمة وعاداتهم السقيمة. والشيشة في قلوبهم مقيمة. يعتنقونها كاعتناق محبوب. ولعلّ موقع كشمير الجغرافي وبرودتها القارة دعتهم إلى ذلك. نعم أيها الأخ لا تسأل عن عدد فناجين الشاي المليح يحسونها حساً.

كان مولانا يوسف إذا مرّ بسوق يتدخّن أصحابها أخفوا شيشاتهم حياء منه. ولا يعزب عن البال أنّ الشيشة أحبّ شيئاً إلى ذويها. لأنّه إذا تدخّن أحد ولقّظ دخانها من فيه وأنفه يحسب أنّه يتكلم السماء ونجومها وكواكبها وأقمارها وشموسها. وقد اجتراً صاحبنا أن يؤلّف كتيباً عن التدخين الذي يحرمه بعض العلماء ويحسبه البعض الآخر مكروهاً. وسمّى هذا الكتيب. المضرة والنقصان في شرب الدخان. وشرب الدخان كلمة عامية ولكنّ المؤلّف راعي اللغة الفصحى. كان لهذا المؤلّف تأثير قويّ في قلوب الكشامرة حتى تاب بعض من يتبعه عن التدخين. يقول الشيخ محمد عبد الله الوزير الأعلى عن تأثير مولانا يوسف في الناس:

"لو حرم مولانا يوسف الماء لامتنع أهل كشمير عن شربه حتى الهنادك فضلاً عن

¹ رئيس قسم اللغة العربية بالكلية أمرسنگ الحكومية، سرنجر كشمير

المسلمين". [آتش چنار]

كان الشيخ محمد عبد الله الوزير الأعلى لكشمير من رفاقه وأصحابه فلما انفصل صديقه عن المؤتمر الإسلامي ووقع بينهما الخلاف الشديد في السياسة ففاضلا فيما بينهما وخصوصا خصاما شديداً عنيفاً. فكان فريق صديقه يسمى "أسداً" و فريقه هو "شاة" لأن محمد يوسف كان صاحب لحية والشيخ دون لحية. استمرت هذه المخاصمة إلى سنة ١٩٨٢ تقريباً عند ما قام مولانا محمد فاروق الشهيد بين حشد من الناس في "إقبال بارك" وأعلن عن انتهاء النضال. فلم يبق أسد ولا شاة. لأن كلا منها قد مات. إن شعب كشمير هو تعبير عن أرومات وأنسال مختلفة فكان كل قبيلة منه يعبر عن بلد غادره من آسيا الوسطى إلى كشمير مع السيد علي الهمداني في القرن الثامن الهجري. فشعب كشمير هو مجموع أنسال وذريات شتى جمعت من هنا وهناك فاختلط اختلاطاً وامتزج امتزاجاً. كآني أراهم تفسير اطمئنان إبراهيم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (البقرة: 260)

إن أسرة مير الوعّاظ في كشمير إنما قدمت كشمير مع السيد علي الهمداني لتبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى والذي نعرفه منها بادئ ذي بدء هو مولانا صديق الله الذي وهبه الله ملكة الخطابة. فكما أن السيد علمو معروف بـ مير السيد علي الهمداني كذلك اشتهرت أسرة الوعّاظ بـ مير واعظ، وتعني أمير الوعّاظ وقائدهم.

وصديق الله المتوفي (1155هـ) هذا ليس أول من قدم من هذه الأسرة إلى كشمير ولكنّه قد سبقه كثيرون كانوا أصحاب الرشد إلا أن صديق الله قد عُرف بتبليغه رسالة الله إلى الناس وبصلاح باطنه فكان الناس يأتون إليه من كل فج عميق لزيارته والتلقّي من علمه ومعرفته. ثمّ الذي نال صيتاً من هذه العائلة المرموقة هو غلام رسول شاه المتوفي سنة (1261هـ) وكان معروفاً بين الناس بـ "لّسه بابا" لأخلاقه الحسنة الطيبة وعموم شخصيته بين الشعب.

خلف "لّسه بابا" خلفه مير واعظ محمد يحيى المتوفي سنة (1308هـ) الذي يرجع إليه الفضل في ترجمة الجزء الأخير من القرآن إلى الكشميرية، سمّاه بـ "نور العيون في ترجمة عمّ يتساءلون" ولم يسبقها أحد

فهذا الخصوص. وأرى أنّه خصّ الجزء الأخير للترجمة لأنّ أهل كشمير يقرأون في صلواتهم بعد الفاتحة السور القصار من هذا الجزء. فإذا اطلعوا على الترجمة فهموا ما يقرأون في صلاتهم.

لا بدّ هنا من أن نذكر أن أوّل من ترجم القرآن في القارة الهندية الغير المنقسمة إلى الفارسية التي كانت رائجة بين أهلها هو "فتح الله الكشميري" وليس المحدّث شاه وليالله الدهلوي أوّل من قام بترجمة القرآن الكريم إلى الفارسية كما هو معروف بين الدوائر العلمية في الهند وخارجها، وهذه الترجمة. ترجمة فتح الله الكشميري للقرآن الكريم. موجودة في المجمع الثقافي لدولة جامو وكشمير، إنّ المترجم قد كتب تاريخ الكتابة قبل سورة بني إسرائيل إليكم نصّه:

"في سنة ستمائة وخمس وثلاثين من الهجرة على يد فتح الله الكشميري".

وشاه ولي الله ولد عام 1704 هـ بدلهي فيتضح لنا أن فتح الله قد ترجم القرآن قبل ولادة ولي الله بـ 1069 عاماً. وعبد الرحمن بلبل شاه قدم كشمير عام 726 هـ أعنى بعد كتابة الترجمة بـ 91 عاماً.

نعم كنّا بصدر الكلام عن محمّد يحيى الذين ترجم الجزء الأخير من القرآن الكريم إلى الكشميرية والذي أمسى حجر زاوية لتلك الأسرة التي ما زالت ترشد الناس في كشمير إلى توحيد الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واحتلت مكانة مرموقة سامية بين الكشامرة يُشار إليها بالبنان.

طبعت هذه الترجمة بتحقيق وشرح من مولانا نور الدين وهو فرع هذه القبيلة فعرضها باسم "نور العيون" ترك مولانا يحيى خلفه ثلاثة أبناء أثبتوا أنفسهم خير خلف وهم: مير واعظ غلام رسول شاه الثاني ومولوي أحمد الله ومولوي عتيق الله.

يعدّ مير واعظ مولانا غلام رسول شاه كـ "سر السيّد أحمد خان" في الهند ويلقّب بسرسيّد كشمير لتأسيسه لجنة نصرة الإسلام عام ١٨٩٩ء التي كانت تهدف إلى نشر التعليم الديني بين أهالي كشمير غير أن تنسّى نصيبها من العلوم العصرية التي لا مناص منها.

صاحبنا مير واعظ مولانا يوسف هو ابن مير واعظ غلام رسول شاه ولد عام ١٣١٣ من الهجرة. تلقى مبادئ العلوم الإسلامية على والده كما درس على العالم الجليل مولانا محمّد حسين الوفاي التفسير والحديث والفقه والبلاغة والفلسفة والنحو والصرف ثمّ إنّ محمّد يوسف قد تفتّحت مواهبه العلمية في دار العلوم بـ "ديوبند" في الهند توجّه إليها بإرشاد من العلامة أنور شاه الكشميري وهو أوّل من هذه الأسرة الذي سافر لحصول العلم إلى الخارج.

كانت ولا تزال شخصيات هذه الأسرة تخطب الناس يوم الجمعة في أكبر جامع في كشمير الذي يفد إليه أهل كشمير من القرى وضواحي المدينة لأداء صلاة الجمعة وقيام الليالي مثل ليلة نصف من شعبان وليلة القدر فيقوم أمراء الوعظ ويوجهون النصائح إليهم ويطلبون منهم تكرار ما ألقوا من الخطب ولا يعزب عن البال أنّ هذه النصائح والوعظات تكون مكتوبة عندهم على دفتر خاص يسمونه "البياض" وقد ورثوا هذا البياض أبا عن جدٍ وكابراً عن كابرٍ.

رأى العلامة أنور شاه أن يبعث مير واعظ يوسف شاه إلى دار العلوم الديوبندية ليتلقى العلوم الإسلامية من منابعها ومناهلها فيبثها بين الناس خطباً ووعظاً فإنّ اتباعه ومعتقديه ألوف من الناس الذين يخاطبهم أيام الجمعة. وإذا تغير السلطان تغير الزمان. فكان اختيار العلامة حسناً سبب هذا الاختيار احتفاظ العقيدة الصحيحة وبقاءها بنصائح هؤلاء الوعّاظ.

تتلمذ مولانا يوسف على كبار علماء ديوبند آنذاك منهم: شيخ الهند مولانا محمود الحسن أسير مالطة والعلامة أنور شاه الكشميري وأستاذ الأدب مولانا إعزاز علي وأستاذ الفلسفة والمنطق مولانا محمد إبراهيم البليايوي وشيخ الإسلام ومفسر القرآن مولانا شبير أحمد العثماني. ركّز العلامة أنور شاه عنايته على تلميذه تركيزاً واعتنى به اعتنائاً بالغاً لأنّه كان يعلم أنّه سيصبح مرشداً للناس وهو كمثّل القلب للناس فإذا صلح، صلح الجسد كلّّه وإذا فسد، فسد الجسد كلّّه فقام بتطهير قلبه من الرّجز وشحن عقله بالعلوم الإسلامية.

كان صاحبنا كمثّل قلب لشعب كشمير وكان حقّاً راعياً فنزاهة قلبه وعقيدته ضامنة لنزاهة رعيّته ومتّبعيه:

"الحلال بين والحلال بين، وبينهما مشهّات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشهّات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشّهات كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكلّ ملك حمى، ألا إنّ حمى الله محارمه ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّّه، إذا فسدت فسد الجسد كلّّه ألا وهي القلب"¹.

مكث مولانا يوسف في جامعة دار العلوم ثمانية أعوام ينهل من منهلها حتى تخرّج فيها كما حصل على شهادة المولوي الفاضل من جامعة بنجاب.

¹ رواه البخاري عن النعمان بن بشير كتاب الايمان، باب من استبرأ لدينه.

والإنسان يعرف بالأصحاب الذين يصاحبهم و يلزمهم فالزملاء الذين رافقوه في الدرس هم: القارئ مولانا محمد طيب ناظم دار العلوم الديوبندية سابقاً والمفتي الأعظم لعموم باكستان مولانا محمد شفيق ومولانا بدر عالم الميرتي المهاجر إلى المدينة المنورة، ومولانا محمد منظور النعماني رحمهم الله تعالى.

ولما آب مولانا يوسف من ديوبند بعد الحصول على علوم القرآن والسنة عام 1925م جعل المسجد الجامع منطلقاً لدعوته وهو أعلم من كل فرد من أسرته ولم يبلغ شأوه في عصره في كشمير غير مولانا ميرك شاه الأندراي. كان صاحبنا يحمل قلباً خفافاً للدين الحنيف، فجعل يعظ الناس على منبر الجامع رجالاً ونساءً صغاراً و كباراً كما كان بيته مأواً للمحتاجين وملجأ للعلماء وعشاق العلم، وهب بصوت جهوري لم يكن يحتاج إلى مجهر إلى حد المسجد الجامع فكان صوته يصل إلى نهايته. زد إلى ذلك أنه كان متحمساً للإسلام ولأهله والمتحمس يكون أعلى الصوت عادة.

لم يكتف يوسف على الوعظ في الجامع وفي البيت بل وقد أدخل تحسينات إلى "مدرسة الفقه وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم" التي كان أقامها أبوه مولانا رسول شاه وأوصلها إلى قمة إلى درجة الكلية وسمّاها "الكلية الشرقية" فالطلاب الذين يتخرجون في هذه الكلية يحوزون شهادة المولوي الفاضل في العلوم الشرقية من جامعة كشمير.

لو سامحني القائمون على هذه الكلية ومسئولوا لجنة نصرة الإسلام لقلت بصراحة إن الكلية الشرقية كانت تُخرج العلماء والفضلاء في زمن صاحبنا ولكنها اليوم في حالة الاحتضار لعدم العناية بها، وقد أقيم مبناها الشامخ من قبل لترويج القرآن والسنة ولكن نراها اليوم قد انكشفت في غرفتين صغيرتين وضافت بها الأرض بما رحبت أما المدرسة العصرية فقد وسّعت وأدخلت في مبني الكلية.

حاول صاحبنا مواجهة المحتلين على كشمير من الوثنيين محاولات جدية ولكنه لم يفلح فيها إلا أنه قد فاز بأن يوحد كلمة المسلمين ويؤلف شملهم ويجمع الساسة والعلماء والمثقفين تحت رؤية واحدة ويؤسس "مؤتمر المسلمين الإسلامي بجامو وكشمير"، كان من بين أركان هذا المؤتمر وأعضاءه الشيخ محمد عبد الله الوزير الأعلى لدولة جامو وكشمير سابقاً وذلك عام ١٩٣٢م ولما انفصل الشيخ محمد عبد الله عن المؤتمر عام ١٩٣٨م وأنشأ منظمة أخرى لتحرير كشمير سمّاها "المؤتمر الوطني" جعل بقية قائدى المؤتمر الإسلامي يمدونه بنفسهم ونفيسهم متجشمين جميع الصعوبات والعوائق في طريقهم.

إنّ صاحبنا أول من شعر بأنّ الصحافة الخارجيّة عن كشمير إنّما تنشر الأخبار عن كشمير تحت ضغط شديد من حكومة الهند ولا تترجم قضايا كشمير في قليل ولا كثير. فأسّس مطبعة وأنشأ مجلة "الإسلام" كانت تصدر بعد كل ثلاثة أيّام. كانت تطبع فهذه المطبعة كان رئيس تحريرها أديب بنجاب المعروف حسين مير اسمًا. كما أصدر جريدة "رهنما" معناها "الرّائد" بعناية من مولانا نور الدين تحت إشراف مولوي غلام رسول. لم تستطع مجلة "الإسلام" و "رهنما" الاستمرار لأنّهما واجهتا ضغط الدولة بكل عنف. اضطرّ صاحبنا إلى الهجرة من كشمير إلى باكستان عام 1936م فعُيّن وزير التربية في كشمير الحرّة ثم حاكمًا عليها ولكنّه كان يحنّ إلى كشمير موطنه حنين الوالد إلى ولده. ويسعى لتحريرها من اضطهاد "الدوغرة" ويزور البلاد الإسلامية لتوحيد آرائهم ضد المحتلّين ولكن سدّى.

جعل يدعو الناس إلى توحيد كلمتهم وكان في ذلك متحمّسًا شديدًا متمسّكًا بالمذهب الحنفي لأنّه قد تخرّج في دار العلوم الديوبندية التي تعدّ مدافعًا قويًا عن هذا المذهب من قرن وأكثر وتأثّر بحنفيتها وحنفية أساتذته وخاصة بالعلامة أنور شاه الكشميري الذي اعترف في باكستان أنّه ضيّع عمره في الدفاع عن المذهب الحنفي فإذا قبلنا قول العلامة فإنّ عمر يوسف أضيع من هذه الناحية. وإنّ الدّاعي لا بدّ له من أن تكون آفاق علمه متّسعة فسيحة تاركًا نزاع المسالك في جانب وجاعلاً هدفه الأسمى نصب عينيه. إذا كان كونه متحمّسًا في دعوة الناس إلى الإتحاد صحيحًا فإنّ كتابه "تنوير المصابيح" الذي سنتحدّث عنه ليركّز على أن يتحنّف الناس تحنّفًا شديدًا فلعلّ صاحبنا كان يتوخى تأليف الشعب على صعيد الفقه الحنفي وذلك لم يحدث فعلاً ولن يحدث أبدًا فيأى بقعة في العالم. والحقّ أنّ الدّعاة إلى الجامعة الإسلامية أو إلى توحيد المسلمين هم لا ينغمسون في الخلافات المذهبية وإن كانوا يتمذهبون بالمذاهب الخاصّة بل وينظرون إلى الفرق المسلمة المختلفة والمسالك المتنوّعة بسماحة وبعين الرفق والرافة لأنّ كلّاً منهم على الحقّ.

مهما كان الأمر فإنّ يوسف شاه الواعظ يُعدّ من بضعة علماء في كشمير الذين كان لهم رسوخ في العلم الإسلامي وإن لم يبلغ شأوهم في العلم والمعرفة وهم: الشيخ يعقوب الصرّفي وأبو الوفا الوفاي والشيخ حمزة المخدومي والشيخ أحمد الله الواعظ والعلامة أنور شاه الكشميري وميرك شاه الأندرابي ومولانا عبد الرشيد الشوباني ومولانا صدر الدين الأزرد. إلّا أنّه نال قصب السبق في مجال السياسة دون الآخرين إلّا الشيخ يعقوب الصرّفي الذي ألحق كشمير بالهند باستدعائه الملك أكبر المغولي إلى كشمير

لاستئصال شأفة الشيعة الإمامية.

من أكبر مآثر صاحبنا هو تفسير القرآن الكريم وترجمته إلى اللغة الكشميرية الفصحى وقد سبقه جدّه مير واعظ محمّد يحيى بترجمة الجزء الأخير من القرآن الحكيم إلى اللغة الكشميرية ولكنّه في سبقه تكميل ترجمة القرآن. وهو أوّل الترجمة الكاملة في حدود كشمير للفرقان وجعل البعض ينسجون على منواله ويحذون حذوه في هذا الخُصوص منهم مولانا ميرك شاه الكشميري الذي ترجم الذكر الحكيم إلى الكشميرية وفسّره بالأردية ولكنّه تفسير لم يكتمل بعد وهو في الحالة الخطيّة حتى الآن ولذلك التفسير ميزة أخرى هي تفسير الكلمات الصعبة إلى العربية على حاشية التفسير الذي يضيف إلى إفادته كما ترجم "عارف بيغ" الذي يجهل عن اللغة العربية ومعاني القرآن جهلاً باتاً ترجمة مشوّهة لا تليق به كما فسّر القرآن تفسيراً لم ينزل الله به من سلطان. وهو أقبح تفسير فسّر حتى الآن. واجه المفسّر الجاهل نقداً لذيغاً من الأوساط العلمية.

ثمّ الذي ترجم القرآن في كشمير إلى اللغة الأهلية هو مولانا قاسم شاه البخاري ناظم لجنة تبليغ الإسلام سابقاً الذي لحق الله عزّ وجلّ عام ٢٠٠١ م كان يزعم أنّه تلميذ مفتي الهند مولانا كفاية الله وتلميذ كبار علماء الهند فسّمى ترجمته بكفاية البيان منسوبة إلى أستاذه ولكنّه خالف جميع هؤلاء المعلّمين الذين تتلمذ عليهم في ترجمة القرآن. كما خالف الشيخ محمود الحسن شيخ الهند هو أستاذ الأساتيد أسير مالطه تعدّ ترجمته ترجمة موثوقة بها في العالم الأردّي اعتنى بترجمته مولانا أشرف على تهانوى و مولانا أبو الأعلى المودودي و مولانا عبد الماجد الدريابادي والمفسّرون الآخرون. أمّا البخاري الذي نتكلم عنه فقد ترك جميع هؤلاء المترجمين وراءه ظهرياً وتابع رضا خان البريلوي بيد أنّه كان يدّعي بأنّه يعتقد معتقدات العلماء الراسخين الهنديين الديوبنديين. فترجمته تترجم عن الرضاخانية لا الموحّدين الديوبنديين.

أمّا ترجمة مولانا محمّد يوسف فهي ترجمة مستقيمة صحيحة تترجم عن العقيدة الصحيحة السليمة المستقيمة لا تحيد عنها قيد شعرة وتفسّره تفسير مستقاة من المنبع الصافي. نظراً إلى هذا قامت المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وتوزيعه بين فاهمي اللّغة الكشميرية.

أصبح من دأب كثيرين من أهالي كشمير قراءة هذه الترجمة وهذا التفسير في الصباح الباكر ويراها جميع المذاهب بعيون القداسة والتقدير والتكريم وجعل في مقرّرات بعض الكتاتيب. وهو أحسن شيء

أهداه مولانا محمد يوسف شاه الكشميري إلى الكشامرة يفهمون به معاني أحكام القرآن الكريم ومفاهيمه في لغتهم المحلية.

إنّ لأسرة مير واعظ ميزة تميّزها عن الوعاظ الآخرين الذين لا يتوخّون من وعظهم في كشمير إلّا إشباع بطونهم التي لا تمتلئ إلّا بالتراب وقد ينغصّ الإنسان الواعي من عقيدتهم الفاسدة المستمدة من البرهمنية ومن العجب العجائب أنهم يستدلّون بالمتشابهات من القرآن فلا يرجعون المتشابهات إلى المحكمات. وقد سيطروا على إذاعة كشمير ويقومون بنشر عقائدهم الفاسدة الباطلة بين الناس.

أمّا مولانا يوسف شاه وأبائه وفروعه فإنّهم لحافظون على العقيدة الصحيحة المحضة باحتلالهم أكبر جامع في كشمير وإنّ احتلالهم منصب الخطابة في هذا الجامع لنعمة عظيمة للشعب الكشميري حيث يتلقّون فيه المواعظ الحسنة والعقيدة السالمة وإن لم يخل هذا الجامع من منكرات أخرى منها اختلاط النساء بالرجال فيه. إلّا أن هذه الترجمة عملت عملها في عقائد هذه الأسرة فسلمت من شوائب الوثنية.

ومن مآثر مولانا يوسف شاه الكشميري هو "تنوير المصابيح في ركعات التراويح" باللغة العربية الذي قام بتأليفه مجيباً لاستفتاء يقول:

"كتبت في العام الماضي شيئاً مختصراً فهذا الباب مجيباً لاستفتاء بعض الأحاب، موضّحاً بأنّ القول المعتمد الصحيح إنّما هو عشرون ركعة في صلاة التراويح، فاستحسنه الناظرون المنصفون وألحوا عليّ أن أجمع لهم أقوال الأئمة والمحدثين والفقهاء المتقدمين والعلماء العاملين ليكون تبياناً لمن يريد البيان، فرغبني بعض الكرام في انجاح مأمولهم واعطاء مسئولهم، فما وسعني إلّا الإجابة لذلك فانتصبت لتأليف هذه الرسالة التي سمّيتها "تنوير المصابيح لركعات التراويح".

تاركاً جانباً مذهب مولانا يوسف شاه في الفقه نعتف بأنّه أخذ زمام اللغة بيده وأنّه كان يتقنها إتقاناً ويتشرّبها تشرّباً نستدلّ على ذلك بكتيبه هذا، و ثانياً إنّ قوَيّ الحجّة فصيح الكلام بليغ المعاني يأتي بدلائل وبراهين لما يدّعيه وقد كان أستاذه العلامة أنور شاه فارس هذا الميدان فأخذ عنه هذا الفن أخذاً كما أخذ عنه الفقه الحنفي والتعصّب له دون أن ينظر إلى ما يجلبه هذا التحزّب المذهبي الذي لا طائل تحته البتة بل ويأتي بخسائر للأمة الإسلامية. فلنعد إلى كُتيبه الذي بدأه بالحمد لله والصلاة على الرسول

الكريم على النحو التالي:

"الحمد لله الذي فضل شهر رمضان على سائر الشهور بمزيد الشرف والإكرام، وأنزل فيه الكتاب على سيد الخلق صاحب المقام وجعل صيامه علينا فريضة وقيامه تطوعاً، وعم فيه بالإنعام والصلاة والسلام على رسوله المبعوث إلى كافة الأنام وعلى آله الكرام وأصحابه العظام الذي أحيوا سنته وأوضحوا طريقته، فهم نجوم الهدى ومصابيح الظلام".

رأيت خلال مطالعة الكتب الخطية والمطبوعة لأهل كشمير أنهم لا ينسون كتابة "الكشميري" و "الحنفي" فيما ذكر أسمائهم وقد راعى هذا العلامة الشريف عبد الحي الحسني صاحب نزهة الخواطر حيث لم ينس كتابة الكشميري والحنفي في آخر أسماء علماء كشمير الذين ترجم لهم كذلك مولانا محمد يوسف ينسب نفسه إلى كشمير و إلى أبي حنيفة النعمان:

"فيقول العبد الضعيف العائد بالله اللطيف من موجبات التلهف والتعسف المدعو يوسف الحنفي الكشميري".

سببه الميل الشديد إلى المذهب الحنفي أن ينقد أهل الحديث نقداً شنيعاً شديداً لانكارهم أن عدد صلاة التراويح في رمضان هو عشرون ركعة يقول:

"وقد أنكر ذلك في هذا الزمان شرذمة قليلة من العوام الذين يهربون عن اتباع السلف الصالحين ويقلدون لبعض المتحدثين المعاصرين على غير بصيرة تقليداً جامداً وما هم بجنب المجتهدين المتبعين إلا كعصافير فما فوقها".

أرى أن روح الإسلام و مغزاه وجوهره هو توحيد الله وتوحيد صفوف المسلمين على منهاج النبوة وأن النزاع هو سم قاتل للإسلام والمسلمين لأن تفريق الشمل قد يضعفهم لذلك قال سبحانه وتعالى:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. (الأنفال: 46)

وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾. (الأنبياء: 92)

فلابد للمسلم الواعي أن يكون رحب الصدر متسع القلب والجنان مملوءاً بالرّفق والحنان، أن يقبل المسلم الآخر باختلافه معه. فالسيد علي الهمداني رحمه الله الذي يلقبه أهل كشمير بـ "علي الثاني" كان شافعي المذهب ولكنه لما قدم كشمير داعياً و رأى أنه سبقه عبد الرحمن بلبل شاه رحمه الله إلى

كشمير وآمن على يديه سلطان كشمير رينجان شاه البوذي الذي لُقّب بعد بالسلطان صدر الدين وبايعه جم غفير من أهل كشمير على الإسلام وفعلهمم الدين وكان يذهب المذهب الحنفي في الفقه فعلهمم المسائل طبق هذا المذهب وترك مذهبه وسلك المسلك الحنفي لان خلافه يجلب الخسارة للإسلام وأهله. وأنه لا ريب أن جلّ أهالي كشمير يعتقدون ما يعتقدوه الوثنيون في الهند فهذه العقيدة تجعل أعمالهم داحضة وتحبطها حبطاً ومن جانب آخر أنّ ٩٠% منهم جهلة عن القرآن والسنة فلا يستطيعون فهمهما وقرأتهما حتى أن أئمتهم في المساجد أكثرهم جاهلون.

هاتان الجهتان شدة الخلاق بين المذاهب والجهل شاغرة فوهما والأعداء يهاجمون من هاتين الجهتين المهمتين فكان يلزم لعلماء كشمير مواجهة العقيدة الوثنية في كشمير ومقاومة الجهل في مجتمعهم ولكثمتهم مع الأسف لم يفعلوا ذلك. عمروا الخانقاهات والزوايا وجعلوا يحثّون الناس على زيارة شعورٍ وعِصيٍّ ونعالٍ وخرقٍ وعمامات تركها بزعمهم بعض الأولياء خلفه، فيفد الناس جماعات ومنفردين إلى هذه التكايا غير مباليين بحرام يرتكبون وذلك التباس الرجال بالنساء بعضهم ببعض واختلاطهم اختلاطاً لا يجوزّه الإسلام بل ويحرّمه.

ليس هذا فحسب بل ويسجد هؤلاء الوافدون القبور والأحجار حولها كما يعتقدون خرق الثياب على شبابيك هذه الزوايا معتقدين أن أصحاب هذه القبور سيشفعونهم بل و يرزقونهم الأموال والأولاد. وغاصوا في شئون وأمر لم يقدروا الخروج منها البتة ورموا بغير مرمى.

فلا طائل تحت تسويد أوراق لردّ مذهب إسلامي وتأييد آخر وخاصة المسائل التي ورثناها مختلفة فيها بين المذاهب الإسلامية منذ خمسة عشر قرناً تقريباً، وقد حاول العلماء الكبار والمحدّثون والمفكّرون التوفيق بينها فلم يستطيعوا، وقد أجمعوا على صحّة عقائدهم وأعمالهم ومذاهبهم فما معنى النزاع والتعصّب لمذهب دون آخر وما معنى الخروج من أحدها إلى الآخر كالخروج على الإسلام.

الإسلام والمسلمون يواجهون اليوم تحدّيات فكرية عالمية وقد سبقهم غيرهم في العلم والتكنولوجيا والإعلام فأصبحوا يداً عليا، يقتلون المسلمين في عقر دارهم في كل بلدٍ فلا يستحيون نساءهم حتى واحتلوا السّماء بطائراتهم والأقمار الصناعية. لهم الصول والطول في كل مكان. أمّا المسلمون فيتنازعون على شيءٍ تافه لا طائل تحته هذا حنفي وذلك شافعي وأولئك حنابلة وهؤلاء أصحاب مالك وأهل الحديث وكل منهم يضيع وقته في إثبات مذهبه وردّ مذهب آخر.

قد سبق أن قلنا أنّ مولانا يوسف شاه نسج على منوال شيخه وأستاذه العلامة أنور شاه في الفقه الحنفي فقام بالمدافعة عنه حتى أنّه كأستاذه ضعّف القوي وقوّي الضعيف في بعض الأحيان، يعترف مولانا يوسف شاه بأنّه لم يثبت عن النّبي صلى الله عليه وسلم في التراويح عدد معين بقوله:

"اعلم -رحمك الله- أنّه لم يثبت عن النّبي صلى الله عليه وسلم في التراويح عدد معين وما ورد فلا يخلو عن ضعف".

فاعتراف صاحبنا بضعف جميع ما ورد في عدد ركعات التراويح أصل فإذا قام بترجيح بعض الأحاديث على بعض لكونه حنفياً أو تركيزه على الأحاديث التي تقوّي مذهبه فإنّه خالف أصله أصلاً. فالأحاديث التي تعيّن عدد ركعات التراويح في رمضان ثمان ركعات لا يقيم لها صاحبنا وزناً بل يثبت أولاً أن التهجّد كان فرضاً في بدأ الإسلام ثم أصبح تطوّعاً قبل الهجرة فجميع الأحاديث التي تبين عدد الركعات ثمانية يؤوّلها صاحبنا ويقول:

"أمّا الاستدلال بحديث عائشة الذي أخرجه البخاري على كون التراويح ثمان ركعات فلا يصحّ أصلاً لأنّا قد ذكرنا أنّه لا يتعلق بأمر التراويح بل هو مسوق لبيان عدد ركعات صلاة لا اختصاص له برمضان وهو التهجّد فانه صلى الله عليه وسلم كان يصلّيها جميع السّنة في رمضان وغيره فلا يقوم الحديث حجّة ودليلاً على تعيين هذا العدد في التراويح".

ويذكر ما قاله العلامة العسقلاني:

"أمّا قول عائشة رضي الله عنها ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، فحمله أصحابنا على الوتر".

كما قام بتأويل تأخير الإمام البخاري هذا الحديث في باب التراويح على النحو التالي:

"أقول لعلّ البخاري أخر حديث عائشة رضي الله عنها المذكور في باب التراويح من غيره لعدم التنصيص فيه على ركعات التراويح، وإنّما أورده مناسبة واطراداً والله سبحانه وتعالى أعلم".

لا يؤوّل مولانا يوسف الأحاديث بل و يستدلّ بالأحاديث الأخرى كما لا يخلو هذا الاستدلال من إعمال عقله وتدقيق فكره.

"ولو سلّم أنه يتعلق بالتراويح الشامل على التهجّد أيضاً لما يثبت أنّه كان على سبيل الكلية

دائماً ومستمراً، بل يحكم أنه كان أكثرها أو أحياناً إلا فيعارضه ما رواه مالك رحمه الله عن عائشة"الخ.

إنّ صاحبنا كما سبق القول قويّ الحجّة يذكر الأحاديث التي تتعلق بعبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع السنة و تشميره عن ساق الجد في رمضان حتى أنّه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأت فراشه حتى ينسلخ يقول:

"فإنّ هذه الروايات دالة على أنّه صلى الله عليه وسلم كان كثيراً المجاهدة في العبادات في رمضان من غيره، وإن سلم المساوات في جميع السنة لما يحصل كثرة الاجتهاد في رمضان فافهم".

ويهدم بنيان من رأى أن عدد الركعات في رمضان هو ثماني ركعات كما جاء في المعجم الصغير للطبراني وصحيح ابن حبان وابن خزيمة بقوله:

"ففي أسناده لين لأنّ مدار جميع أسانيده على عيسى بن جارية وهو راوٍ ضعيف قد تكلم فيأئمة الحديث كما قال الذهبي قال ابن معين عنده مناكير، و قال النسائي: هو منكر الحديث ومتروكه وقال أبو داود هو منكر الحديث وقال الحافظ في التقریب: فيه لين".
نعم، إذا كان الراوى ضعيفاً وعند البعض منكر الحديث ومتروكه فهل يجوز الاحتجاج بقوله أو براويته أو يستحق به الترك يقول صاحبنا:

"أقول: ومن كان ضعيفاً مثل هذا كيف يسوغ الاحتجاج بحديثه كما قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي: إن منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك بحديثه".
أما ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه وعبد بن حميد الكشي في مسنده والبخاري في كتابه والطبراني في معجمه الكبير والبيهقي في سننه عن عبد الله بن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان في غير جماعة عشرين ركعة والوتر فيقول صاحبنا:

"ففيه أيضاً ضعف كما ضعفه البيهقي برواية إبراهيم بن عثمان جد الإمام أبي بكر بن أبي شيبة وهو ضعيف".

فعيسى بن جارية ضعيف الذي يروى عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بنا في شهر رمضان ثمان ركعات كما أنّ إبراهيم بن عثمان ضعيف الذي يروى عن عبد الله بن عباس أنّ رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان يصلي في رمضان في غير جماعة عشرين ركعة ووتر. فكيف نرجح إحدى من الروايتين على الأخرى لأنهما متساويتان ولكن مولانا محمد يوسف يعلل ويؤول ويبحث عن باب يخرج منه ويعتمد على العلماء الآخرين وينقل أقوالهم ويريد ترجيح عشرين ركعة على ثمان ركعات البتة بيد أنه صرح فيأول كلامه عن عدد ركعات التراويح أن فيها ضعف ولكنه تعلم في دار تدافع عن الفقه الحنفي بكل طريقة ولا يعزب عن البال ولا يخف أنه قوي الحجة بليغ المعاني فصيح الكلام يأتي بدلائل وبراهين كثيرة لاثبات شيء فلنلاحظ كيف يريد إثبات عشرين ركعة يكتب:

"ولكني أقول تضعيف البيهقي إبراهيم بن عثمان أبا شيبة ليس كتضعيفهم عيسى بن جارية كما قال مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي أن أبا شيبة ليس بضعيف ضعفاً لا تقبل روايته كلية.....

وقال مولانا عبد الحي اللكنوي: والعجب كل العجب أن عبد الله بن لهيعة ضعيف عندهم بضعف شديد حتى ضرب به المثل في الضعف كما لا يخفي على من راجع تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ومع ذلك قبل المحدثون روايته، ولا يدري أي ذنب عظيم ارتكبه أبو شيبة حتى لا تقبل روايته مع أنه ليس كابن لهيعة وعيسى بن جارية ضعيف" إن أكبر محدث في العالم الإسلامي بلامراء هو الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري على صحيح البخاري يستدل بحديث عائشة على اثبات إحدى عشرة ركعة بعد ما أورد جميع الأحاديث المتعلقة بعدد صلاة التراويح في رمضان ويقول:

"وقد عارضه حديث عائشة رضي الله عنها الصحيح: ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة مع كون عائشة أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم".

ويردّ قوله مولانا يوسف بأقوال منقولة ومعقولة مع أنه راجع كتابه تهذيب التهذيب لتضعيف عبد الله بن لهيعة كما سبق القول آنفاً كان يريد تقوية قوله والآن هو يدافع عن الأحناف وينكر استدلال ابن حجر في الفتح يقول:

"أما قول الحافظ أنه يعارضه حديث عائشة المذكور فمدفوع بما ذكرنا سابقاً من أنه لا يتعلق باباب التراويح وإنما هو لبيان ركعات التهجد، ومع ذلك هوأي حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً معارض بروايتها الآخر كما عرفت".

قد رأينا أنفا أن ابن حجر قد دعم استدلاله بحديث عائشة الصحيح وأضاف قائلاً مع كون عائشة أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ولكن مولانا يوسف لم يقبل استدلاله هذا وأخرج الكلام من مخرج آخر وقال:

"وأما قوله (ابن حجر) أنّ عائشة رضي الله عنها كانت أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم من غيرها فليس بسديد لأنّ أزواجه كن في العلم بحاله صلى الله عليه وسلم في الليل مساويات فيمكن أن يكون عبد الله بن عباس سمع هذا من إحداهن سوى عائشة رضي الله عنها بل لا يبعد أن يكون سمع من خالته ميمومة، أو رآه صلى الله عليه وسلم بنفسه في بيتها لأنه كان يبيت في بيت خالته أحياناً".

نرى أنّ قول ابن حجر بسيط يسير لا تكلف فيه ولا تصنع وهو يجري مجراه بكل سهولة وهو استدلال قوى هامّ أما أقوال مولانا يوسف واستدلالاته فضعيفة متكلفة متصنعة فالاستدلال بقول "فيمكن" و "بل" لا يبعد أو "أو" رآه" استدلال على الظن لا يعتبره.

كذلك ردّ على العلامة السيوطي الشافعي النابغ الذي ادّعى أنّه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه صلى عشرين ركعة لأنّه لو صلى العشرين ولو مرة لم يتركها أبداً لأنّه صلى الله عليه وسلم كان إذا عمل عملاً واطب عليه وأيضاً لو وقع ذلك لم يخف على عائشة رضي الله عنها كما تقدّم وأجابه إجابة صحيحة مقنعة حقاً. ببعض استدلالاته إلا أن البعض الآخر يبتنى على أقوال ضعيفة يذكر:

"أجيب بأنّ ما ذكره (السيوطي) من قوله: إنّ لو فعل العشرين ولو مرة لم يتركها ممّا لا ينبغي أن يصغى إليه فإنّه عليه السلام صلى في الليل ثلاث عشرة ركعة تارة واحدة عشرة ركعة تارة وتسع ركعات تارة إلى غير ذلك مما ذكرنا ولم يدم على شيء من ذلك".

هذا حقاً قول ضعيف من قبل السيوطي أن ادّعى أنّ الرسول إذا عمل عملاً واطب عليه فإنّه أراد بذلك إنكار عشرين ركعة ولكنه أنكر قوله وهو لا يشعر لأنّ الرسول إن كان صلى ثمان ركعات أو إحدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة فإنّه لم يدم عليها وصلى في المدينة إلى البيت المقدس فلم يدم على ذلك فلماذا الناسخ والمنسوخ في القرآن والحديث. أما قول السيوطي: إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان صلى عشرين ركعة لم يخف ذلك على عائشة فأجابه مولانا يوسف قائلاً:

"وقوله ولو وقع ذلك لم يخف على عائشة رضي الله عنها عجيب جداً فإن النبي صلى الله

عليه وسلم قد صلى ثلاث عشرة ركعة في بيت ميمونة سوى ركعتي الفجر وقد خفي ذلك عليها، وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى بمزات عديدة أخرجه البخاري ومسلم وأبوداؤد والبيهقي وأحمد والحاكم وابن شعبة وغيرهم والطبراني والدارقطني والترمذي وأبو يعلى والبزار وابن عدى والنسائي وسعيد بن منصور مع أنه خفي على عائشة حتى روى البخاري عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح بسبحة الضحى".

هذا استدلال قوي قاطع من مولانا محمد يوسف، كما يدل على أنه قد طالع كتباً كثيرة وأنه كان يمتلك علماً جماً من الحديث الشريف، ليس هذا فحسب، بل وصاحبنا قد طالع كتب السيوطي فردّ عليه بقوله حيث:

"وقد قال السيوطي بنفسه في بعض رسائله بأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ملازماً لها في جميع أوقاته بل لها منه في وقت من أوقات الخ".
ويلخص قوله واستدلّاه في قول:

"فعلم من ذلك أن إنكار عائشة رضي الله عنها شيئاً من الأفعال النبوية أو حصره في شيء لا يدل على نفي ما عداه في الواقع".

فليس عند صاحبنا حديث قوي يستدل به على عدد صلاة التراويح عشرين ركعة فاستعمل كلمة "يحتمل" مرتين ولكن العارف باللغة يعلم أن هذه الكلمة تدل على الظن لا على اليقين فكيف يمكن العمل بالظن والاحتمال، ولكن صاحبنا أذكي من أن يؤخذ عليه لأنه بحث في مخرج آخر من الوقوع في الاحتمال. يكتب:

"وقد وقع التعارض بين حديث جابر وحديث ابن عباس فيعمل ههنا بما قال أبو داؤد أنه إذا تعارض الخبران عنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى ما عمل به أصحابه من بعده".
يذكر صاحبنا أن الخلفاء الثلاثة عمر وعلي وعثمان رضي الله عنهم قد أجمعوا على عشرين ركعة في التراويح في رمضان ونسب رواية هذا الإجماع إلى مالك وابن سعد والبيهقي يقول:
"فإجماعهم و عملهم واهتمامهم ومواظبتهم على عشرين ركعة فيعهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثابت عند المحدثين كما رواه مالك وابن سعد والبيهقي رحمهم الله".

أخذ صاحبنا يجمع الأحاديث التي تتعلق بعشرين ركعة منها حديث عباس:

"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان في غير جماعة بعشرين ركعة ويوتر."

وحديث الثابت بن زيد الذي رواه البيهقي في سننه باسناد صحيح:

"كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة وروى مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال كان الناس يقومون في زمن عمر رضي الله عنه بثلاثة وعشرين وفي رواية باحدى عشرة".

راجع مولانا يوسف فتاوى العلامة مولانا الشاه عبد العزيز الدهلوي بالفارسية ولخصها تلخيصاً يقول:

"الحاصل أنّ ما وازبط عليه الخلفاء فعلاً وتشريعاً فهو سنة مؤكدة لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضواً عليها بالنواجذ أخرجه أبو داود وغيره".

فإذا وازبط الخلفاء الراشدون على شيء أصبح سنة مؤكدة، أورد المؤلف أحاديث وأثاراً وأقوال الأئمة التي تتعلق باتباع سنة الخلفاء الراشدين منها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"لا تجتمع أمّتي على الضلالة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ".

ودعم قوله بأقوال العلامة ابن تيمية وابن قيم وبدر الدين العيني والطبي والفقيه أبي الليث والقسطاني وعبد الغني النابلسي وغيرهم وعلق على هذه الأقوال كما يأتي:

"فهذه أقوال العلماء ناصعة على أن ما حدث في زمان الصحابة والتابعين بل وتابعهم من غير نكير ليس بداخل في بدعة والارتكاب به ليس بضلالة".

لم يكتف المؤلف على هذا التعليق بل وفصل تعليقه وتحقيقه تفصيلاً رائعاً لأنّ الرسول صلى صرح بأنّ كلّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولكن عمر قال عن التراويح هي نعمت البدعة:

"والتفصيل في هذا المقام أنّ ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سواء كان فعله بنفسه أو فعله أصحابه وقرّهم على ذلك ليس ببدعة اتفاقاً".

ويشرح كلمة البدعة لغة واصطلاحاً شرحاً وافياً حتى يصل إلى قوله:

"وما لم يكن في عهده بل حدث بعده فهو بدعة بالمعنى العام بمعنى المحدث مطلقاً بعد العهد النبوي وهو لا يخلو إما أن يكون من قبيل العادات، أو من قبيل العبادات، فإن كان الأوّل فليس ببدعة وضلالة أصلاً ما لم يدل عليه دليل شرعي على قبجه، وإن كان الثاني وهو لا يخلو إما أن يكون حدث في زمن الصحابة بأن فعله الصحابة كلّهم أو بعضهم أو فعل في زمانهم مع اطلاعهم عليه، وإما أن يكون حدث في زمان التابعين إما أن يكون حدث في زمان تابعي التابعين، إما أن يكون حادثاً بعد ذلك إلى يومنا هذا".

فالحادث في زمن الصحابة إن وجد النكير على ذلك فبدعة وضلالة كالخطبة قبل الصلاة في العيدين فعله مروان وأنكره عليه أبو سعيد الخدري لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر ويوم الأضحى فأوّل شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظّمهم ويوصيهم. وإن لم يوجد النكير بل وجد الرضا والتوافق فليس ببدعة شرعية وإن اطلق عليه اسم البدعة بالمعنى العام وهي بدعة حسنة يقول:

"فمن ذلك الأذان الأوّل يوم الجمعة كما أخرجه البخاري وابن ماجه والترمذي وغيرهم عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوّلّه إذا جلس الإمام على المنبر على عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان كثر الناس زاد النداء الثالث، قال النووي إنّما جعل ثالثاً لأنّ الإقامة أيضاً تسمّى أذاناً".

راجع المؤلف لتأليف هذا الكتاب كتباً كثيرة ومصادر جمّة مثل "منهاج السنّة" لابن تيمية و"كتاب المواعظ والاعتبار" لتقي الدين أحمد بن علي المقرئزي و"السيّل الجرار" للشوكاني والصحيحين للإمام البخاري ومسلم و"فتح الباري" لابن حجر العسقلاني و"الاستيعاب" لابن البر والزرقاني، و"المدخل" لابن الحاج المالكي و"البحر الرائق" وغيرها من الكتب والمصادر.

أنهى مولانا يوسف شاه هذا الكتيب بأن من ينكر عشرين ركعة بعد ما تبين له من الأحاديث والآثار ومواظبة الخلفاء الراشدين والصحابة عليها فإنّه يتبع الهوى بمخالفة سنة الخلفاء وقد لبي وبغى وضلّ وغوى ولم يعمل بقول المصطفى يقول له:

"يا أيّها السالك بغير بصيرة في الليل الحالك حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء، ألا ترى إلى

ما اختاره الصحابة والتابعون والمجتهدون والمحدثون والذين أنت منهم ومن معك لهم مقلدون، اللهم اجعلنا بسنته وبسنة خلفائه من العاملين وبهديه وهديمهم من التابعين آمين يا رب العالمين".

هذه هي مساهمة مير واعظ مولانا محمد يوسف في اللغة العربية ولا نأبى بفقهه الحنفي ورسوخه فيه لأن ذلك لا يهمننا هنا بل ونتجول بالقارئ الكريم إلى حقول لغته التي استعملها لتسجيل هذا الكتاب وقد ذاق اللغة العربية ذوقاً وتشربها تشرباً.

إن مير واعظ يشتهر بين أهالي كشمير كعالم جليل و فقيه حنفي كبير لأنه لعب دوراً هاماً في تحرير كشمير من المحتلين وأنشأ حركة الخلافة على غرار حركة مولانا محمد علي جوهر وأخيه شوكت في الهند. فلما اضطر إلى الفرار إلى باكستان عين حاكم كشمير الحرّة كما سبق القول، فأصبح معروفاً بسياسي عظيم ومخاصم لأرباب الدولة ومنزاع كبير للشيخ محمد عبد الله الوزير الأعلى لكشمير المحتلة. وقد يرجع الفضل إلى مير واعظ هذا الذي لقب بـ"نور الإسلام" في إيقاظ الوعي السياسي في أهالي كشمير استطاعوا به طرد "الدوغره" الذين كانوا احتلوا كشمير لقرن تقريباً، وقد أضرت السياسة بأسرة مير واعظ من جانب ونفعت لها من جانب آخر. أضرت علماً وأنفعت مالا وشهرة.

ومما نفعت هذه الأسرة أهل كشمير هي دعوتها شعب كشمير إلى التوحيد الخالص النقي وذلك من منبر أكبر جامع بكشمير يفد إليه المسلمون من ضواحي سرينغر ومن القرى والمدن فيتلقون تعاليم الإسلام أيام الجمعة والعيد وليلة نصف شعبان وليلة القدر والمعراج. ولا يعزب عن البال أن ٨٠% من أهالي كشمير ليعتقدون اعتقاداً فاسداً لم ينزل الله بهذا الاعتقاد من سلطان قد رجع إليهم اللات والعزى ومئات وسواع ويغووث ويعوق.

فنداء التوحيد الخالص في مثل هذه البيئة لا يقل عن جهاد في سبيل الله. أمّا اليوم فان هذه الأسرة صارت أسرة سياسة أكثر من دينية وعلمية وذلك ما دعاها إليها الاضطرار. أمّا يوسف فقد كان جمع بين العلم والسياسة فعرفته السياسة إلى الناس وساءت صيته بها عند البعض وخلّده العلم بين الشعب كافة لأن ترجمته للقرآن الكريم تدرس في كل مكان. كان صاحبنا أقرأ لكتاب الله من دونهفي كشمير وأعلمهم بالسنة وقد اضطر إلى الهجرة فينطبق عليه ذلك الحديث الذي رواه أبو مسعود عقبة بن عمرو البديري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي
السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةَ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سَنًا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ"¹.
اللهم اغفر لصاحبنا هذا مغفرة لا تغادر ذنبًا.

.....

المصادر والمراجع

1. تنوير المصابيح لركعات التراويح لمولانا يوسف شاه الكشميري طبع ن2 بمطبع كريمي لاهور الطبعة الأولى.
2. جريدة نصرة الاسلام لشهر شوال عام 1414هـ. ن2
3. كشمير ميں عربی علوم اور اسلامی ثقافت کی اشاعت، لدكتور فاروق احمد البخاري، نيو كشميرريس سرينغر ١٩٨٧م.
4. مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي (في الطبعة) للدكتور محمد مظفر حسين الندوي.
5. بيان الفرقان لمولانا يوسف شاه الكشميري طبعة مجمع شاهفهد المملكة العربية السعودية.
6. حریت کے تین اہم کردار مولوی سعید الرحمان شمس طبع عام ٢٠٠١ م الطبعة الاولى.

¹ رواه مسلم، باب من أحق بالإمامة، رقم الحديث: 1564

الولايات المتحدة بمنظار سيد قطب -رحمه الله-

دراسة تحليلية لزيارة سيد قطب إلى أمريكا وتجاربه الخاصة

د. عناية الله واني الندوي¹

المدخل:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد!

إن لأمريكا جولة وصول في العالم كله وخاصة في العالم العربي والإسلامي، أصبحت أمريكا تتحكم في مصائر الشعوب بنظام أسمته نظاما عالميا جديدا وبدأت تطبق على العالم ما تريد من مناهج ونظم وثقافات وفنون ومبادئ وقيم وأخلاق وسلوك ومؤامرات ودسائس وحروب وأحداث وما إلى ذلك.... وهناك بعض المفتونين والمتأثرين بهذه الهيمنة الأمريكية يقتاتون الفتات على مائدة أمريكا ويتعبدون في محاريبها ويقدمونها، وقبل أكثر من أربعين عاما شاهد الداعية الفذ سيد قطب مواطن الخراب وإن ظنه الناس بنيانا شامخا، ورأي هذا السراب عن قرب وإن حسبه الناس ماء ذلالا للظلم، ووقف على سمات أمريكا وعرف حقيقة مبادئها وحضارتها ونظامها ومنهجها ودسائسها ومؤامراتها ومكرها وكيدها، وحصل كل ذلك لسيد قطب عندما أوفد إلى أمريكا في نهاية الأربعينات وبقي فيها سنتين كاملتين. نحاول بإذن الله في هذه الورقة المتواضعة التطرق إلى ما وصل إليها سيد قطب من انطباعات ومشاهدات وتجارب عملية، بعيدين عن سرد الأحداث سردا تاريخيا، مركزين على المنهج العلمي التحليلي للوصول إلى نتائج مثمرة حتى تكون صورة الولايات المتحدة جلية واضحة أمام أعيننا ولا نغتر بهذا السراب الخادع الفاتن، والله ولي التوفيق.

سبب بعثة سيد قطب إلى أمريكا:

كان لسيد اهتمام كبير بالقضايا السياسية والاجتماعية والوطنية التي تعيشها مصر وشعبها وكان يستخدم الصحف والمجلات لنشر مقالاته الإصلاحية العنيفة، مثل "الرسالة" و"الثقافة" وكان مستمرا في كتابة مقالاته العنيفة التي كانت تزعج السلطة، وفي عام 1947م أصدر مجلة باسم "الفكر الجديد" شَنَّ فيها

¹ أستاذ مساعد بكلية دودة الحكومية. جامو وكشمير ، Mob: 9858003848 Email: enayatwani@gmail.com

هجومًا على الأوضاع الاجتماعية التي كانت قائمة آنذاك يسودها الظلم الاجتماعي، فجعل سيد يناضل ويدافع عن حق الشعب على صفحات مجلته، فعمدت الحكومة إلى سحب رخصة المجلة، وأقفلوا في وجهه كل وسائل النشر. (1)

ورأت الحكومة أن تمنعه من نشاطه، وما كان هناك أي مبرر قانوني لاعتقاله، حتى أصدرت السراي الملكية أمرا باعتقاله، ولكن سيدا لم يعتقل، لأنه كان على صلة شخصية برئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي، فطلب منه مغادرة البلاد في صورة بعثة إلى الولايات المتحدة لدراسة النظم التعليمية فيها، وتردد سيد في قبول ذلك العرض، واستمر في تردده ما يقارب السنة ثم وافق عليه بعد ذلك. (2)

سفر سيد قطب إلى أمريكا ومحاولات لإغوائه:

سافر سيد إلى الولايات المتحدة في 3/11/1948م على ظهر باخرة من الإسكندرية إلى نيويورك. (3) هناك على ظهر الباخرة جرت له عدة حوادث، أشار إلى بعضها، بعد ما قرر اختيار الالتزام بالإسلام والدعوة إليه في أمريكا وجهت له فتنة من إحدى الأمريكيات على ظهر الباخرة، فأعانه الله في الاستيلاء عليها، وعن هذا الحادث يقول:

"وأردت أن أكون الرجل الثاني -المسلم الملتزم- وأراد الله أن يمتحنني: هل أنا صادق فيما اتجهت إليه أم هو مجرد خاطرة؟

فما أن دخلت الغرفة، حتى كان الباب يقرع وفتحت، فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري، وبدأتني بالانجليزية: هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفته عليه هذه الليلة؟ فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد! فقالت: وكثيرا ما يتسع السرير الواحد لشخصين!! واضطرت أمام وقاحتها ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها، لتصبح خارج الغرفة، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر، فقد كانت مخمورة....". (4)

نشاطاته في أمريكا:

بعد وصوله إلى أمريكا أمضى أولا عدة أشهر في دراسة اللغة الإنجليزية، لأنه لم يدرسها دراسة أكاديمية في كلية دار العلوم، ولما أتقن اللغة الإنجليزية صار يتجول في المدن الأمريكية ويزور الجامعات والمعاهد العلمية فيها، للاطلاع على النظم التعليمية المتبعة فيها وطرق التدريس فيها وعلى معالم المدن ومناظرها الطبيعية في جبالها، دون أن يكون مرتبطا بمعهد أو جامعة معينة للدراسة فيها، ولم تكن بعثته محدودة بزمان معين، إنما كانت مدتها مفتوحة تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية.

قضى سيد في أمريكا عامين، وشملت جولته عدة ولايات، حيث زار مدنا مختلفة، كان يدرس المجتمع

الأمريكي ويحرص على معرفة ما يدور فيه من الداخل، وحتى يتحقق له ذلك انخرط في ذلك المجتمع، يشارك فيه من قرب، يقول في هذا الصدد:

"كنت ليلة في إحدى الكنائس ببلدة جريلي بولاية كولورادو، فقد كنت عضوا في عدة

نواد كنيسية في كل جهة عشت فيها، ما بين واشنطن في الشرق وكليفورنيا في الغرب". (5)

كان يكتب المقالات ويرسلها لبعض الصحف والمجلات في مصر، وأحيانا كان يسجل المدينة التي كتب فيها المقالة، وبهذه الطريقة اللطيفة عرفنا بعض المدن التي أقام بها. وكذلك كان يرسل رسائل شخصية إلى إخوانه وأقاربه ومعارفه. أقام في مدينة "نيويورك" و"واشنطن" و"جريلي" بولاية كولورادو، وفي مدينة "جريلي" كان يعقد المناقشات ويوجه الانتقادات ويلاحظ مظاهر الفساد والانحراف ولذلك اشترك في نادي الكنيسة فيها، ولاحظ الفساد الأخلاقي الذي شمل كل شيء حتى وصل إلى الكنيسة. هناك شارك في مجلات المدينة، حيث كتب مقالا في مجلة "Fulerun" التي تصدر فيها، بعنوان "العالم ولد عاق" بنى فكرته على أسطورة مصرية قديمة، خلاصتها:

إن التاريخ كان يقوم بجولته لتتبع الأحداث وتسجيلها، وكان يسأل الآلهة مما يغمض عليه، فشاهد امرأة تُعلم طفلا، فسأل الآلهة عن ذلك فأجابوه بأن المرأة هي مصر، وأن الطفل هو العالم، فمصر هي أم الحضارات، وعلق سيد بأن الطفل لما كبر عَقَّ أمه ومعلمته مصر، فأمرىكا العاقبة لمصر، خذلنها في قضايا السياسية. (6)

أعجب سيد بجمال "جريلي" وصف غفلة أهلها عنها بقوله:

"وهذه المدينة الصغيرة "جريلي" التي أقيم بها الآن، إنها جميلة جميلة، حتى ليخيل إلى

الإنسان أنها أنبتت إنباتا في روضة حاملة.... لي ستة أشهر لم أشهد مرة واحدة فردا أو أسرة جالسة

تستمتع بذلك الجمال البارع الحالم، ولا سيما في ليالي الصيف". (7)

وفي ولاية "كليفورنيا" أقام سيد مدة طويلة، أول ما أقام في عاصمة الولاية "سان فرانسيسكو" ولعل جوهالم يوافقه فمرض ودخل مستشفاه، وهناك شاهد مظاهر الفرح والابتهاج لدى موظفي المستشفى لاستشهاد "حسن البنا" المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في مصر.

ملاحظاته وانطباعاته عن أمريكا:

كتب سيد قطب ملاحظاته وانطباعاته عن المجتمع الأمريكي الإباحي المادي الميكانيكي في سلسلة مقالاته التي عنونها بـ "أمريكا التي رأيت في ميزان القيم الإنسانية" كما أورد شطرا منها في كتابه "الإسلام ومشكلات الحضارة" وفي مقاله "حمائم في نيويورك" وكذلك نجد في مواضع أخرى أيضا من لفتات وإشارات إلى هذه

الرحلة إلى العالم الجديد.

أحسن سيد -في أمريكا- بشعور الغربة والوحشة وظهر ذلك في قصائد ورسائله التي بعثها من أمريكا للنشر في القاهرة، من هذه القصائد قصيدة "هتاف الروح" وقصيدة "دعاء الغريب" وقد حنّ في مثل هذه القصائد إلى وطنه مصر، فقد جاء في رسالته التي بعثها إلى صديقه أنور المعداوي عام 1949م قوله عن طبيعة الحياة في أمريكا:

"هنا الغربة، الغربة الحقيقية، غربة النفس والفكر، غربة الروح والجسد، هنا في تلك الورشة

الضخمة التي يدعونها العالم الجديد". (8)

بعد ما يصف أمريكا وصفا جميلا يتساءل ما الذي تساويه في ميزان القيم الإنسانية وما الذي أضافته إلى رصيد البشرية من هذا القيم؟ ثم يقول:

"أخشى ألا يكون هناك تناسب بين عظمة الحضارة المادية في أمريكا وعظمة "الإنسان" الذي ينشئ هذه الحضارة وأخشى أن تمضي عجلة الحياة ويطوى سجل الزمن وأمريكا لم تضيف شيئا - أو لم تضيف إلا اليسير الزهيد - إلى رصيد الإنسانية من تلك القيم، التي تميز بين الإنسان والشيء، ثم بين الإنسان والحيوان...". (9)

وقد عايش سيد قطب مع الأمريكيين وجربهم، وبعد التجربة والمشاهدة وصفهم بقوله:

"ولم ألمح في هذه الفترة الطويلة من الزمان ولا في خلال تلك المساحة الشاسعة من المكان - إلا في مرات نادرة- وجها إنسانيا يعبر عن معنى الإنسان، أو نظرة إنسانية تطل منها معاني الإنسانية ولكني وجدت القطيع في كل مكان!". (10)

يصف حال الشعب الأمريكي وفوضويتهم وإدمانهم وخواء روحهم حيث يقول:

"إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! الجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة، والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه يفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب.....ثم الانتحار". (11)

وكذلك يتكلم عن فقدان الحب الحقيقي هناك فيقول:

"والحب! الحب الذي يطلق الطاقات الإنسانية جميعا....إنه هنا في أمريكا جسد يشتهي

جسدا وحيوان يشتهي حيوانا، ولا وقت للأسواق الروحية...". (12)

ومعلوم أن مكان العبادة مقدس عند كل أحد ويقصده الناس للعبادة والدعاء والابتهاال ولكن

صارت الكنيسة في أمريكا مكان اللهو والتسلية، يصف سيد قطب حالهم بقوله:
 "وإذا كانت الكنيسة مكانا للعبادة في العالم المسيحي كله، فإنها في أمريكا مكانا لكل شيء إلا
 العبادة، وإنه ليصعب عليك أن تفرق بينها وبين أي مكان آخر معد للهو والتسلية، أو ما يسمونه بلغتهم
 الـ "Fun" ومعظم قصصها إنما يعدونها تقليدا اجتماعيا ضروريا ومكانا للقاء والأنس ولتمضية وقت
 طيب". (13)

محاولات لإغوائه:

- أشار سيد إلى عدة محاولات لإغوائه وإيقاعه في مستنقع الشهوات، وكيف أن الله أراد به الخير وأعانته
 على الانتصار عليها، نذكر خلاصتها فيما يلي -كما ذكر هو بنفسه:-
- تلك الفتاة التي قامت بجهد كبير لإغوائه ولاحقته في جامعة إلى أخرى.
 - تلك الفتاة التي ناقشته - في معهد المعلمين في مدينة "جريلي" في مسائل جنسية مكشوفة.
 - تلك الفتاة الممرضة التي كانت تغريه وهو في المستشفى، بإسماعه ومواصفاتها التي تطلبها في الشخص ليكون
 عشيقا لها.
 - تلك الفتاة الجامعية التي كانت تناقشه، وتريد أن تمحو من ذهنه النفور من الرذيلة، وتزعم له أن "الجنس
 عملية بيولوجية" لا داعي لإقحامها في المعاني الأخلاقية.
 - عامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية - طبيعية أو شاذة - وإثارة بالحديث عن
 عينات منها.
 - الشاب العربي الذي كان يغريه بإسماعه قصصا عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات! (14)

محاولات لاحتوائه فكريا وسياسيا:

- بعد أن فشلت جميع المحاولات لإغوائه وإغرائه وإفساده أخلاقيا، قاموا بمحاولات لاحتوائه فكريا
 وسياسيا، أشار سيد إلى بعض النماذج للتنافس بين رجال المخابرات الإنجليزية والأمريكية لاحتوائه وكيف أعانه
 الله تعالى على الخروج من تلك المحاولات معتزا بدينه ملتزما بإسلامه.
- من هذه الجهود تلك التي قام بها رجل المخابرات الإنجليزي "جون هيبوروث دن" وكان قد أقام بمصر فترة،
 وادعى فيها أنه أسلم وتسمى باسم "جمال الدين" وتزوج فتاة مسلمة، ثم أقام في أمريكا وألف فيها كتابه الخطير
 "التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة" وقد أخبرنا سيد عن بعض ما قام به "دن" معه:
- أخبره أن الكثير من الحاكمن في الدولة الأمريكية تخرجوا في المعاهد التبشيرية وعدّ له عشرات من
 الأسماء البارزة، في وزارة الخارجية الأمريكية في السلك السياسي، وقد تشكك سيد في كلام "دن"
 فتحقق من صحتها بوسائل أخرى.

- عرض على سيد أن يترجم كتابه "العدالة الاجتماعية في الإسلام" إلى الإنجليزية مقابل عشرة آلاف دولار، ولكن سيد رفض عرض "دن" وقدم الكتاب إلى المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية، حيث ترجمه المستشرق "يوحنا جون" - الأستاذ بجامعة هاليفاكس بكندا - مجاناً.
- حدث "دن" سيد أكثر من مرة عن أحداث مصر السياسية والاجتماعية وعن المخاطر التي تنتظرها في المستقبل، وأخذت "جماعة الإخوان المسلمين" حيزاً كبيراً من حديثه، حيث قدم لسيد - كما أورد في كتابه "التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة" - معلومات مفصلة دقيقة عن الجماعة وأهدافها ونشاطها وبرامجها، ثم حذر سيد من الخطر الماحق الذي يهدد مصر، إذا نجحت الجماعة في قيادتها وحكمها وتوجهها، وأظهر لسيد أن الأمل معقود على المثقفين والمفكرين ليحولوا بين هذه الجماعة والوصول إلى الحكم ليحكموا ويلحقوا البلد بالحضارة الغربية. (15)

الجانب الإيجابي لأمريكا:

وقد أشار سيد قطب إلى الجانب الإيجابي لأمريكا وإلى فضائلها مقراً بإيجابياتها حيث يقول:
 "....إن هذا لا يعني أن الأمريكان شعب بلا فضائل، وإلا لما أمكنه أن يعيش، ولكنه يعني أن فضائله هي فضائل الإنتاج والنظام، لا فضائل القيادة الإنسانية والاجتماعية، فضائل الذهن واليد لا فضائل الذوق والشعور....." (16)

وذكر سيد أن لأمريكا قيمة حقيقية يمكن أن تنتفع به الشعوب الأخرى قائلاً:
 "إن البشرية تملك أن تستفيد كثيراً من إبداع العبقرية الأمريكية في مجالات الصناعة والإنتاج والإدارة، ولكنها تخطئ كثيراً وتعرض قيمها الإنسانية الموروثة للضياع إذا ما جعلت من المثل العليا الأمريكية مثلاً العليا في الشعور والسلوك". (17)
 هذا هو الانطباع العام الذي خرج به سيد قطب عن أمريكا.

عودته من أمريكا:

أقام سيد قطب في أمريكا قرابة سنتين، ولكن في أيامه الأخيرة امتلأ شوقاً إلى مصر وأهله وزاد حنينه للعودة إليهما، وقد نظم قصيدتين وهو في أمريكا أظهر فيهما شوقه وحنينه لمصر وشعوره بالغربة هناك، الأولى منهما "هتاف الروح" والثانية "دعاء الغريب". (18)

وفي نهاية المطاف قرر سيد العودة إلى مصر وأخبر أهله وأصدقاءه بموعد عودته وكان ممن أخبرهم "عباس خضر" الذي كان يحرر زاوية أسبوعية في مجلة "الرسالة" زاوية "الأدب والفن" فنشر الخبر فيها قائلاً:

"يصل بالطائرة يوم 20/ أغسطس الحالي، الأستاذ سيد قطب عائداً من أمريكا، حيث كان مبعوثاً من

وزارة المعارف، لدراسة النظم التعليمية هناك". (19) وصل سيد إلى القاهرة في 20/8/1950م، وفي اليوم الثالث لوصوله باشر عمله في وزارة المعارف. (20)

خاتمة البحث:

لقد زار سيد قطب أمريكا ومكث فيها سنتين وعاش مع الأمريكيين وكان بعض الناس يظنون أنه سيعود خادماً لأمريكا، ولكن بعد عودته إلى مصر خيب ظن أمريكا وأخواتها، الذين أرادوا احتواءه ليعود إلى مصر يمهّد لاستعمارها القادم لمصر، ولكنه زاد إيماناً والتزاماً للإسلام، وأصبح مسلماً واعياً، ومؤمناً ملتزماً، بدأ سيد يتكلم عن أمريكا ينقد عليها ويكتب ما رأى وشاهد فيها وكتب جميع انطباعاته من منطلق إسلامي واضح، فخر عليهم السقف من فوقهم، ولم يكن سيد سطحيًا في تحليلاته بل هي تدل على أنه نفذ إلى قلب المجتمع الأمريكي وأعمل منهجه التحليلي وبيانه التصويري، ليخرج لنا الصورة الكاملة الواضحة من أعماق الحياة الأمريكية، وقد كان معتدلاً ومنصفاً في تحليله وبيانه في ذكر الجوانب كلها الإيجابية والسلبية، وقد برهن جيداً الظاهرة الأمريكية وقام بتعريبها والتحذير منها، وبصّر بالخطر الأمريكي وحذر من عواقبه، إن كل من يقرأ هذه التحليلات سيعرف الكثير عن أمريكا، يعرف حقيقتها ويقف على قزامتها وعلى ضآلتها. رحم الله سيد قطب وجزاه عنا وعن الأمة خير الجزاء.

.....

المراجع و المصادر

- (1) د. عبد الله عوض الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى، 1983، ص: 99
- (2) يوسف العظم، رائد الفكر الإسلامي المعاصر الشهيد سيد قطب، حياته ومدرسته وآثاره، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى 1400هـ/1980م، ص: 206-207
- (3) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دارالقلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991 ص: 194
- (4) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 27
- (5) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، دار الشروق، الطبعة العاشرة، 2005، ص: 82
- (6) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 31
- (7) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 144
- (8) علي شلش، أنور المعداوي في رسائل معاصريه، مجلة "الكاتب" السنة الخامسة عشرة، العدد: 173 أغسطس 1975، ص: 28، نقلاً عن: عبد الله الخباص، سيد قطب الأديب الناقد، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى،

1983، ص: 100-101

(9) مجلة الرسالة عدد: 957، 5/ نوفمبر 1591 ص: 1245-1246، نقلا عن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 22

(10) الرسالة، عدد: 959، ص: 1302، نقلا عن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 33

(11) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1971، 211/1

(12) مجلة الكتاب، 10 ديسمبر 1949 م، ص: 667، نقلا عن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 24

(13) الرسالة، عدد: 959، ص: 1302، نقلا عن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 23

(14) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 27-28

(15) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى،

هـ/ 1991 ص: 197-198

(16) الرسالة، عدد: 961، ص: 136، نقلا عن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 43

(17) من مقال عبد المنعم منيب: "من سيد قطب إلى جمال مبارك" موقع طريق الإسلام،

<https://ar.islamway.net/article/48221>

(18) أنظر قصيدتين بكاملهما في "أمريكا من الداخل" ص: 145-137

(19) د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب، دار المنارة، جدة، ط: 1985، ص: 38

(20) د. صلاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1411 هـ/ 1991 ص:

210-211

.....

استخدام الوسائل الحديثة في تدريس اللغة العربية

البروفيسور محمد أيوب تاج الدين الندوي¹

لقد دخلنا القرن الواحد والعشرين الميلادي وكان العالم قد تحول إلى قرية. إن أي حادث يقع في بقعة نائية من أرجاء العالم لا نلبث إلا ونعرفه في بضع دقائق فور وقوعه. فقد شهدنا طفرات استثنائية في قدرة التكنولوجيا الحديثة على جعل المعلومات تتدفق بسرعة هائلة، حيث القنوات الفضائية، وشبكة الإنترنت العالمية، التي جعلت الوصول للمعلومات، والمعرفة سريعاً، فعصرنا هذا هو عصر الإعلام، والاتصال، والحاسوب، والإنترنت، والفضائيات، ومن اللافت للنظر أن جيل طلابنا الشباب هو الأكثر تفاعلاً مع هذه الأدوات. فألا يجب علينا – نحن أساتذة اللغة العربية - أخذ المتغيرات الجديدة، في بلورة رؤية جديدة، إذ لا يمكن التعامل مع جيل الشباب، إلا بأدوات الحاضر، وبثقافة جديدة، حيّة وفاعلة ولا بد أن نفتح الفرص أمام الشباب للعمل، والعطاء، والفاعلية. فلماذا لا نعتمد على معطيات التقانة الحديثة، من أجل الإسراع للحاق بالحركة العلمية العالمية. فالحاسوب مثال على التكنولوجيا المتطورة في خدمة المتعلم، والمعلم، وأغراض التدريب.

مما لا شك فيه أن اهتمام العلماء الهنود باللغة العربية كان كبيراً منذ البداية ولكن ذلك الاهتمام كان في معظم الأحيان في مجال الكتابة فقد قام الهنود بتأليف مختلف الكتب باللغة العربية في موضوعات متنوعة ولكن دراسة العلوم الإسلامية وتأليف الكتب فيها كان أكبر هم لهم في القرون الماضية، وبعد تأسيس المدارس الإسلامية في الهند وخاصة بعد تأسيس ندوة العلماء في نهاية القرن التاسع عشر واهتمام أهلها الزائد باللغة العربية نطقاً وكتابة، انتشرت اللغة العربية في البلاد انتشاراً سريعاً. وازدادت الرغبة عند النشء الجديد بعد صدور مجلات عربية في مختلف أرجاء الهند وإرسال بعثات تعليمية إلى الجامعات العربية وبهذا كثر عدد الناطقين باللغة العربية في هذه البلاد وحقت المدارس العربية الإسلامية والكليات والجامعات الحكومية نجاحاً كبيراً في مجال تعلم وتعليم اللغة العربية. وبعد الحادي عشر سبتمبر، والحرب الأمريكية العراقية وبعد العولمة الاقتصادية ودخول الشركات المتعددة الجنسيات في الأسواق

¹ رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة المللية الإسلامية، Email: mayub@jmi.ac.in

الهندية ازدادت أهمية اللغة العربية واتسع نطاق استخدامها حتى في السياحة الطبية في الهند وكثير عدد الراغبين لتعلم هذه اللغة نطقا وكتابة، فكان من اللازم على مدرسي اللغة العربية أن يفكروا في تطوير النظرة إلى مفاهيم لغوية مهمة، كمفهوم التعليم، والاكساب اللغوي، وإثراء مفهوم التواصل اللغوي واستغلاله في الاقتصاد، وكذلك تطوير مناهج تعليم اللغة العربية وطرائقها. لذلك سوف نتطرق في هذه المقالة إلى موضوع المهارات اللغوية لبيان أهميتها ومكانتها في اكتساب اللغة، كما سنوضح كيفية اهتمام الطرائق الحديثة بهذه المهارات لما لها من أثر وقيمة في كل عملية تربوية كما يؤكد ذلك المهتمون بهذا الميدان. المهارات اللغوية: هي أربع مهارات (الاستماع - الكلام - القراءة - الكتابة)، ولما كان لكل علم أهدافه، فإن هذه المهارات الأربع في تعليم اللغات تمثل الأهداف الأساسية، التي يسعى كل معلم لتحقيقها عند المتعلمين، فتعلم أي لغة من اللغات، سواء كانت اللغة الأم أم لغة أجنبية، إنما هدفه هو أن يكتسب المتعلم القدرة على سماع اللغة والتعرف على إطارها الصوتي الخاص بها، ويهدف كذلك إلى الحديث بها بطريقة سليمة تحقق له القدرة على التعبير عن مقاصده، والتواصل مع الآخرين أبناء تلك اللغة خاصة، وكذلك يسعى إلى أن يكون قادرا على قراءتها وكتابتها.

فاللغة مصدر رئيسي لعمليات الاتصال بين الأفراد، والجماعات، واللغة بهذا الاعتبار تتكوّن من عنصرين رئيسيين هما:

الأول: عنصر الصوت، وهو مرتبط بالنطق والسماع.

الثاني: عنصر المعنى، وهو مرتبط بالقراءة والكتابة.

وإن اللغة المسموعة أو المكتوبة هي المصدر الأساس لجميع عمليات الاتصال، في حياة الأفراد، والجماعات. وإذا استطاع الإنسان استخدامها بيسر وسهولة ومهارة، أمكن له أن يبلغ ما جال في خاطره إلى الآخرين بكفاءة.

وبما أن عصرنا الراهن عصر مختلف تماما من العصور الغابرة بحيث دخل فيه التعليم عن بعد بواسطة المستحدثات التكنولوجية، ونرى أن المعلم يستطيع أن يدرس تلاميذه في مختلف أرجاء العالم وهو واقف في فصله يشرح دروسه ويجب على أسئلة طرحها طلابه عبر الشاشة من أي مكان في العالم. فكيف يكون حال أساتذة اللغة العربية في الكليات والجامعات؟ وهل نستطيع أن نستفيد من هذه المستحدثات التكنولوجية في تعليمنا لطلابنا، وهل نستطيع أن نستفيد من الحاسوب والإنترنت في تقوية مهارات طلابنا وتحسين قدراتهم في النطق باللغة العربية والكتابة بها؟

ويعتقد بعض الباحثين أن استخدام تكنولوجيا التعليم، وخاصة المستحدثات التكنولوجية يلغي دور المعلم، حيث يمكن للمتعلم تلقي دروسه مباشرة، من دون الحاجة إليه. بينما في ضوء تكنولوجيا التعليم، يتغير دور المعلم من الملقن إلى مدير، أو موجه، أو مرشد للتعليم، ويتأتى ذلك عن طريق تمكّنه من بعض مهارات تشغيل الأجهزة، ومصادر التعلم، والمواد التعليمية، والبرامج، وكيفية إنتاجها، والقدرة على تقويمها، وقيادته للمناقشات الصفية. لذا فمن الضروري وضع برامج تدريبية، على مستوى عال، وضمان الاستخدام الأمثل، للأدوات، والبرامج المتاحة، باستخدام هذه التكنولوجيا.

وبهذه الطريقة نستطيع أن نصطنع جوا يسود فيه النطق العربي لأننا نتعلم اللغة بالتدريب وتسنع لطلابنا الفرصة ليتحدثوا بهذه اللغة ويتدربوا على النطق بها بطلاقة، لأننا نعرف أن العرب في أيامنا هذه يصعب عليهم التحدث بهذه اللغة بطلاقة وذلك بسبب اهتمام عامتهم باللهجات المحلية التي كأنها لغات أعجمية ولا تمت إلى اللغة العربية الفصحى بصلة. وهذا الشأن يقول ابن خلدون "بعد أن انتهى العهد الذي كان فيه تربية الملكة اللسانية طبعاً وسليقة، فإنه لا بد من اصطناع المناخ اللغوي اصطناعاً متعمداً، واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة الملكة اللسانية... ويشير المتعلم إلى "أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم (العرب) القديم، الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب، في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضاً في سائر فنونهم، حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم، من المنظوم والمنثور، منزلة من نشأ بينهم.... فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، ويزداد بكثرتها رسوخاً، وقوة... وهكذا يجب أن يكون تعلمها..."⁽¹⁾

وفي أيامنا هذه يستخدم الحاسوب في كافة مرافق الحياة، لذلك أصبحت المعرفة الحاسوبية ومهارات استخدام الحاسوب من المهارات الضرورية تماماً مثل القراءة والكتابة والحساب، ومن لا يتقن استخدامه يعتبر أمياً في عصرنا هذا.

وقد أصبح وجود الحاسوب وربطه بشبكة الإنترنت العالمية في البيوت من الضرورات التي يحتاجها كل فرد فيها. وهناك تزايد ملحوظ في اقتناء هذه الأجهزة بمختلف أنواعها.

ويمتاز الحاسوب عن الوسائل الأخرى بقدرته على استيعاب الصور والصوت والنصوص والحركات ومقاطع الفيديو، وكذلك قدرته على إيجاد حالة من التفاعل مع المتعلم، وتعتبر هذه الخاصية من أهم

(1) (ابن خلدون) المقدمة) بيروت - دار القلم - ط1 - 1978.

خصائص التعلم بوساطة الحاسوب، حيث يكون المتعلم نشيطاً، ويكون التواصل بين المعلم والمتعلم زائداً بل متزائداً. وإن استخدام برنامج باور بوينت خاصة مع استخدام النص والصورة ومقاطع الفيديو يجعل درس اللغة العربية لدى الطالب أمراً مشهوداً ويكون تفاعله مع مدرسه متنوعاً وقوياً.

وإن استخدام التكنولوجيا لا يلزم أبداً أن نتعلم التكنولوجيا وصناعتها لأن ذلك يأخذنا بعيداً عن الأهداف الحقيقية للتعلم، فالمفروض على مدرسي اللغة العربية أن تكون فكرته عن فوائد التكنولوجيا واضحة ويعرف كيف يستخدمها في صالح تعليم اللغة العربية.

وعلى سبيل المثال نقدم هنا بعض المجالات التي يمكن استخدام الحاسوب لتدريس اللغة فيها.

فمن المجالات التي يمكن تطويرها في القراءة باستخدام الحاسوب ما يأتي:

الاستيعاب:

هناك بعض البرمجيات المصممة بحيث يظهر نص على الشاشة يلي ذلك أسئلة موضوعية من نوع ملء الفراغ، أو صح أو خطأ، أو اختيار من متعدد. أو يسأل عن معنى كلمة من النص.

سرعة القراءة:

يمكن تطوير مهارة الطلبة في القراءة السريعة باستخدام برمجيات خاصة تستخدم عنصر التوقيت فيها، حيث يتم عرض النص على الشاشة لفترة زمنية محددة وبعدها يختفي النص وتظهر أسئلة ليجيب عليها الطالب. أو تتم العملية العكسية حيث تظهر الأسئلة أولاً ثم يظهر النص بعد ذلك.

الكتابة:

تستخدم برامج معالجة النصوص في الكتابة، حيث تمنح المتعلم الحرية في معالجة النص كالصحح الفوري والتدقيق الإملائي، والترجمة، كما أن عملية التخزين تتيح للمتعلم إعادة تفحص النص الذي كتبه وإجراء التعديلات عليه والاحتفاظ بالنسخ القديمة منه وذلك لتفحص التعديلات العديدة التي تمت عليه. ويُعد هذا الأسلوب مشوقاً للطالب، ويحسن من أدائه في التعبير والإنشاء، ويجعله أكثر إتقاناً للغة والإملاء وأكثر دقة في القضايا النحوية.

المحادثة:

هناك بعض البرامج التي تستخدم لتطوير مهارة التحدث لدى المتعلمين، حيث يقوم المتعلم بالاستماع إلى حوارات تجري بين العديد من الأشخاص حول موضوعات متنوعة ويتعلم الطالب من خلالها كيفية طرح الأسئلة على الآخرين في مواقف معينة وكذلك كيف يرد على هذه الأسئلة إذا طرحت عليه.

كما تتيح شبكة الإنترنت مواقع للتدرب على المحادثة بالتواصل مع طلبة بالصوت والصورة من مختلف البلدان ومناقشة موضوعات مختلفة وتبادل الآراء معهم.

وأما في قواعد اللغة العربية فأنا أرى أننا نستطيع أن نصنع برامج في مجال استخلاص الجذور وتصريف الأفعال واشتقاقاتها. وفي النحو نستطيع أن نخطط برامج في هيكل الجملة من فعلية واسمية.

وأما في مجال الترجمة فهناك برامج مختلفة لها ولكننا نحتاج إلى مزيد من الحيلة والحذر حيث هيكل الجملة عندنا في اللغة العربية هو فعل+ فاعل+ مفعول وهو مختلف من اللغات الغربية مثل اللغة الإنكليزية حيث هيكل الجملة فيها فاعل+ فعل+ مفعول.

وهنا ينشأ في ذهني سؤال دائما وهو:

هل من الصعب أن ننجح في الترجمة الآلية باللغة العربية؟ وذلك لأن اللغات الأخرى لا تحتاج إلى عقل وتفكير كبيرين ففيها احتمال الخطأ قليل أما اللغة العربية فهي لغة العقل والتفكير والجهاز الميكانيكي لا يستطيع أن يفكر وإنما هي جهاز آلي غير عقلي.

أو نقول ذلك سهل لأن الكمبيوتر يعمل عمل الرياضيات وهو عمل عقلي واللغة العربية عملية عقلية فنستطيع أن ننجح في تعليم اللغة العربية بسهولة أكبر.

فأنا أطرح هذا السؤال وهي سؤال عندي حائر يحتاج إلى جواب.

وحاصل الكلام أننا نستطيع أن نستفيد في تعلم وتعليم اللغة العربية استفادة كبيرة من عالم التكنولوجيا وبما أن العقدين الماضيين شهدا ثورة متدفقة في وسائل الاتصال والتكنولوجيا وهذه الوسائل قامت بتأثير كبير في المجتمع البشري من حيث الثقافة، فمن المناسب جدا أن نستخدم الوسائل التكنولوجية الحديثة في تعليمنا اللغة العربية لطلابنا.

المراجع

- 1- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (المقدمة) دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، سنة الطباعة 1978 م.
- 2- فتحى علي يونس و محمد عبد الرؤوف الشيخ، المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب "من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة،: الطبعة الأولى سنة الطباعة 2003 م.

المقارنة بين أبي العتاهية والشيخ نور الدين ولي في إطار الزهد

عبدالرشيد فاتح القاسمي¹

المدخل:

هذا البحث بعنوان "المقارنة بين أبي العتاهية والشيخ نور الدين ولي" وقد قارنت فيه عن شعر الزهد للشيخ نور الدين ولي في اللغة الكشميرية وشعر الزهد لأبي العتاهية في اللغة العربية، إن للشاعرين مكان الريادة في هذا النوع من الشعر في اللغتين المذكورتين. بالرغم من كونهما من الزمنين المختلفين و اللغتين المختلفتين قدما فكرة واحدة و عالجا اغراض الزهد المتساوية. على أن جذور الشعر قديمة في اللغتين ولكنهما إمامان في المجال و يرتبط شعرهما بالدين الإسلامي فحسب، يستمدان في معظم الأحيان من أصول اسلامية بحتة متأثراً بالقران الكريم و السنة النبوية. إن موضوعات شعر الزهد لدى الشاعرين تركز على توحيد الله في ذاته وصفاته والقضاء والقدر وفكر الآخرة والدعوة إلى تحقيق الدنيا وذمها و التوكل على الله والعبادة و تحليل النفس و تزكيتها و الأخلاق الحسنة وسيئها، ولهما أروع أبيات في الحكمة يتفجر منها أنهار النباهة والكياسة. وحاولت أن أقدم هذه المقارنة حسب الموضوعات والأغراض لدى هذين الشاعرين الجليلين، ويحمل هذا في طياته أهمية أدبية و ارتباطا روحية بين الثقافتين.

في صفات الله:

إن ذات الله وصفاته لهما أهمية أساسية في المعتقدات الدينية، ولا بد لمن يؤمن بالله أن يعتقد أنه واحد، صمد، قادر، رازق، مستغاثا وغيره من الصفات السامية. ينبئ ذكر هذه الافكار العقائدية عن قرب الشاعرين من الله سبحانه وتعالى وكيفية إيمانه بالله المستجمع لصفات الكمال.

إن الشيخ نور الدين ولي (1377 - 1438م) أشهر داعية كشميري وإمام للشعر الكشميري الزهدي وأبا العتاهية (747 - 826م) شاعر عربي فذ و رائد الشعر العربي الزهدي يذكران الله وصفاته

¹ باحث بجامعة كشمير، موبائل: 9622524965، البريد الإلكتروني: rasheedfaateh14@gmail.com

في شعرهما ذكرنا يدل على علمهما الواسع واطلاعهما العميق على المعتقد الديني، لم يالوا فيه فكرا ولم يزلقا فيه ذكرا، وقد سلكا فيه مسلكا أرشد إليه الكتاب والسنة وهدى إليه علماء علم الالهيات. إن في شعرهما حول الإيمان بالله وصفاته جاذبية تجذب العقول فتزيدها إيمانا وتغلب الأذهان فتترك عليها أثارا. يقول الشيخ نور الدين ولي:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَحِّحْ كُورَم
وَحْي كُورَم پَنَن پَان
وَجُود تَرَاوَتَه مَوْجُود سُرم
مَر مَوَكِه وَجْهَم پَنَن پَان⁽¹⁾

الترجمة: أمعنت النظر في كلمة لا اله الا الله فصيرت نفسى وحيا أنسيت الوجود وأمسكت بالموجود ورايتني في كل مكان.

إن الذين هم على بصر باللغات ليعرفون أن الترجمة لا تعبر عن ما يرد في النص أتم تعبير. فالشعر الذي قد ذكرته أنفا على مستوى رفيع من الایجاز، ولا تتضح معانيه بالترجمة الحرفية. يقول الشيخ نور الدين ولي أمنت بالله حق إيمانه فصيرتني وحيا أي جعلت أعمالي موافقة لما يهدي إليه الدين، ما أشغلي الكون وموجوداته عن خالقها بعد مشاهدتها بالرغم انى اعتبرتها دالة على الواجب الوجود سبحانه وتعالى، صرفت عنايتي عنها وجعلت الله ومرضاته مركزا لعنايتي وأعمالي كلها، وما زلت حذرا عن ما لا يليق بشانه عز اسمه معبودا ومسجودا.

نجد الشيخ نور الدين ولي متصفا ببلاغة الكلام عامة ونجد هذا الشعر ابلغ معنا وافصح لفظا لما فيه من حمل المصدر على ضمير المتكلم في "وحى كورم پَنَن پَان" صيرت أياي وحيا، ولأنه عبر عن ترك الوجود الحادث بانواعهم جميعها واعتناق الله الواجب في تعبير بليغ حيث جعل الكون مع اشكاله المجهولة العدد غير موجودة بالنسبة إلى وجود الله الواجب القديم في "وجود تراوته موجود سرم". عنيت بالموجود تاركا الوجود استخدم الموجود بإزاء الوجود المشتق منه ولا يخفى لطفه على من له إمام بانواع بلاغة الكلام. وبما أن ثلث الشعر مشتمل على الفاظ اصلها عربي زاده تعمقا روحيا. ويقول أبو العتاهية:

وَحَاشَى أَنْ يَكُونَ لَهُ عَدِيلٌ	تَعَالَى الْوَاحِدُ الصَّمَدُ الْجَلِيلُ
سِوَاهُ فَهُوَ مُنْتَقَصُ ذَلِيلٍ	هُوَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ وَكُلُّ شَيْءٍ
وَإِنْ سَبِيلُهُ لَهُوَ السَّبِيلُ ⁽²⁾	وَمَا مِنْ مَذْهَبٍ إِلَّا إِلَيْهِ

الصمد من لا يطرأه العدم أي الذات الواجب. "وما من مذهب إلا إليه" أي يدل الكون بالوانه المختلفة على ذات الله ووجوده. "كل شيء سواه فهو منتقص ذليل" أي بالنسبة إليه سبحانه وتعالى كل شيء ناقص وعاجز. وإن سبيله لهو السبيل "أي وإن دين الله هو الطريق الحق وطريق النجاة، أحق بأن يتبع واجدر بان يسلك. وهذه هي المعاني اتت بها قريحة الشيخ نور الدين ولي فيما سبق.

يقول الشيخ نور الدين ولي في استحالة معرفة كنه الله سبحانه:

كُنْزِ بُوْزْ كُنتِ نُوْرُوْزْ كُ
اُمِي كُزْنِ كُوْتَا هِدِيْتْ جَلَاو
عَقْل تِي فِكْر تُوْر كُوْت سُوْزْ كُ
كَانَسِه نَبَاهِيُوْكَ چِيْتِه سُهْ دِرِيَاو⁽³⁾

الترجمة: إن ترد أن تفهم ذات الله الواحد (وصفاته السامية) بعقلك المحدود فهما فلن تبقى موجودا، أي تفقد تعقلك في اعماق بحره، ويودّي هذا التهاب شعورك، وأين العقل من ذلك، وما استطاع احد أن يشرب ذلك البحر، (اراد كنه الذات وغموض الصفات لله سبحانه وتعالى)

إن كنه الله وماهيته امر ما استطاع إنسان ان يبلغ إلى معرفته وإن يصرف موهبته العقلية كلها. إن الجهابذة من علماء علم الالهيّات وأهل الكلام وصلو بهذا الشأن إلى أنه سبحانه وتعالى الواحد، القديم، القادر، الحي، العليم، البصير، الشائي، المريد، ليس بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعض، ولا متجزّ، ولا متركب، ولا متناه، ولا يوصف ماهية كلفيته ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يشبهه شيء، ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء، له صفات ازلية لا هو ولا غيره، العلم والحياة والقوة والسمع والبصر والإرادة والمشيئة والفعل والتخليق والترزيق والكلام.⁽⁴⁾ هذا وما يقرب منه من التعابير عكس ما بلغ إليه رجال العقل والدين. ومنهم من منع الخوض في مثل هذه الامور لعذر بلوغ افهام معظم الناس وعامتهم إلى معرفة الذات الواجب بالعقل الخائض. ويقول أبو العتاهية في نفس الموضوع:

الحمد لله الذي لم يزل
سبحانه، ملك، تعالى جده
لا تستقل بعلمه افهام
ولو جهه الاجلال والاكرام⁽⁴⁾

ويقول:

لك الحمد يا ذا العرش، يا
ويا خير مسؤول، ويا خير محمود

خیر معبود شہدنا لک، اللہم، أن لست
محدثا وأنتَ معروف، ولست بموصوف
وأنتَ ربّ لا تزال، ولم تزل
ولکنک المولی ولست بمجود
وأنتَ موجود، ولست بمحدود
قربا بعیداً غائبا، غیر مفقود⁽⁵⁾

وفي الشعرین الآتیین ذکر الشاعران اللہ متصفا بإعطاء الرزق مع صمدیتہ وعدم احتیاجہ إلى أحد من خلقہ المرزوق. يقول الشيخ نور الدین ولي:

خدا تعالیٰ اوس تہا سے
سُہیبتہ آرت کانی نو
نکس دن ہار روزی آسے
اسی تس ٹیتس سُہ اسہ نو⁽⁶⁾

الترجمة: اللہ صمد، لا یحتاج إلى أحد، یرزق عامة الناس، ویراعینا فهو موجود. ویقول أبو العتاهیة:

الحمد لله الواحد الصمد علیه
ارزاقنا فلیس
فهو الذي به رجائي وسندي مع
الله بنا حاجة إلّا احد⁽⁸⁾

اللہ حافظ ومستند وموثوق به وحده فی الحوادث والایطار. يقول الشيخ نور الدین ولي.

یبتہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ
تہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ
ساری تراوتھ روٹھ تہ تہ
تہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ تہ⁽⁹⁾

الترجمة: الہی! أنا واثق بك هنا في الدنيا وهناك في دار الآخرة فاجعلني سالما و اتكل عليك تاركا ما سواک. ارني تجلیاتک یا ربّ.

ویقول أبو العتاهیة:

والله عزّی واللہ مفتحـري
لست مع الله خائفا احدا
حسي به عاصما من البشر⁽¹⁰⁾

هو الضامن لمن احاطت به الاخطار. يقول الشيخ نور الدین ولي:

مے ہواوس تے مے ہو آسی
مے مے کری زہارو !
مے ساریاندیشہ کاسی
ہتاڑو! پالیس پیتو⁽¹¹⁾

الترجمة: هو الذي لم يزل ولا يزال فاذكره يا نفسي على كل احيائك، هو الذي يصرف عنك الأفكار الهائلة يا نفس حاسب نفسك! ويقول أبو العتاهية:

إلى الله فيما نالنا، نرفع الشكوف في يده، كشف المضرة والبلوى⁽¹²⁾
والله هو المستغاث في كل حال. يقول الشيخ نور الدين ولي:

یہی تھادیزمین تہ اسمائنگہ
تسی بہ منگہ تہ مے میہ دیے
مے یلہ روشم ہنگہ تہ منگہ
کس بہ منگہ ادکس مے دیے⁽¹³⁾

الترجمة: الذي سوى سبع سماوات ومن الأرض مثلن، اياه اسأل وهو يعطيني، وياه أسألهما يغضب على ولا فمن هو الذي استغيثه فيغيثني واسأله فيعطيني.
يقول أبو العتاهية:

من لعبد ازلہ مولاه مالہ شافع إليه سواه
ويشتكي ما به إليه ويخشا هويرجو مثل ما يخشا⁽¹⁴⁾

على الله رزق كل دابة في الأرض حيث قال عز وجل: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) [هود: 6] عبر عن هذا المعنى الشيخ نور الدين ولي بأنه ليس هناك في الكون مخلوق حتى بعوضة بغير رزق يعطيه الله اياها ويقول أبو العتاهية على الله ضمان برزق العالمين أي كل نوع من المخلوقات.
يقول الشيخ نور الدين ولي:

خداے مجھ اکے ناوچھس لچھاہ
ذکر روس کانہہ کچھاہ مو
عمر ویندناکے پچھاہ
رزقہ روس اکھ مچھاہ مو⁽¹⁵⁾

الترجمة: الله واحد، له عدد كبير من الاسماء، يذكره كل ذرة من الكون، اعتبر عمرك نفساً واحداً، وليس هناك بعوضة بدون رزق. يقول أبو العتاهية:

سبحان من هو لا يزال ورزقه للعالمين به، عليه، ضمان
سبحان من في ذكره طرق الرضى منه، وفيه الروح والريحان⁽¹⁰⁾

يقول كل منهما إن الله وحيد وليس غيره شريكاً له في ربوبيته، على العبد أن يرضى به رباً ويرضى بقضائه كيفما كان. ويشترك شعرهما في أن الإنسان دخل الدنيا وحيداً وسيتركها وحيداً، مارافقه أحد وقت ولادته ولا يرافقه أحد عند موته، فله ان لا ينساه سبحانه وتعالى الذي هو رفيق دائم له متولداً ومتوفياً. يقول الشيخ نور الدين ولي:

آء تير يونئ غز هو تير يونئ ينس كهو تير يونئ جان
يودوئ آسره ووندس كئ نتمينه كهو تير نه زيونئ جان⁽¹⁷⁾

الترجمة: أتينا وحدانا وسنذهب وحدانا ويناسب للوحيد أن يكون في قلبه هو الله الواحد والا فالعدم أفضل للإنسان. ويقول أبو العتاهية:

سقطت لى الدنيا وحيداً مجرداً. وتمضي عن الدنيا، وأنت وحيد
وأرشد رأي المرء أن يحض التقى وإن امرأ محض التقى لسعيد
هو الله ربّي، والقضاء قضاءؤه وربّي على ما كان منه حميد⁽¹⁰⁾

(ب) القضاء والقدر

القضاء والقدر معتقد مهم من المعتقدات الإسلامية وأساس فكري لدى المسلمين. إن لب القدر أنه تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه وتعالى بانها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشينته له، ثم وقوع هذه الأشياء على مقتضى إرادته ومشينته وخلقها لها سبحانه وتعالى. فتترتب هذه الأمور على هذا الترتيب: علم ازلي، ثم كتابة هذا الأمر، ثم مشيئة الهية لا بد أن تنفذ، ثم وقوع المقدور. فكل ما يقع في هذا الكون فهو مخلوق لله كما قال سبحانه وتعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. الرعد: 16)

ومن محتويات القضاء التي تصدر منها قرائح الشعارين موافقة، الموت والموت على أجله وحصول الرزق على مقداره المعين واتصاف المرء بالفقر والثراء والبؤس والسعادة، والرضا بالقضاء

الذي هو سلوكه الإيجابي بقضاءه.

يقول الشاعران لا يمكن منع ما قضى الله للعبد وما قدر له من العمر والرزق وإن يستنفد قوته ويبذل ما في وسعه لمنعه من نفسه. يقول الشيخ نور الدين هذا بتعبير وأبو العتاهية بتعبير آخر حسب تعبير لغتهما البليغ.

يقول الشيخ نور الدين ولي لا يمكن ازدياد قضائك ولا انتقاصه وإن تفرك جبينك على رأس الحجر المحدد يعني رغم أن تستنفد قوتك ضده. ويقول أبو العتاهية إن الجهد في الدنيا والمنافسة فيها لا يجلب غير ما قضى للإنسان، وإن القدر لا يجري في الكون إلا بمقداره كما لا يحتلب الضرر إلا بقدر حليبه.

يعبر الشيخ عن هذا بما فيه من تركيز قوي على المعنى وهو أسلوب الاستفهام الإنكاري كما يجعل أبو العتاهية شعره بليغا باستخدام بديهة من الحقائق البديهية وهو عدم احتلاب الضرر إلا بمقدار الحليب، واستيزاد الحليب من الضرر على مقدارها بعيد عن الإنسان العاقل.

الشيخ نور الدين ولي يقول:

دِينِيهِ لِيُوكَلِّهِ لِإِنِّيهِ غَرِي
تَهْنَكُنْهُ جَهْوَنِيهِ مَو
دُنِيكَ كُنْهُ جَهْوَنِيهِ مَو (19)
دُنِيكَ كُنْهُ كُنْهُ كُنْهُ

الترجمة: ما كتبه الله لك وقت تقديره قضائك، هل يزيدك شيء منه أم ينقص منه شيء؟ لن يزيد ولن ينقص من قضاءك شيء وإن تفرك جبينك على رأس الحجر المحدد. وكما قيل كناطح صخرة ليوهنا. ويقول أبو العتاهية:

هي الآجال والاقدار تجري بقدر الدّر تحتلب الضرر (20)
فيجهد الناس في الدنيا منافسة وليس للناس شيء غير ما رزقوا (21)

عند ما نمعن النظر في شعرهما الإسلامي نجد في بعض الأشعار الموافقة الكاملة في المعنى وفي تعبير المعنى رغم كونهما من اللغتين المختلفتين وفي الزمنين المختلفين أن يكون أحدهما قد أخذ من الآخر فكرته في المعنى والحق أنه ليس هناك أية شهادة تنبئ عن تلقى الشيخ من شعر أبي العتاهية ولا تبرره التاريخ إلا أنه من البديهي أن الآداب واللغات و علم الالهيات رغم بعد الزمان والمكان قضيتها قضية واحدة و منبعها واحد تأثر وتتأثر.

و ملخص الشعرين الآتين هو أن صرف المرء القضاء المكتوب عنه مستحيل كاستحالة جريان السفينة على الأرض اليابسة بينما الإيقان به مسلك ناجح. لاحظ تشابه المعنى بين هذين الشاعرين الجليلين: يقول الشيخ نور الدين ولي:

نورِ کند و ٹھکھ سیکے
کتہ رکے پکے ناو
تہ کس مالہ کا ستھ ہیکے
یہ ڈیکے لیکھنے آو⁽²²⁾

الترجمة: إن الحبل لا يفتل من الرمل والسفينة لا تجري على اليبس وما قدر الله لامرئ لا يمكن لاحد ان يصرفه عنه. ويقول أبو العتاهية:

لا تامن الموت في طرف، ولا نفس
وإن تمنعت بالحجاب والحرس
ترجو النجاة، ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس⁽²³⁾

ويقولان حول الحصول على الرزق والحرمان منه انه يبتني على مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن لم يعطه المرأ فيبعد عنه فراسخ و اميالا ويخسر مساعيه. يقول الشيخ نور الدين ولي:

دے نہ دی کر وہ سائے
دے نہ دی وے ٹھگڑھان⁽²⁴⁾

الترجمة: إن لم يعطك الله يبعد منك الرزق إلى آلاف من الفراسخ، وإن لم يمنحك ينتقص قوتك. ويقول أبو العتاهية:

توقّ ما تأتيه وما تذر
جميع ما أنت فيه معتذر
ما أبعد الشيء منك ما لم يُسا
عدك عليه القضاء والقدر⁽²⁵⁾

يقولان إن قضاء الرزق عجيب، لا يتلقاه المرأ بحسب علمه ولبه وجهده ولكن يحصل الإنسان منه على كمية كتبه الله سبحانه له، ومن الناس من يجده من حيث لا يحتسب ومنهم من يبذل قصارى جهده لابتغائه ويحصل على كمية قليلة منه. يقول الشيخ نور الدين ولي:

اکھا کجھان ہونر سیتے
ہیا کھا بہتھ اناں کتے⁽²⁶⁾

الترجمة: ومن الناس من يبذل قصارى جهده لابتغاء الرزق ومنهم من يجد الرزق جالسا في سكنائه من حيث لا يحتسب. ويقول أبو العتاهية:

كل امرئ وله رزق سيبلغه
والله يرزق لا كيس، ولا حمق⁽²⁷⁾
يارب رزق قد اتي من سبب
وسلم العبد إليه الطلب

ورب من قد جاءه رزقه من حيث لا يرجو ولا يحتسب⁽²⁸⁾

يقول الشيخ في نفس المعني:

سو و تھ تراو تھ پکھ کو و تے
تی واتی آسکھ شاپے تھ⁽²⁹⁾

الترجمة: كيف تسلك صراطا غير قويوم وتترك الصراط المستقيم وتكسر دلو ماء الحياة، و ما قدر الله لك ياتيك اين ما كنت. ويقول أبو العتاهية:

متى ما يرد ذو العرش امراً بعبد
وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه
يصبه، وما للعبد ما يتخير
وينجو بإذن الله، من حيث يحذر⁽³⁰⁾

على المومن أن يرضى بقضاءه، لا يتفكر فيه، بل يكون مستعدا لالتقاء بكل ما يلقاه. يقول الشيخ نور الدين ولي:

ساری رحمت بورنس سرتا پائے
چھس بہ تسند بندہ میون خداے⁽³¹⁾

الترجمة: ليس منة الله على أن جعلني انسانا فحسب بل امطر علي شأيب رحمة من كل جانب، رضيت على ما قدر لي من المحيا والممات، هو الهى وأنا عبده! ويقول أبو العتاهية:

أقول ويقضي الله ما هو قاضي،
أرى الخلق يمضي واحدا بعد واحد
وإنني بتقدير الإله لراض
فيا ليتني أدري متى أنا ماض⁽³²⁾

القضاء يحيط المرأ أناء الليل وأناء النهار، لا يطرف عنه طرفة عين وليس للإنسان مفر منه للحظة من لحظات حياته.

سرفس ٹلی ز آستکھنڈس
قرضدارس ٹلی ز وهر سکھنڈس
سہس ٹلی ز کرہس تام
لانس ٹلی ز نہ اچھ موہس تانی⁽³³⁾

الترجمة: فر من الحياة شبرا، فر من الاسد فرسخا، فر من الدائن عاما، ولا تفر من القدر طرفة عين. ويقول أبو العتاهية:

لعمر أبي! لو أنني اتفكر
رضيت بما يقضي على، ويُقدر

توکل علی الرحمان فی کل حاجة
متمی ما یرد ذو العرش امرا بعبده
وقد یملک الإنسان من وجه امنه
اردت، فان الله یقضی، ویقدر
یصبه، وما للعبد ما یتخیر
وینجو باذن الله، من حیث یحذر⁽³⁴⁾

ویقول أيضاً:

واعلم بأنک لست تطرف طرفه
الا تفاوت منک ما لا یرتجع⁽³⁵⁾

واعربا عن حرمان العالم النحریر من سعة الرزق ونعم عیش الاحق ورغده بأسلوب سهل علی
اللسن وعمیق فی معانیه "یقول الشیخ نور الدین:

دُجھ تہ کلاہ گئی ژھنڈاوتھ و تے
تہ گداہس تاج تہشاہس گئے
تس مور کھس لچھہ بڑ نمڑ پیتے
تہ کونہہ زانیچانی سپر
پیتر عالمہہ بیچھان مور کھاہ پر
تر کھاہ تس بہتہ متظر⁽³⁶⁾

الترجمة: الہی! وکم من سبیل جعلتنا أن نسلکہ لکی نصل إلى کنہک، غیر أنه لیس من الناس من
یدرک اسرار ماہیتک، یَتَوَجُّ الفقیر الصالح ویعمی المملک الطاغی فی الآخرة. إن العالم النحریر سائل
بائس هنا والغی ثری قائد، وله کثیر من النعم بینما الحکیم یتطلع إلیہ وینتظر عطایاہ.
ویقول أبو العتاهیة:

کل رزق أرجوه من مخلوق
وأنا قائل، واستغفر الـ
لست أرضی بما أتانی إلهی
یعتبرہ ضرب من التعویق
لہ، مقال المجاز لا التحقیق
فلرزقی موکول بالمخلوق⁽³⁷⁾

الموت حق یدرک الإنسان علی کل حال، وهو مختلف من اعین الناس شبکته فی الجوانب کلہا
من الکوّن. یقول الشیخ نور الدین ولی:

کونپر ژھتوژون دشن
کینزو ڈیو تھ تہ کپنژی ڈیشن
مرن بریم تھوون آوٹو
پانہ آشن سکیا و تو⁽³⁸⁾

الترجمة: سل الجوانب الأربعة أحوالہا فتجیب أن خداع الموت اختفی من أعین الناس غیر أن

البعض زاره وسيراه البعض الآخرون.

ويقول أبو العتاهية:

أومِّل أن أخلد، والمنايا يثبن عليّ من كل النواحي
وما أدري إذا أمسيت حياً لعلي لا أعيش إلى الصباح⁽³⁹⁾

المصادر والمراجع

1. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 83، ناشر: لائف فاندیشن، اقبال بستی جرار شریفکشمر، 2010م
2. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 291، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت 2004م.
3. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 74
4. سعد الدين التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص: 409، البشرى ببلشرز، كراتشي باكستان 2009م.
5. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 112
6. كليات شيخ العالم، اسد الله آفاقي، ص: 87
7. نفس المصدر
8. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 121
9. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 86
10. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 146
11. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 86
12. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 36
13. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 76
14. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 86
15. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 86
16. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 372
17. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 87
18. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 128
19. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 99.
20. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 227.
21. مجید طراد، قدم له وشرحه: دیوان أبي العتاهية، ص: 251
22. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 99

23. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 200
24. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 100
25. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 146
26. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 102
27. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 252
28. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 45
29. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 102
30. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 154
31. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 99
32. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 208
33. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 99
34. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 154
35. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 229
36. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 100
37. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 255
38. اسد الله آفاقي، كليات شيخ العالم، ص: 103
39. مجيد طراد، قدم له وشرحه: ديوان أبي العتاهية، ص: 108

تقنيات قصصية معاصرة في القصص القرآني

الدكتور محمد إرشاد الحق¹

الملخص

مما لا ريب فيه أن قصص القرآن ما زالت ولا تزال تجتذب انتباه المحققين والباحثين الذين لا يزالون يُلَفون فيها لآلي العلوم والفنون ومَعِينًا لا ينضب من الكمال الفني و الجمال المثالي. وقد كثرت الدراسات والبحوث التي حاولت معالجة قصص القرآن من ناحية القواعد والمقاييس والتقنيات الأدبية والنقدية الحديثة، والتي يمكن استثمارها للقيام برؤية نقدية إسلامية تقوم على خصائص منفردة، ففي هذا المقال تحرّيت وجود بعض التقنيات القصصية المعاصرة في قصص القرآن النبيلة الدائمة الخضرة، و أرجو من القراء أن يأخذوه محاولة متواضعة بمثابة نقرة العصفور في البحر الزاخر و يأخذوه بعين الاعتبار. الكلمات الدلالية: الحكمة، الأحداث، عناصر القصة، جمالية، الشخصية، الحوار، الصراع، المفاجأ،

الزمان والمكان، القاص البشري، الإنسان العادي والمثالي، أسلوب تحليلي، أسلوب تمثيلي

القصص في التنزيل:

قصص القرآن الكريم هي القصص الواقعية التاريخية وأهدافها تسمو على أهداف كل ما سواها لأنها حكم وأسرار مرتبطة برسالة القرآن ومقاصده ودعوته الاعتقادية والعلمية والسلوكية والخُلُقِيّة، وأكبر هدف هو إعجاز القرآن وإثبات نبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم. وكذلك فيما بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية ويهلك الكافرين المكذبين، فالقصص في القرآن ثلاثة أنواع وهي قصص الأنبياء، والقصص المتعلقة بالحوادث الغابرة والقصص المتعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران وغيرها. ومن أغراضها بث المعاني الدينية الواضحة وترسيخ قواعد الدين بما يقع في ثنايا القصص من حوار، ومواعظ وحجاج، يصغي إليها السامع، ويتابعها القارئ، سواء كان موافقا أو مخالفاً، مؤمناً أو كافراً، لما في طبيعة القصص من التشويق والإثارة كما هي تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

1- الحكمة والأحداث:

¹ الأستاذ المساعد، بقسم اللغة العربية الكلية الحكومية للنساء، سرينغر

يعد هذا العنصر من أهم العناصر في قصص القرآن كله ، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة ، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم ، وسواء أكانت مقسمة الحلقات أم معروضة في معرض واحد ، وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معا: فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده (1)

وإذا اعتبرنا أن القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتدرج وتتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، وقصص القرآن لا تعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وأثار السابقين لأن تتبع الأحداث الماضية وعرض أبناء الأولين هو الذي يحقق المقصود من هذه القصص (2). وعنصر الحدث يشتمل على صور عديدة من الحوار والجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقده : فإن قصص القرآن لم تعتمد في عرض هذه الأحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بغير ألوانها أو أن يبدل ويغير من صورها وأشكالها (3) وإذا نتأمل الأحداث الواردة في قصة يوسف عليه السلام نجد أول مشهد للقصة تصويره وهو غلام يخاطب والده برؤيا رآها في منامه والتي تمثل العقدة الفنية في القصة، وإذ بدأت القصة بالرؤيا فإن تأويلها ظل مجهولا ينكشف شيئا فشيئا، وفي هذه البداية تشويق وتحفيز للمتلقي، حيث تتنامى الأحداث الرئيسية في القصة بناء على هذا المطلع، ثم العقدة التي ينتهي عنده المقصد في نهاية القصة وهو تحقيق الرؤيا، وقبل أن تتحقق لابد من عقدة أخرى لكل حدث، فتكونت العقدة الثانية عندما ثارت غيرة أخوة يوسف من يوسف عليه السلام وهذه الغيرة قد استثيرت بمؤثرات منها تفضيل يعقوب عليه السلام ليوسف على أخوته لصغر سنه ونباهته، فبدأت عقدة الحدث الرئيسي الأول المؤامرة عندما تأمر أبناء يعقوب على أخيم يوسف، والواقع أن حدث السيارة وإن كان صغيرا إلا أنه أسهم في تهيئة الأسباب لتولد حدث أضخم وهو حدث المراودة، (4) ومن هنا تبرز إحدى ميزات أحكام البناء الفني وهي طواعية الحدث الفني لانبثاق أحداث جديدة منه، إذ يواصل النظم الكريم إعجازه في سبك أحداث القصة وأخيرا يلقي القرآن الكريم ضواء على آخر مشهد وأجله في هذه القصة، وهو تحقيق الرؤيا وفيه يقول تعالى: ورفعاً بويه على العرش وخرّوا له سجداً وقال يا بئ هذا تأويل رؤيئمن قبل قد جعلها ربي حقا (5) ومن هنا يتجلى لنا الارتباط العضوي بين بداية القصة ونهايتها حيث بدأت بداية مثيرة للتشويق لتزيح الستار ببطء عن مشهد الرؤيا ولتتحول إلى ما يشبه اللغز المحير بما تضمنه من رمز خفي وبتنقلات عجيبة وأوضاع مختلفة حتى نقف على مشهد النهاية وهو تحقيق الرؤيا فهو حل هذه القصة الجميلة الذي ينتهي

بحلول العقدة بطريقة رائعة (6).

2- الشخصية

الشخصية تظهر في صور متعددة في قصص القرآن فتارة تظهر في صورة إنسانية عادية، وقد تظهر في صورة شخصية مثالية وأحياناً أخرى تأتي بالصورتين المذكورتين معاً -الإنسان العادي والمثالي- في آن واحد والشخصيات هي التي تحرك الأحداث والوقائع ولا يطغى الحدث على الشخصية ولا بالعكس، والمتأمل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن يجدهم يشتركون في الصفات والملامح ، فهم جميعاً بشر لا ملائكة وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري (7). ولو قرأنا المواقف والأحداث والوقائع مرت بإبراهيم عليه الصلاة والسلام لوجدنا شخصية متمسكة بالإيمان والاستقامة على الدين والتحلي بالخلق الحسن هادياً مهدياً داعياً إلى الله وعبادته وتوحيد ألوهيته صابراً شاكراً، فإبراهيم عليه السلام الهادي الرزين الوقور في صباه وشبابه يبقى هو في شيخوخته بل تزيده الشيخوخة وقاراً ورزاقاً وعقلاً ويضحي بابنه سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو هادئ بالإيمان والصبر والفداء والطاعة والوفاء، ولو حللنا شخصية يوسف عليه السلام لوجدنا فيه سمات تترجح بين الإنسانية والمثالية وبين مطلع حياته وفي كنف أبيه يعقوب عليه السلام، وفي بيت عزيز مصر، ثم في جلوسه أميناً على خزائن أرض مصر وحاكماً (8) و كذلك نجد شخصية سليمان عليه السلام وقصته مع بلقيس ملكة سبأ، إنها تعكس مرة صورة إنسان عادي و أخرى صورة نبي مرسل وثالثة هذه وتلك دون أن تطغى إحداها على الأخرى و كذلك لو حللنا جميع نماذج الشخصيات في مختلف القصص لوجدنا فيها الرسم الواضح لكل منها، وقد صورت بأسلوب تحليلي أو بأسلوب تمثيلي. فلكل شخصية جوانبها الشكلية من المجتمع و القوم و الإنتماء و القضايا و قد تظهر براعة القرآن عن طريق الشخصيات بآتم طريق.

3- الحوار

الحوار . كما نعرف جميعاً . هو حديث البطل مع غيره، وحديثه مع نفسه. ومن الواضح أن هذا العنصر يجسم حيوية القصة بأعلى درجاتها وهو محرك للأحداث، ومصور للشخصيات ومبلغ إلى الصراع ومؤد إلى الهدف ومظهر للمغزى ولقد كان الحوار في القصة القرآنية على صور وأشكال، أحياناً يأتي على صورة حوار ذاتي بين الشخص وعقله أو قلبه، كما في قصة إبراهيم عليه السلام حينما نظر إلى الكوكب والقمر والشمس ويبحث عن إلهه، وقد يكون بين شخصيتين كما في حوار إبراهيم مع أبيه أو قومه أو الطير أو الشيطان، وقد يكون بين الخالق والمخلوق وهكذا ومرة بالحوار المباشر وآخر غير المباشر، أما أسلوب

الحوار، فهو أسلوب القرآن ذاته، إذ لا يهبط في ناحية، ويسمو في أخرى، تبعاً لاختلاف الظروف والشخصيات ومستوى الأداء عند الكتاب من البشر العاديين.(9).

وإذا نظرنا إلى ذلك القصص المشتمل على الحوار فإننا نجده في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، فمعظم الآيات فيها حوار، ففي بداية القصة نجد حوار يوسف مع أبيه - عليهما السلام - إذ قال يوسف لأبيه يَأْتِني رَأْيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمَا لِي سَجْدِينَ (10) وحوار يعقوب مع ابنه يوسف إذ يقول له: قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رَأْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (11). والمهم أن قصص القرآن تعتمد على عنصر الحوار بأشكاله المتنوعة التي يستدعيها هذا الموقف أو ذاك مع ملاحظة أن الفارق بين القصة الأرضية وقصص القرآن يتحدد بوضوح من حيث معرفة المبدع بما في الصدور وامتناع ذلك عند القاص البشري، الأمر الذي يجعل لعنصر السرد في كشفه عن الأعماق نفس الفاعلية الموجودة في الحوار(12). و الحوار القرآني يمتاز بتعدد ألوانه ، فهناك حوار بين الإنسان والإنسان وحوار بين الله تعالى والإنسان ، وحوار بين الله تعالى والملائكة ، وحوار بين الإنسان والحيوان ، وحوار بين الإنس والجن، ونرى إن تعدد مصادر الحوار في القصص القرآني ميزة من المزايا الجليلة التي نراها فيه ولذلك لغة الحوار إلهية آفاقية مثالية لا يصل إليها براعة البشر. (13)

4- الصراع:

الصراع هو المقاومة بين عنصر الخير والشر وبين الحق والباطل، وهو الهداية والدعوة إلى الإيمان أو الإيمان والكفر أو الفطرة السليمة والطوارئ التي تجنحها ذات اليمين وذات الشمال. ويختلف هذا الصراع من حين إلى آخر مادياً ونفسياً، ونجد الصراع المادي في موقف موسى عليه السلام مع السحرة، ونرى الصراع النفسى في موقف إبراهيم عليه السلام من الشمس والقمر والكوكب، وإن للصراع في القصة القرآنية أثراً كبيراً فإنه يظهر في ربطه الأحداث من جهة والشخصيات من جهة أخرى والحوار من جهة ثالثة و من جميع جهاتها يستولى عليها، ثم يمضيها إلى غايته المطلوبة، وإذا نظرنا في قصة يوسف عليه السلام بأكملها نجد فيها الصراع من كل هذه الجوانب المختلفة، الصراع القائم بين يعقوب وأبنائه، وبين يوسف عليه السلام وزوجة العزيز، وبين يوسف وإخوته بعد تسلّمه مقاليد مصر، ولكن الصراع ثابت على طبيعته الأصلية وهي الإيمان والضلال (14).

5- الزمان والمكان:

القرآن الكريم كتاب فريد في طريقة تعامله مع المادة التاريخية؛ فهو ينزع الحدث من سياقه التاريخي

مستبعداً بذلك عنصرين هامين في الرواية التاريخية: عنصر الزمان وعنصر المكان. فالقرآن له منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فنراه مثلاً، إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة، ولا في أي سنة انتهت، ونراه كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ، بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو ألفين قبل الميلاد، أو بعده أو قبل البعثة، أو نحو ذلك، وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة القرآنية لا يضيف شيئاً إلى عبرة القصة ومغزاها (15)

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل، فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة، وحرص كل الحرص على التصريح بكل جريئة من جزئيات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتباراً، فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف، ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشاهد وتجليه وتكشف مرامي: ليكون له مكانه الملحوظ في سير أحداث القصة، فهام أخوة يوسف قد نفذوا مكرهم به ثم يعجزون عن مواجهة أبهم في ضوء النهار خشية افتضاح إمارات الجريمة على وجوههم؛ لذلك أفصح القرآن لنا زمن المواجهة بهذه الفاجعة ليعقوب عليه السلام بقوله تعالى: "وجاءو أباهم عشاء يبكون" (16) وقد حرص القرآن على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة وهو العشاء، هذا الجزء من الليل الذي ستر إخوة يوسف بظلامه لحبك مؤامرتهم وإنجاز مكيدتهم عليه، فذكر الزمن في القرآن يكون مرتبطاً بالهدف وهو العبرة دون اقتصار على مجرد المعرفة التاريخية، فقوله تعالى: "ثمبدا لهم من بعدما رأوا آيات ليسجننه حتى حين" (17) وقوله: "فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ" (18) يدل على أن هذه المحنة محنة السجن مع امتدادها لم تنل من إيمان نبينا يوسف عليه السلام، ولم تزعزع من ثقته بربه ورضاه بحكمه؛ فلقد كان في سجنه داعية إلى الله بين أصحابه المسجونين، يكشف لهم الطريق إلى الخالق جل علاه ويجلي من على قلوبهم ظلم الضلال والزيغ والكفر، فهذه الجزئية من الزمن لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي وما في نفسه من إيمان قوي بالله، ولو افتقدنا هذا الزمن لافتقدنا هذا الإحساس وتلك المشاعر وهذا التعاطف بيننا وبين هذا النبي وما في نفسه من رصيد عظيم من الصبر والإيمان (19)

أما حينما نرى إلى قصص القرآن المعجزة من الناحية المكانية فيه نجد إن القرآن الكريم ينظر ذلك: المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان، فهو لا يعنى بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقيم شواهد العظة والعبرة منه، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصة، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفتقد لهما الحادثة إذا هي لم تعج في صحبة المكان المنصوص على إسمه ولم تلبس به وفي

قصة يوسف عليه السلام ذكر المكان عندما احتيج إلى أثره المباشر في نمو الحدث من ذلك : الجب لأثره في محنة يوسف وتسخير الله من أنقذه منه كما ذكر مصر ليشعرنا بتلك الغربة التي سيكابدها يوسف عليه السلام بعيدا عن بلده فضلا عن كونها مسرحا للأحداث التي نمت من خلاله، وذكر بيت العزيز الذي تعرض فيه لأصعب محنة مع امرأة العزيز، والسجن الذي تبين فيه إيمان يوسف وصبره وشخصيته المستعالية على الشهوة والداعية إلى عقيدة التوحيد، والعرش الذي دل على منصب يوسف عليه السلام، والبادية وهي المكان الذي كان فيه يعقوب وبنوه بدوا يتنقلون فيه ويعانون من شغل العيش الأمر الذي يدفعهم إلى الذهاب لمصر وطلبهم إيفاء الكيل والتصدق عليهم. فالزمان والمكان لهما مكانة مناسبة بين قصص القرآن. (20)

6- المفاجأة:

تتنوع المفاجأة علي صور مختلفة، فقد يكتم سرالمفاجأة عن البطل والنظارة حتى يكشف لهم معاً في آن واحد كما في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف فهي تجري على الشكل التالي "وإذ قال موسى لفتهاه" (21) إلى آخر القصة. تقرأ القصة هنا كلها تقف أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سراً وموقفنا منها كموقف بطلها موسى بل نحن لا نعرف من هو الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة، ولا ينبئنا القرآن باسمه تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. ثم يأخذ السر في التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى "أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر." الخ. (22)

البطل والنظارة في آن واحد ويعلمان سرها في الوقت ذاته وذلك كمفاجأة قصة مريم حين تتخذ من دون أهلها حجاباً فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل فتقول "إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً" (23) نعم أننا عرفنا قبلها بلحظة أنه "الروح" ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها " قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا." (24). فأسلوب المفاجأة في قصص القرآن تجلب العقول وتسحر القلوب.

خاتمة:

فمن خلال دراسة قصص القرآن يمكن لنا أن نستنتج أن أدب قصص القرآن وبلاغته يشمل اللفظ والمعنى كليهما ويتجلى فيه أصناف البلاغة المتنوعة من البيان والمعاني والبديع بأعلى درجة وقصص القرآن تهدف إلى غرض نبيل وهو إصلاح البشر وهداية الناس إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة وهذا الأسلوب الهدفي والتعميري لا يوجد في عامة القصص الفنية المستهدفة إلى المتعة أكثر من المنفعة وكذلك قصص القرآن ترشد إلى أسباب الهلاك والدمار للإنسان سواء كانت في العقيدة أو العبادة أو السلوك أو في المعاملات والقصة الفنية لا تتعرض لهذه الجهات الصالحة. وكذلك رأينا أن جميع تقنيات القصة الفنية المعاصرة موجودة في قصص القرآن بأتم كمالها وقد تترأى فيها الحبكة والشخصية والحوار والصراع الزمان والمكان والمفاجأة بأسمى أسلوب. وإذا لاحظنا في قصص القرآن من جميع هذه الجوانب والمقاييس نتوصل إلى نتيجة أن القرآن الكريم يحمل إعجازا وكمالا فيها، ونشهد بأن كلام البشر لن يكون أبداً ككلام الله سبحانه.

هوامش و المراجع والمصادر

- 1- أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ، د.عبد الجواد محمد المحصن، الدار المصرية - الإسكندرية ، سلسلة الدراسات القرآنية (1) ٢٠٠٠ م، ص.134
- 2- الفن القصصي في القرآن، ص.٢٨٨
- 3- المصدر نفسه، ص.٢٨٨
- 4- الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي، دار الشهاب ، باتنة، ص.151
- 5- أدب القصة في القرآن الكريم، ص.١٩١
- 6- سورة يوسف، الآية ١٧ ، وينظر: السورة نفسها، ص.٩٤
- 7- أدب القصة في القرآن الكريم، ص.١٥٤
- 8- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، نقره، التهامي. ط. 2 تونس: الدار التونسية، 1987هـ، ص.516.
- 9- دروس وعظات وعبر في قصة يوسف عليه السلام، عبد القادر، عبد الرحمن.. ط 1، الإسكندرية: ، 2003ء ، ص.6
- 10- سورة يوسف، الآية ٤
- 11- سورة يوسف، الآية ٥
- 12- أدب القصة في القرآن الكريم، ص.٢٣٢
- 13- المصدر نفسه، ص.٢٣٢
- 14- بكري، الدكتور أمين. التعبير الفني في القرآن الكريم. ط. 2 بيروت: دار الشروق، 1976م، ص.221
- 15-جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٢-٢١
- 16- سورة يوسف، الآية.١٦
- 17- سورة يوسف، الآية.٣٥
- 18- سورة يوسف، الآية.٤٢
- 19- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص.٨٨-٨٧
- 20- البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، د. عماد عبد ، ط ٢٠٠٩ ص:336
- 21- سورة الكهف: 61
- 22- سورة مريم: 7
- 23- مريم: 18
- 24- سورة مريم: 19

أدب الأطفال في ضوء مؤلفات الشيخ أبي الحسن علي الندوي

ياسر عرفات بيك الندوي¹

المدخل

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام علي أفصح العرب محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين، وبعد!

إن للأدب أهمية لا تجحد، فهو مرآة لكل زمان وتعبير عن الواقع بأساليب جمالية معتمدة على اللغة، ونجد الأدب في كل لغات العالم ولكن حينما نرى إلى اللغة العربية نشعر أنها من أغني اللغات في هذا المجال، لأن اللغة العربية من أقدم اللغات في العالم الإنساني، ويعود أصلها إلى اللغات السامية. وهي من أجمل لغات العالم وأوسعها إنتشاراً. وقد حظيت هذه اللغة من الاهتمام البالغ والعناية الخاصة التي لم تحظ بها أية لغة من اللغات. فإن الله تعالى اختار هذه اللغة من بين لغات العالم ليكون بها كلامه الخالد القرآن الكريم الذي أنزله على أفصح العرب خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هدى للعالمين.

وقد سميت هذه اللغة لغة القرآن والسنة ولغة الدين الاسلامي. قال تعالى: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" (سورة النحل 103) وقد ورد عن عمر بن الخطاب أنه قال: "تعلموا العربية فإنها من دينكم".

الأدب ومعناه:

قبل أن نتكلم عن أدب الأطفال ومكانته وأهميته في اللغة العربية وآدابها علينا أن نعرف قليلاً عن الأدب وخاصة عن الأدب العربي.

"فالأدب عمل من أعمال العقل الإنساني، وفن من فنون الكلام، وهو كلام يؤثر عن الشعراء والخطباء والكتاب وأمثالهم، متضمناً لأخيلة دقيقة ومعان رقيقة مما يهذب النفس، ويرقق الحس والشعور، ويثقف اللسان". (1)

فالأدب العربي هو أغني الآداب كلها، فقد كانت العرب يفتخرون في العصر الجاهلي بأدبهم، ويعجبون به إعجاباً شديداً، وكانوا يعرفون لمحاسن أدبهم ومقابحه معرفة قوية، بحيث يسمون

¹ الأستاذ المساعد بكلية كهوتران الحكومية، مديرية دوده، جامو وكشمير

أنفسهم بالعرب، وغيرهم بالعجم الذين لا يقدرّون على تعبير عما يجول بخواطرهم حق التعبير. ولما جاء الإسلامونزل القرآن الكريم بلغ به الأدب العربي القمة العالية من النضج والكمال، لأنه أبلغ كلام عربي، وأروعها بدون أي اختلاف، فقد أثر القرآن الكريم في الأدب العربي تأثيراً قوياً بحيث غلب عليه المسحة الدينية والإسلامية، ومن ذلك الوقت بدأ في تاريخ الأدب العربي العصر الجديد الذي يعرف بالعصر الإسلامي. يقول الأستاذ محمد الرابع الندوي:

"كان الأدب العربي منذ أن دخل في الإسلام متسماً بالصفة الإسلامية وهي كانت لها

شارة ملموسا - والأدب العربي متصف بشارة إسلامية". (2)

وما زال الأدب العربي ينمو ويزدهر حتى وصل إلى العصر الذي نعيشه، ونسميه بالأدب العربي في العصر الحديث، ودخل في الأدب العربي في هذا العصر الحديث - الذي يبدأ من الربع الأول من القرن التاسع عشر - أصناف جديدة من أدب الصحافة والإذاعة، وأدب المقالة، وأدب القصة والرواية والمسرحية، وأدب الناشئة والأطفال.

أدب الأطفال وتعريفه:

أدب الأطفال هو مجموعة من النثر والشعر المؤلفة بأساليب مختلفة للأطفال والأولاد دون عمر المراهقة. يقول الأستاذ محمد الحسن بريغش:

"فأدب الأطفال هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم

وأعمارهم وقدرتهم على الفهم والتذوق، وفق طبيعة العصر، وبما يتلاءم مع المجتمع الذي

يعيش فيه". (3)

أدب الأطفال وتاريخه:

أدب الأطفال هو من أهم أنواع الأدب العربي في العصر الحديث، يقول الأستاذ واضح رشيد

الندوي:

"نشأ في هذا العصر صنف آخر وهو أدب الأطفال، ولا يوجد نظير في العهود

السابقة، وقد نشأ في أدب الأطفال مكتبة عربية مستقلة، وقد بدأت الكتابة في أدب

الأطفال من كامل الكيلاني، وانضم إليه عدد من الكتاب في أدب الأطفال". (4)

ويقول الأستاذ محمد الرابع الندوي مبينا أسبقية كامل الكيلاني في هذا الجانب:

"وكان رائده بل إمامه هو الأستاذ كامل كيلاني، فقد ألف وترجم قصصاً كثيرة

للنشء العربي الجديد كانت موافقة لأذواقهم ومؤهلاتهم النامية في مختلف أعمارهم. وقد

انفرد الأستاذ كامل كيلاني في هذا النوع من الأدب بكثرة الإنتاج وبالصحة والدقة والبراعة، وله نحو ألف كتاب في هذه الناحية". (5)

أهداف أدب الأطفال وغاياته:

بعد هذا التعريف الوجيز والتاريخ البسيط عن أدب الأطفال نذكر بشيء من الإيجاز عن أهدافه وغاياته، وخاصة عن أدب الأطفال في الآداب العربية التي صارت بعد نزول القرآن الأدب الإسلامي، يقول الدكتور الحديدي:

"والحقيقة أن الأدب إذا لم يكن في صورته المعطاة للطفل باعثاً على تكوين الأخلاق والذوق، فمن الخير أن لا يراه، أو يسمعه للصغار. وخير أدب الأطفال ما أدى هذين الهدفين، هما المحور الذي تدور عليه حياة الأطفال في مستقبلهم، وأن يدفع بهم إلى العمل، وأن يساعدهم على تكوين الأخلاق الحميدة". (6)

وقد ذكر الأستاذ محمد حسن بريغش محددات أهداف أدب الأطفال :

"يمكن تحديد بعض الأهداف المهمة لأدب الأطفال في الأمور الأربعة التالية:

❖ الأهداف الاعتقادية

❖ الأهداف التربوية

❖ الأهداف التعليمية

❖ الأهداف الجمالية". (7)

ثم شرح الأستاذ بريغش هذه الأهداف المذكورة بشيء من التفصيل لا نذكره خوفاً من التطويل. ولأن ما ذكرناه بالإيجاز يكفي لإيضاح مكانة أدب الأطفال في اللغة العربية، وأهميته في تربية الأولاد والأطفال.

الشيخ أبو الحسن علي الندوي ومكانته في الأدب العربي:

فضيلة العلامة الشيخ أبو الحسن علي الندوي (المتوفى 1999 الميلاد) من العلماء الريانيين البارزين في الهند ، له جولة وصول لا في الهند فحسب، بل في العالم الإسلامي والعربي كله، إنه نال مكاناً مرموقاً في الأوساط العلمية والأدبية في العالم الإسلامي كله بفكره السديد الذي يجمع بين الإيمان بالله والثقة بالإسلام، والعمل الصالح والعلم النافع، كما احتل مكاناً ملموساً بأسلوبه الممتع المؤثر الذي يحمل تأثير الأسلوب الوجداني في كتبه ومؤلفاته وفي خطبه محاضراته.

الشيخ أبو الحسن علي الندوي وأدب الأطفال:

كما هو معلوم أن أدب الأطفال هو نتاج أدب العصر الحديث، والأستاذ كامل الكيلاني هو رائد هذا النوع من الأدب، لكن الشيخ أبا الحسن الندوي هو رائد بل هو إمام أدب الأطفال الإسلامي في معنى الكلمة، وهو أول من تنبه لأهمية هذا النوع من الأدب، وألف عدة كتب قيمة في هذا المجال، من أهمها "قصص النبيين للأطفال" في خمسة أجزاء، "القراءة الراشدة" في ثلاثة أجزاء، و"قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" وما إلى ذلك.

والهدف من هذه السلسلة الذهبية تعليم اللغة العربية للأطفال الناشئين في جانب، وغرس العقائد الإسلامية والأخلاق الفاضلة والقيم الدينية في نفوسهم في جانب آخر، فلنترك الحديث للشيخ أبي الحسن الندوي يحكي لنا قصة تأليف هذه الكتب القيمة التي نالت الدرجة الأولى في مكتبة أدب الأطفال في اللغة العربية.

يقول الأستاذ الندوي:

"يا بن أخي العزيز! أراك حريصاً على القصص والحكايات، وكذلك كل طفل في سنك، تسمع هذه القصص بكل رغبة، وتقرأها بكل رغبة، ولكني أتأسف لأنني لا أرى في يدك إلا حكايات السنابير والكلاب، والأسد والذئاب، وعلينا العهدة على ذلك، فذلك الذي تجده مطبوعاً.

وقد بدأت تتعلم اللغة العربية لأنها لغة القرآن والرسول والدين، ولك رغبة غريبة في درسها، ولكنني أخجل أنك لا تجد ما يوافق سنك من القصص العربية، إلا قصص الحيوانات، والأساطير والخرافات. فرأيت أن أكتب لك ولأمثالك أبناء المسلمين قصص الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام) بأسلوب سهل يوافق سنك وذوقك، ففعلت، وهذا هو الكتاب الأول من "قصص النبيين للأطفال" أهديه إليك". (8)

بهذه القطعة المقتبسة من مقدمة كتاب "قصص النبيين" يتضح بكل وضوح كيف نبنت في ذهنه هذه الفكرة البديعة تجاه أدب الأطفال ليتعلم الجيل الجديد في بكورة سنهم اللغة العربية السلسلة، والعقائد الإسلامية السمحة جنباً بجنب. وقد أشاد بهذا العمل الجليل للشيخ الندوي أدباء من العرب فضلاً عن العجم من أمثال صاحب الفضيلة الدكتور أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر الشريف، والداعية الأستاذ سيد قطب الشهيد وغيرهم. حيث كتب الأستاذ الشرباصي:

"لقد أحسن أخونا الداعية الإسلامي المخلص الأستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي أحد علماء الهند الأمثال حين طرق هذا اللون من الكتابة فقدم على

الفتيان المسلمين في الهند مجموعة من القصص الإسلامي المستمد من وحي الكتاب المجيد، لأنه يحقق ذلك غرضين كريمين، الأول منهما: هو إمداد الشبيبة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي يرضي العواطف والمشاعر، ويهذب الأخلاق والطبائع. والثاني: هو تمكين قواعد اللغة العربية في صدور هذه الشبيبة حتى يوثق الصلة بلغة القرآن، ولغة الحديث ولغة التاريخ الإسلامي في أغلب نواحيه". (9)

أسلوبه الأدبي في مؤلفاته للأطفال:

اختار الأستاذ الشيخ الندوي في مؤلفاته للأطفال أسلوباً سهلاً يحاكي أسلوب الأطفال ويحاكمهم، خالي من التعقيد اللفظي والمعنوي، بعيداً عن استعمال الكلمات الغريبة والكلمات الأجنبية أو العجمية. كما أنه استعمل الكلمات المستحدثة التي لها أصل عربي واشتقاق صحيح لموضوعات عصرية.

كل من يطالع مؤلفات الشيخ الأستاذ الندوي للأطفال يجد بكل وضوح أنه أخذ بالتدرج في إعداد هذه السلسلة الأدبية الذهبية بحيث يستعمل جملاً قصيرة مع تكرار المفردات العربية حتى يتمرن عليها الطالب الصغير ويحفظها حفظاً، ويتمكن من معرفة الصيغ كالماضي والمضارع والأمر والنهي، واستعمال الصلات، كما يراعي الأستاذ الندوي الطالب لمعرفة قواعد اللغة العربية من المبتدأ والخبر، والموصوف والصفة وهلم جرا.

نجد الأجزاء الثلاثة الأولى من قصص النبيين للأطفال أكثر سهولة من الجزء الرابع والخامس، فإنه استخدم فيها كثيراً من الكلمات العربية التي تستعمل في الأوساط الهندية أيضاً التي تدل على أن الأستاذ الندوي راعى مستوى الطالب الصغير وأتى بما هو سهل الفهم وقريب الإدراك، وتدرج في الجزء الرابع والخامس حسب مستوى الطالب، فأتى بالجمال الطويلة والتعابير الطويلة. أسلوب هذه السلسلة أسلوب مزيج من الأسلوب القرآني البليغ في سهولة الكلمات وبساطتها حتى لا تصبح مملة للطالب الصغير الذي هو حديث عهد باللغة العربية.

وبالجملة فقد اختار الشيخ الأستاذ الندوي الأسلوب الذي يراه أدباء العرب ضرورياً لكاتب أدب الأطفال. كتب الدكتور الحديدي:

"كاتب أدب الأطفال الناجح هو الذي يتجنب غريب الألفاظ ومجاز الأسلوب وتعقيده، ويجعل جملة قصيرة بحيث تدع الفرصة للقارئ والسامع مي يدرك الحوادث ويتخيلها، ويختار من الألفاظ ما يثير المعاني الحسية دون مبالغة واسراف". (10)

ومما يسلط الضوء علي أسلوب الشيخ الأستاذ الندوي قول الأستاذ أحمد الشرباصي في كلماته التقديمية لكتبه، وهو يكتب:

"وقد اضطر المؤلف أن يبسط الحديث ويختار من الجمل أيسرها وأهونها، مجازاة منه لمستوي الأطفال الذين سيقروا هذه القصص، كما اضطر إلي التكرار في مواطن كثيرة، إنه لا يسرد قصة فحسب، بل يعلم مع ذلك اللغة، وتعليم اللغة يحتاج إلى التكرار والإعادة، حتي تثبت الألفاظ وترسخ التعابير". (11)

الأسلوب القصصي في مؤلفات الشيخ الندوي للأطفال

وقد اختار الأستاذ الندوي القصة التي هي من أهم أنواع أدب العصر الحديث في تأليف الكتب للأطفال بصورة مستقلة لتعليم اللغة العربية والتربية الدينية، ونقل الأفكار الإسلامية الخالدة، وغرس العقيدة الإسلامية، والأخلاق الفاضلة في ذهن الطفل الصغير. وبذلك جمع بين أدب القصة وأدب الأطفال واستخدمهما لتعليم الجيل الجديد وتربيته في وقت واحد. استفاد الأستاذ الندوي لإعداد سلسلة قصص النبيين من القرآن الكريم والسيرة النبوية العطرة، إذ هما أساس التعليم والتربية، ومصدر الأفكار الإسلامية، منبع الأخلاق الفاضلة. فبدأ بقصة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ثم قصة يوسف (عليه السلام) التي هي أحسن القصص، ثم قصة نوح وهود وصالح وموسى وشعيب وداود وسليمان وعيسى (عليهم الصلوات والتسليمات) وختم هذه السلسلة بذكر خاتم الأنبياء وسيد المرسلين إمامنا وقودتنا محمد بن عبد الله الأمين (صلوات الله وسلامه عليه إلى يوم الدين)

الأسلوب القصصي الذي اتخذه الأستاذ الندوي هو أسلوب يوافق الفطرة إذ القصة ما زالت ولا تزال من أقوى الوسائل لتربية الأطفال وأكثرها تأثيراً في قلوبهم. وهذا الأسلوب عند علماء النفس من أبلغ الأساليب لترسيخ أية فكرة في أذهانهم، ولذا لجأت الأمهات والجذات من القديم إلى حكاية القصص المختلفة لأطفالهم وخاصة قبل النوم. والأطفال أيضاً يشترقون إلى استماع القصص من ساداتهم وكبراءهم متعة لأنفسهم.

فالطفل المسلم أحوج ما يكون إلى القصص التربوية حينما يخرج من أحضان الأمهات إلى أحضان المدارس، وليست أية قصة أفضل من قصص القرآن الكريم التي تسد هذه الحاجة بصفة أبلغ، لأن قصصه أحسن القصص، وتمتاز بسمو غاياته وعلو مراميه، وتشتمل على الأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية، وخاصة قصص الأنبياء الكرام والتابعين لهم بإحسان، وقصص فوزهم وفلاحهم

وكذلك أحوال المنكرين لهم وخيبتهم وخسرانهم في الدارين تلعب دوراً هاماً من الناحية التربوية في الأطفال.

وقد أشاد بهذا العمل التجديدي الأستاذ أحمد الشرباصي في كلماته قائلاً:

"هاهو ذا أخونا الداعية المفضل السيد أبو الحسن الندوي يدرك هذه الحقيقة خير إدراك، فيخرج لأطفال المسلمين في الهند وغيرها هذه السلسلة - قصص النبيين - فيخدم بذلك دينه، إذ يعرض عن طريق هذه القصص كثيراً من مبادئه وتعاليمه التي يتلاءم ذكرها مع القصة، أو تنبعث أضواءها من الجو المحيط بالقصة، يخدم بذلك أطفال المسلمين لأنه يقدم إليهم أحسن القصص وأجمل الحوار، وأروع الحوادث، فيرضي الميول المختلفة في نفس الطفل الهائم بالاستطلاع، ويخدم بذلك مكانته الأدبية وإن لم يعتمد ذلك". (12)

بعض النماذج الأدبية للشيخ الأستاذ الندوي من مؤلفاته للأطفال

نقدم فيما يلي بعض النماذج الأدبية التي قام بها الشيخ الأستاذ الندوي من تعليم الأطفال الناشئين اللغة العربية السلسلة بأسلوب سهل ممتع، بحيث يتعلم الطالب اللغة بالتدريج ويغذي نفسه وروحه بالأفكار الإسلامية والأخلاق الفاضلة، فمثلاً هو يكتب في قصة سماها "من ربي"

"وذات ليلة رأى إبراهيم كوكبا، فقال: هذا ربي.

ولما غاب الكوكب، قال إبراهيم: لا! هذا ليس بربي.

ورأى إبراهيم القمر، فقال: هذا ربي.

ولما غاب القمر، قال إبراهيم: لا! هذا ليس بربي.

وطلعت الشمس، فقال إبراهيم: هذا ربي، هذا أكبر.

ولما غابت الشمس في الليل، قال إبراهيم: لا، هذا ليس بربي.

إن الله حي لا يموت. إن الله باق لا يغيب. إن الله قوي لا يغلبه شيء.

والكوكب ضعيف تغلبه الشمس.

والشمس ضعيفة يغلبها الليل ويغلبها الغيم.

ولا ينصرني الكوكب لأنه ضعيف.

ولا تنصرني الشمس لأنها ضعيفة.

وينصرنى الله، لأن الله حي لا يموت، وبق لا يغيب، وقوي لا يغلبه شئ." (13)

وكما قص قصة تحت عنوان "نصيحة صالح"

"ولم يزل ينصح لقومه ويدعوهم الى الله بحكمة ورفق.

ويقول يا إخواني أتظنون أنكم هنا إلى الأبد؟

أتظنون أنكم تسكنون في هذه القصور دائما؟

أتظنون أنكم لاتزالون في هذه البساتين والأشجار؟

وأنكم لا تزالون تأكلون من هذه الزروع والأشجار؟

وأنكم لا تزالون تنحتون من الجبال بيوتا؟

أبدا! أبدا!، إن ذلك لا يكون! إن ذلك لا يكون! فلماذا مات آبائكم يا إخواني؟

كانت لهم قصور وكانت لهم كذلك بساتين وعيون.

وكانت لهم زرع ونخيل، وكانو ينحتون من الجبال بيوتا يسكنون فيها.

ولكن كل ذلك لم ينفعهم، ولكن كل ذلك لم يمنعهم.

ووصل إليهم ملك الموت، ووجد إليهم سبيلا، وكذلك تموتون أنتم أيضا.

ويبعثكم الله ويسألكم عن هذه النعيم." (14)

ويكفي هذان النموذجان لإلقاء الضوء على أسلوب الشيخ الأستاذ الندوي في أدب الأطفال، كيف قام بتعليمهم اللغة العربية في ألفاظ بسيطة وجمل قصيرة وتعايير سهلة مع تكرار الكلمات والعبارات في جانب، كما قام بترسيخ العقائد الإسلامية الأساسية من التوحيد والآخرة، والآداب الدينية من مكارم الأخلاق ومحاسنها في قلوبهم وأذهانهم في جانب آخر.

خاتمة البحث

وبالجملة فقد أسهم سماحة الشيخ الأستاذ أبو الحسن علي الندوي في أدب الأطفال عن طريق تأليف الكتب لهم إسهاما لا يستهان بقيمته، فجاء بالكلمات البسيطة والتعبيرات السهلة وتدرج في تعليم الأطفال الناشئين الذين هم حديث عهد باللغة العربية حسب مستوياتهم وأعمارهم، كما أنه اتخذ هذا النوع من الأدب وسيلة لتعليمهم العقائد الإسلامية السمحة والقيم الدينية والخلقية. وقد ظفر الشيخ الندوي بانتاجاته الأدبية للأطفال في بناء مستقبلهم زاهرا مشرقا، حتي اعترف به الأستاذ السيد قطب الشهيد وقال: "ولكني أشهد في غير مجاملة أن عمل السيد أبي الحسن الندوي في هذه القصة التي بين يدي جاء أكمل من هذا كله". ورأي علماء العرب أن مؤلفاته وإن كانت وضعت

لأطفال المسلمين في الهند حتى تربطهم منذ نشأتهم بدينهم ولغة قرآنهم، فإنها صالحة كذلك لتوضع بين أيدي أطفال المسلمين في سائر أقطار المسلمين في العرب والعجم. فجزاه الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير جزاء ويجعله في ميزان حسناته.

المراجع

- 1 __ الشيخ الأستاذ محمد الرابع الندوي، الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، الطبعة السادسة 2003، ص: 18
- 2 __ الشيخ الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار الرشيد لكتناؤ، الطبعة الأولى 2009، ص: 12
- 3 __ الأستاذ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1996، ص: 46
- 4 __ الشيخ الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، أعلام الأدب العربي في العصر الحديث، دار الرشيد لكتناؤ، الطبعة الأولى 2009، ص: 39
- 5 __ الشيخ الأستاذ محمد الرابع الندوي، الأدب العربي بين عرض ونقد، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، الطبعة السادسة 2003، ص: 216—217
- 6 __ الدكتور على الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الرابعة 1988، ص: 112- 113
- 7 __ الأستاذ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1996، ص: 113
- 8 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الأول، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، ص: 5
- 9 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الأول، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، ص: 4
- 10 __ الدكتور على الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الإنجلو المصرية، الطبعة الرابعة 1988، ص: 76
- 11 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الأول، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، 2017، ص: 4
- 12 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الثالث، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، 2017، ص: 6- 7
- 13 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الأول، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، ص: 15—16
- 14 __ الشيخ الأستاذ السيد أبو الحسن الندوي، قصص النبيين للأطفال الجزء الثاني، مؤسسة الصحافة والنشر لكتناؤ، ص: 47— 48

نظرات الشيخ علي الطنطاوي في فكره الإصلاحية

گلزاراً أحمد بال¹

المدخل:

وُلِدَ الشيخ علي بن مصطفى الطنطاوي في دمشق، سوريا، سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م لأسرة ذات علم ودين أصلها من مدينة طنطا في مصر، وكان جدّه الشيخ محمد بن مصطفى عالماً أزهرياً وخبيراً في الفلك والرياضيات، وقد انتقل بعلمه من مصر إلى ديار الشام في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، أما أبوه الشيخ مصطفى فكان أميناً للفتوى، ثم رئيساً لمحكمة النقض في دمشق. قرأ الطنطاوي على أبيه وعلماء عصره والمشائخ واشتهر بلقب "الشيخ" منذ عام 1337هـ أي وله من العمر عشر سنوات وذلك لسمته واتصاله بالدين والدعوة. يُعد الطنطاوي من أعلام الإسلام المعاصرين وموسوعة في الثقافة الإسلامية، فهو فقيه قاض وداعية كبير وأديب ناقد وصحفي ومؤرخ. قضى أكثر من ستين عاماً يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقدم خدمات كبيرة للأمة الإسلامية حتى نال جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1990م، وله أكثر من أربعين كتاباً في الأدب والثقافة والاجتماع والتاريخ بجانب المؤلفات الدينية، ومن أشهرها كتابه "تعريف عام بدين الإسلام" حيث أعيد طبعه أكثر من ثلاثين مرة، وترجم إلى عدة لغات للنفع العام. كان الشيخ علي الطنطاوي من أوائل الذين جمعوا في دمشق بين أسلوبَي الدراسة، التلقي على المشائخ والتعلم في المدارس النظامية الحديثة. بدأ الشيخ علي الطنطاوي كتابته للنقد والإصلاح في عنفوان شبابه وصار علماً للدعوة والإصلاح، وكانت الدعوة والإصلاح هو الطابع الغالب وصفة غالبية على كتاباته كلها ويمكن أن توضع مقالاته جميعاً تحت مظلة الدعوة والإصلاح فهي تناول الإصلاحات في العقيدة والسلوك والتعليم والأدب والقضايا الأدبية والاجتماعية والسياسة وغيرها كما صرح بذلك حفيده مجاهد مامون في مقدمة الكتاب "فصول في الدعوة والإصلاح"،

"إن من الأعلام من تغلب عليه صفة فهو يُعرف بها، أو سمة فهو يُنسب إليها، فإذا ذكر لك الإسكندر-مثلاً- أو صلاح الدين تصوّرت حياة حافلة بالمعارك والفتوح، وإذا سمعت بالطبري أو النووي تخيلت حياة غنية بالدرس والتأليف، وهكذا، فأى شيء يخطر ببالك إذا فكرت بعلي الطنطاوي؟ قد يقول قائل: العلم الوفير والثقافة المتنوعة، ويقول الآخر: الكلمة الحلوة والأسلوب الجميل، ويقول ثالث ورابع: الحديث الجذاب والإلقاء الساحر، وروح الفكاهة والشخصية

¹ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية في الكلية الحكومية بلوامه

الأسرة، وكل واحد من هؤلاء مصيب، غير أنه لم يمسّ إلا عَرَضاً وفاتّه الجوهر. لقد كان علي الطنطاوي صاحب علم وفير وأسلوب جميل وحديث جذّاب، إلى غير ذلك، ولكن هذه جميعاً كانت أدوات سَخَّرَها واستعملها في دعوته إلى الله وسعيه إلى الإصلاح. فلو أن سائلاً سألني: 'كيف تلخّص حياة علي الطنطاوي؟ صفها في عشر كلمات' لقلت له: لا أحتاج إلى عشر، أخذ ثلاثاً وأردّ لك سبعا، لقد صرف حياته "في الدعوة والإصلاح" رحمه الله وأجزل له الثواب"¹

لقد كان للشيخ علي الطنطاوي يقينا كاملا على صلاحية الإسلام لكل العصور ولم يتزلزل هذا اليقين يوما ما، بل كان دائما يجزم بصدق هذا الدين وحقيقته، وصلاحيته لقيادة العالم وتحقيق سعادته فإنه يقول "وأقوله مرة ثانية- فالإسلام كان صالحا لعصر (محمد صلى الله عليه وسلم) وصحبه، وبقي صالح في عصر الذرة والصاروخ ومركبات القمر، وسيبقى صالحا، وسيبقى دستور الحق والخير، والجمال وطريق سعادة الجسم والعقل والروح في كل عصر."² فبسبب هذا اليقين لم يستهويه الدعوات الحديثة ولم تخدعه الشعارات المغوية فهو يكشف زيف هذه الشعارات والضلالات ويثور على الانحرافات، ولكن مع ذلك لم يكن يرفض العلوم الجديدة والتكنولوجيا بل كان من سمات الفكر الديني عنده أنه اتبع منهج الوسطية والاعتدال، والبعد عن الغلو والتطرف، واتسم خطابه الديني بالموضوعية والسهولة والمعاصرة كما توجد في مؤلفاته بالتفصيل.

الوسطية الأدبية:

كان الطنطاوي أديب إسلامي ملتزم وكان يعتقد ويعتمد على الفن والأدب للإسلام، لا الفن للفن، ويمكننا أن نفهم وجهة نظره خلال تعليقه على كتاب في ترجمة (اللورد بيرون) للصاوي يقول فيه: "هذه الرذائل كلها، ومؤلف الكتاب يمجّد الرجل ويبجله، ويلبسه أثواب العظمة والجلال، ولا ينكر عليه بكلمة واحدة؟ لماذا؟ لأنه استطاع أن يصنع كلاما جميلا، لأنه نظّم شعرا بليغا، لأنه كان أديبا، والأديب مغفور له كل ذنب، محتمل منه كل أذى، وأنا أديب ولكن إن كان هذا هو الأدب فاشهدوا علي أنني طلّقت الأدب طلاقا لا رجعة فيه، وسامحكم الله بالثلاثين سنة التي أنفقتها من عمري في الكتابة فيه، وبالعشرة آلاف من الصفحات التي كتبها في هذه السنين الثلاثين. إن كان هذا هو الأدب، فلعنة الله على الأدب. لعنة الله على الشعر الجميل، والوصف

1. علي الطنطاوي: فصول في الدعوة والإصلاح، ص 5.

2. علي الطنطاوي: فصول إسلامية، ص 138

العبقري، إذا كان لا يجيء إلا بذهاب الدين والفضيلة والعفاف".¹

يقدم الطنطاوي صورة صحيحة لمعنى النقد إذ يفرق بين النقد والسب والناقد والعدو ويراه ميزانا ومقياسا لتصحيح القطعات الأدبية، وتعيين مكانتها في الأدب ويرى تعطيل النقد سببا لازما للركود والإفلاس في الأدب كما يقول: "...فقد طال ركودنا الأدبي - وامتدَّ نوم أدبائنا وزادت ثقتهم بنفوسهم غرورهم حتى كاد والله يتسرب إلى نفوسنا الخوف من "الإفلاس الأدبي" ولكننا لم نكن نجد الجريدة التي تتسع للنقد، وتفهمه على وجهه، وتعلم أنه شيء لا شأن له بالصدقة وأنه ما دام وجهها معقولا، يجب أن يقبل وينشر سواء أكان موجها إلى صديق أم إلى عدو... على أن الأمر لو وقف عند الجرائد لكان الأمر وسهل الإصلاح، ولكن هذا المرض قد سرى إلى الأدباء، إلى الأدباء الكبار على وجه التخصيص، فغدوا يفرعون من النقد، ولو كان مسافيقا... من أجل ذلك مات النقد في بلادنا، وجهله الناس، ولم يبق من يفرق بينه وبين السب والشتم ويعلم أن الذي ينقد ليس عدوا ليسب ويشتم؟ ولا خصما يريد أن يهدم الأديب الذي ينقده، ولكن الذي ينقد أديب له ميزان حساس، وصنجات موزونة، وعنده مثل أعلى فهو يقيس عليه القطعة التي ينقدها ويبين مقياسها ويعطيها ما تستحق من التقدير"² ولكنه في نفس الوقت يعلن عن المنهج النقدي وأصول النقد وفروعه الذي يجب أن يتبعه هو ويجب على النقاد لزومه حتى لا يفزع منه الأدباء فإنه يقول: "هذا هو النقد الذي سأكتبه، وسأجتهد أن أدنو به من قواعد النقد الأدبي، وسأفتح صدري لكل جواب يأتي، أو اعتراض يرد علي، وسأزنه بميزان الحق، ثم أحكم به لي أو علي. لأننا -والحق يقال- إذا شكونا من جزع أدبائنا من النقد، وإساءة فهمهم إياه، فإننا نشكو أكثر من ذلك من رقاعة أكثر من يتصدعون للنقد، وجهلهم بأصوله وفروعه، وخبثهم خبط عمياء في طرق لا يعرفونها، ومسالك لا يألونها..."³

والطنطاوي كان يجري في بداية كتاباته في النقد على ما وصفه "المصارعة الحرة"، ليّا (أي لويّا) للأيدي، وخلعا للأكتاف، وكسرا للأصابع، نطحا وبطحا، ورفسا وعضا، ورفعاً وخفضاً، لكنه بعد ذلك قلب صفحة جديدة وفتح صفحة جديدة، وأراد أن يكون النقد موضوعيا، ناعما، ليس فيه لكم ولا لطم ولا رفس⁴، بل يكون شيئا كالعناق والتقبيل وحتى نراه يقول "ولكن للنقد شرائط، أولها أن يلقي الناقد عنها هواه، وي طرح بغضاءه،

¹ علي الطنطاوي: صور وخواطر، ص 203.

² علي الطنطاوي: فكر ومباحث، ص 147-148.

³ المصدر السابق، ص 149.

⁴ علي الطنطاوي: الذكريات، ج 8، ص 303.

فإن البغضاء تدفع إلى الظلم، والهوى يعمي ويصم"¹.

المواقف الاجتماعية:

القضايا والمشكلات الاجتماعية انبثقت أكثرها من الصراع بين القديم والجديد أو الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية كما سماها الشيخ أبو الحسن الندوي فلذلك يعتبر هذا الصراع بين القديم والحديث وبين الجمود والمعاصرة من أهم الموضوعات التي تطرق إليها الأدباء الإسلاميون في القرن العشرين لأن هذا الصراع كان ولا يزال شائعا في المجتمعات في بلاد إسلامية كما صرح بذلك الأستاذ الندوي في استهلال كتابه القيم "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية" قائلا :

"إن هناك صراعا فكريا، بل معركة فكرية في عبارة أصح، في جميع الأقطار الإسلامية في هذا الوقت، نحن نستطيع أن نسميها صراعا ومعركة بين الأفكار والقيم الإسلامية والأفكار والقيم الغربية، وهي المعركة الحامية الحاسمة الحقيقية التي يخوضها العالم الإسلامي اليوم وهي التي ستقرر مصيره وهي معركة تتضاءل أمامها جميع المعارك التي يغالي في تصويرها أو تهويلها الكتاب والمؤلفون..إنني أعتقد أن ذلك أضخم مشكلة للأقطار الإسلامية، وهي مشكلة حقيقية لا صلة لها بالأوهام والأحلام، إن ضعف الأقطار الإسلامية الداخلي ونفوذ الحضارة الغربية واحتلالها واستيلاء الأفكار الغربية المادي والسياسي يرسم في الأفق علامة استفهام واضحة ضخمة أمام الأقطار الإسلامية كلها، ولا نستطيع أن نتقدم خطوة واحدة بدون أن تجيب عليها جوابا حاسما. أي موقف تتخذه هذه البلاد نحو هذه الحضارة؟!

وأي منهج تسير عليه لتوفيق مجتمها بالحياة العصرية وتحقيق مطالب العصر الحديث ؟!

وإلى أي مدى تثبت ذكائها وشجاعتها الخلقية لمواجهة هذه العضلة؟

إن وضع الجواب على هذا السؤال هو الذي يحدد مكانة هذه الشعوب في خريطة العالم ويعرف به

مستقبل الاسلام في هذه البلاد مدى وفائها لرسالة الاسلام الخالدة العامة"².

هكذا كان حال الأقطار الإسلامية في عهد الطنطاوي كما كان معاصرا للندوي وكذلك أوضاع الشام

ومصر والعراق، وكان المجتمع منقسما إلى معسكرين في طفولة الطنطاوي بين المشائخ العاكفين على كتبهم في

¹ علي الطنطاوي: "كلمة على الهامش"، مجلة الرسالة، العدد 257 (1938).

² أبو الحسن الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص 5-7.

حلقاتهم، يعيدون إقراءها تلامذتهم وبين الأفندية من المدرسين والطلاب، في مدارسهم وجامعاتهم، وكنا كالخطين المتوازيين كما يقول الطنطاوي:

"أزهر وجامعة، محاكم شرعية ومحاكم مدنية، يختلفان في الزي وفي التفكير وفي تقويم الحياة، يمشيان كالخطين المتوازيين، يتجاوران ولا يتلاقيان، يتكلمان بلسانين، ويفكران بعقلين، فلا يكاد الشاب يفهم ما يقول الشيخ ولا يرتضي تفكيره، ولا كان الشيخ يعرف الطريق إلى إفهام الشاب وإثارة اهتمامه بما يفكر هوفيه، وكانت هذه هي العلة الكبرى"¹ ولما كان من حسن حظ الطنطاوي أنه مشى في دراسته في الطريقين معا، على الأسلوب الأزهرى القديم، وطريقة المدارس النظامية فنشر سنة 1348هـ 'رسائل الاصلاح' وانتقد فيها المشائخ، وأساليهم في التدريس، واختيارهم للكتب، وبُعدهم عن العلوم الجديدة، ثم أصدر الطنطاوي في السنة القادمة رسائل 'سيف الاسلام' وهجم فيها على الشباب الجاحدين فالطنطاوي خبير بالقديم الصالح والجديد النافع فرؤيته متزنة بميزان الإسلام في حل قضايا المجتمع من غير أي يُبعد الناس عن استخدام التسهيلات الجديدة والعلوم النافعة.

يتناول كل ما يتصل بالمجتمع من ظواهر وعادات وتغيرات، ويعالج المشكلات الاجتماعية بحلول الإسلام ويريد أي يرد كل شيء إلى أصله الإسلامي الذي انحرف عنه، فهو ينظر بمنظور إسلامي إلى المرأة والشباب والسفور والفقر والتعليم والتقدمية وهذه هي من أهم موضوعات الطنطاوي في مقالاته.

المرأة: الطنطاوي معتدل في وجهة نظره حول المرأة، فإنه لا يرضى أن تكون دمية في يد الرجل يستمتع بها ثم يحطمها وقت ما يشاء، ولا أن تترك أنوثتها ويصارع الرجال في ميادين لا تناسب لها حتى تفقد ذاتها وشرفها وتنسى نوعها، بل يسعى ويريد أن تكون ملكة في بيتها، لتلعب دورها في سعادة زوجها، ورعاية أولادها وتربيتهم تربية إسلامية وتساعد أهل لتحقيق الأهداف السامية بهذا الصدد ويقارن بين نساء الغرب المشركات والنساء المسلمات الحافظات ويقدم الأمثلة من التاريخ الإسلامي لإبراز عظمة النساء المتدينات المربيات كما يقول:

"أ يكون الطهر عيب، والعفاف عارا، والخير شرا، والنور ظلاما؟ حسبنا تفكيراً برؤوس غيرنا، حسبنا نظرا بعيون عدونا، حسبنا تقليدا كتقليد القروء ولنعد إلى أنفسنا، إلى عربيتنا وإسلامنا، إلى طهرنا وعفافنا. ليصنع نساء الغرب ما شئن وشاء لهن الرجال، فمالنا ولنساء الغرب؟ وليكن نساؤنا كما نريد نحن لهن ويريد الله، لنكون لهن وحدهن، نقنع بهن ولا ننظر إلى غيرهن. ليس في

¹ علي الطنطاوي: ذكريات، ج 1، ص 258.

الدنيا نساء خير من نساؤنا، ما تمسكن بحجابهن، وحافظن على آدابهن، وتقيدن بأخلاق العرب، وأحكام الإسلام، وأعراف ذلك المجتمع الفاضل الذي أخرج عائشة وأسماء والخنساء وخولة ورابعة ومئات من المربيات الفضليات، والعالمات الأديبات، والأمهات الدِّينيات الصَّيِّغَات اللَّائِي وَلَدْنَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالَ، الَّذِينَ كَانُوا فَرَسَانَ الْمِيَادِينِ، وَكَانُوا هُمُ فَرَسَانَ الْمَنَابِرِ، وَكَانُوا هُمُ أَبْطَالِ الْفِكْرِ، وَكَانُوا هُمُ مَلُوكِ الْمَالِ، وَكَانُوا سَادَةَ الدُّنْيَا، وَكَتَنَ أَتْنِ أَمَهَاتِ أَوْلَئِكَ السَّادَةِ".¹

الشباب: يهتم الطنطاوي بقضايا الشباب ويشارك لهم في عواطفهم، ويعتبرهم طاقة المجتمع ومستقبل الأمة فلماذا يتكرر ذكر الشباب ومسائلهم في مقالات الطنطاوي ويقوم بتوجيههم توجيهًا إسلاميًا فاعلاً، ليُبْعِدَهُمْ عَنْ لَوْثَاتِ الْفِكْرِ وَخَوَرِ الْعِزَائِمِ وَاضْطِرَابِ الْعَوَاطِفِ، وَالْخَوْضِ فِي بَحْرِ الضَّلَالَاتِ، وَلَمْ يَكْتَفِ الطنطاوي عَلَى تَنَاوُلِ مَشْكَلاتِ الشَّبَابِ فَحَسْبَ، بَلْ أَهْتَمَ بِالْإِنْسَانِ فِي مَرَاكِلِ حَيَاتِهِ الْمَخْتَلِفَةِ، وَقَدَّمَ لَهُ مَا يَنْتَاسِبُ مَعَ كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِلِ عُمُرِهِ مِنَ التَّوْجِيهَاتِ وَالْأَرْءِ التَّربَوِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَذَّرَ مِمَّا يَفْسِدُ أَخْلَاقَهُمْ مِنْ رِفَاقِ السُّوءِ، وَالْمَجَلَّاتِ، وَالْكَتَبِ الْمَفْسُودَةِ، وَالْمَجُونِ وَغَيْرِهَا وَيَحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْجِدَّ وَالشَّجَاعَةَ وَالطُّمُوحَ، وَالْفَضِيلَةَ وَيَضْرِبُ لَذَلِكَ الْأَمْثَالَ مِنْ الْحَيَاةِ وَالتَّارِيخِ كَمَا نَرَاهُ يَقُولُ: "الشباب يا سادتي، الواحة الفريدة في صحراء الحياة، وهو الربيع في سنة العمر، هو البسمة الوامضة على ثغر الزمان القاطب، لست أعني هذا الشاب الغض الغريض، الحلو الناعم، الذي يجرح خديه لمس النسيم، ويدمي بنانه مس الحرير، والذي ترق عنده الحياة، حتى تسيل من العيون نظرات ساحرة مغرية، وتدق جلائل الأعمال فيها حتى يستحيل إلى فكرة تطير كالفراشة بين أزهار الجمال في روضة الحب... لست أعني هذا الشباب الفاتن المتأنث الذي يعيش للهوى، والأحلام، ويبدأ تاريخ حياته بالحاء (ح)، فلا يلبث أن ينتهي بالباء (ب). إنما أعني الشباب الحي، العامل، القوي، المتين، الذي وضع له غاية في العيش أبعد من العيش، ونظم نفسه حلقة في سلسلة شعبه، واتخذ له مطمحا، ومثلا عاليا ثم عمل على بلوغه، وسعى إليه باندفاع الصواعق المنقضة، وقوة العواصف العاتية، وثبات الطبيعة، وألقى في سفر حياته الرء بين الحاء والباء! وهل الحياة إلا حرب دائمة، ونضال مستمر، وتنازع على البقاء، وتسابق إلى العلاء!"²

الفقر: الطنطاوي يعتقد أن الإسلام عنده الحل الأقوم لمشكلة الفقر إذ فرض الزكاة على الأغنياء ولم يستيح في نفس الوقت استباحة أموالهم بل حضهم على الإحسان والبر إلى الفقراء، يقول الطنطاوي: "ولسنا

1. علي الطنطاوي: مع الناس، ص 129-130.

2. علي الطنطاوي: فصول إسلامية، ص 36-37.

والله شيوعيين ولا اشتراكيين، ولا يرانا الله ندعو إلى هذه (اللجنة الحمراء)، ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض، ولكننا ندعو إلى الشعور الذي لا يكون الإنسان إلا به إنسانا، والإحسان هو شعبة من شعب دين الإسلام¹ ويقول أيضا "ويبدو من هذا التلخيص الموجز أن دعوة التوفيق بين الإسلام والاشتراكية بحجة أن في الإسلام اشتراكية دعوة باطلة...إنها تقوم على "صراع الطبقات" واستبداد العوام بالخواص ثم العمل على إبادتهم وقطع دابرهم، وهي بهذا كله تناقض الإسلام مناقضة صريحة، فالإسلام مبني على الإيمان وعلى التوحيد وهذه مبنية على الإلحاد والجحود، والإسلام يدعو إلى الأخوة والمحبة والعدل وهذه تدعو إلى الحقد والبغضاء والصراع، وتجزير الظلم إذا كان وسيلة لحرب من تسميمهم "البرجوازيين"، والإسلام يُقر الملكية الفردية (وإن كان يقيدتها القيود التي سيأتي بيانها) ويقر التوارث وهذه تأبى ذلك كله، ولا شك أن في هذه المذاهب أمورا فرعية ربما وافقت في الجملة أمورا مثلها في الإسلام، ولكن هذا التوافق في الجزئيات لا يسوّغ لنا أن نقول "اشتراكية الإسلام"²

المواقف السياسية:

يعتقد الطنطاوي أن الإسلام نظام كامل لا حاجة معه إلى البحث عن طرائق أخرى، كما يصنع بعض قصار النظر فلذلك يقول: "الفرق بين الإسلام وغيره أنه دين، وسياسة، وعلم، وتشريع في الوقت نفسه، فعل يعاب الإسلام بهذا؟ والذي يقول: إن السياسة أو الحقوق ليست من الإسلام فعليه أن يمحو من القرآن براءة، والأنفال، ومئات الآيات التي تبحث في الأحكام، والتي أفردتها (الجصاص) وغيره من العلماء بالتأليف فيها"³ ولكنه مع ذلك لا يغفل عن الحقيقة أن الإصلاح لا يمكن من تنفيذ القوانين وعقوبات فقط فإنه ينبه الحكومات إلى ضرورة نشر الدين، وتعميق أثره في النفوس من التقويم والإصلاح، فإنه يخاطب الحكام قائلا: "واعملوا على رد الناس إلى الدين فإنه لا يدفع هذه الشرور، ولا يدرأ هذه المفاسد، ولا يمنع هذا الفساد إلا الدين. إن الذي يخاف القانون وحده، يخافه ما بقي الشرطي واقفا، فإن ذهب الشرطي رتع الرجل، فهل تستطيعون أن تقيموا على كل رجل شرطيا يراقبه؟ وإذا كان الشرطي نفسه يحتاج هو-أيضا-إلى مراقب؟ أما الذي يخاف الله فإنه يعلم أنه يراه دائما، وأنه مطلع عليه في

¹ علي الطنطاوي: في سبيل الإصلاح، ص 119.

² علي الطنطاوي: فصول في الدعوة والإصلاح، ص 278-279.

³ علي الطنطاوي: مقالات في كلمات، نقلا عن الاتجاهات الإسلامية لوفاء علي وفا، ص 146.

سره وجهه، وهو معه أينما كان، فيمنعه خوفه من الله من أن يسرق، أو يزني، أو يظلم أحداً، أو يعتدي على أحد، وها أنتم هؤلاء جريتم ترك الدين، والبعد عنه، والزهد فيه فماذا وجدتم¹

والسياسة عند الطنطاوي ليست تابعة للحاكم يصرف كيف يشاء بل لها ضوابط وقوانين وقيود إسلامية تحميها من الشطط وتعصمها من الطغيان والإفساد، ولما يبتعد الحاكم عن دين الله، تصير القوانين موضع الريب مهما حاول فرضها بالقمع والعقوبات. كما مرّ أن الطنطاوي يعتقد أن للإسلام صلاحية كاملة لحل جميع مشكلات العالم، فلذلك لا يميل إلى الشيوعية أو الديمقراطية لحل المشكلات فإنه يجزم أن الإسلام يحلها على طريقته وأسلوبه الذي يناسب كلياً بالفطرة الإنسانية. الطنطاوي يرى من الدعوة إلى القومية والوطنية في مفهومها الشائع، فإنه يطرح فكرة الوطن الإسلامي الذي تزول فيه الحدود، وتمزق فيه القيود، فلذلك يشعر بضرورة وحدة الأمة الإسلامية وبوجوب الانتماء إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وحده ويدعو في موضوعاته الوطنية إلى الربط بين أقطار الإسلامية، وتحقيق وحدته باعتباره وطناً واحداً وهو يقول: "ولكن الإسلام لم يكن بالعرب، بل العرب كانوا بالإسلام. الإسلام هو الذي جاء إلى هذا المعدن الخام الكامن في نفوسهم، الذي لا يدري به الناس ولا يدرون به هم أنفسهم، فاستخرجه وصقاه وصنع منه هذه الروائع التي عزّت عن الشبيه واستعصت على التقليد. لقد وُلد العرب في التاريخ يوم ولد محمد صلى الله عليه وسلم، فمن لم يصدّق فليتصور كيف يكون تاريخ العرب لو لا محمد صلى الله عليه وسلم؟

وماذا يكون يبقى لهم لو لا الحضارة التي أقامها أتباع محمد صلى الله عليه وسلم من العرب؟، إنه لن يبقى لهم إلا السقاية والرفادة والمعلقات السبع، وقصر غمدان في اليمن والخورنق في الحيرة... وهذا كل شيء!

أما حضارة دمشق وبغداد والقاهرة فهذه كلها إنما صنعها الإسلام، وهؤلاء القواد الأمجاد الذين ربّحوا للعرب عشرة آلاف معركة، الذي أخرجهم وحقق لهم هذه الانتصارات هو الإسلام. وهؤلاء العلماء وهؤلاء الفلاسفة الذين كانوا أساتذة الدنيا، وكانت كتبهم هي الغذاء العقلي لأدمغة طلاب أوروبا في جامعاتها إلى ما قبل أربعة قرون فقط... هذا كله أثر من آثار الإسلام. إن العرب مدينون بوجودهم الحضاري وبمنازلهم في التاريخ للإسلام.

فالعربية والإسلام أخوان لا ضدان ولا نقيضان. إن بينهما ما يسمى عند أهل المنطق "عموماً

¹ علي الطنطاوي: مقالات في كلمات، ص 117.

وخصوصا من وجه"، إنهما دائرتان متداخلتان، دائرة صغيرة هي العربية وكبيرة هي الإسلام، يكون منهما ثلاثة أقسام: عربي مسلم، وهذا ليس فيه كلام، فنحن عرب ونحن مسلمون، ونحن نعتز بقرآننا العربي ونعتز بعربيّتنا المسلمة، ومسلم غير عربي، وهو أخونا، نحن منه وهو منا، دينه ديننا وكتابه كتابنا وقبلته قبلتنا، لا فرق بينه وبيننا ولا فضل لنا عليه ولا له علينا. وفيهما عربي غير مسلم، إن كان في ذمتنا وكان ساكنا معنا كان له ما لنا وعليه ما علينا، ولكن لا نقدمه على ذاك الذي هو أخونا، ولا نجعل رابطة الدم واللسان كرابطة الدين، ولا نجعل من يشرك بالله أو يجعل له ولدا أو يجحد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كمن يقول معنا "لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، هذا هو ديننا، لا نستطيع أن نكتم حقائقه أو نبذل أركانه، بل نعلنه على رؤوس الأشهاد ومن ذرى المآذن، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر".¹

المراجع والمصادر

1. مجاهد مامون ديرانية: علي الطنطاوي، أديب الفقهاء وفقه الأدباء، دار القلم، دمشق، ط 1، 2001م.
2. علي الطنطاوي: في سبيل الإصلاح، دار المنارة، جدة، ط 4، 1996م.
3. أحمد العلوانة: فهارس ذكريات علي الطنطاوي، دار المنارة، جدة، ط 2، 2000م.
4. علي الطنطاوي: فكر ومباحث، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط 8، 1988م.
5. علي الطنطاوي: فصول في الدعوة والإصلاح، دار المنارة، جدة، ط 1، 2008م.
6. علي الطنطاوي: فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، جدة، ط 1، 2007م.
7. علي الطنطاوي: فصول إسلامية، دار الدعوة، دمشق، ط 1، 1960م.
8. علي الطنطاوي: هتاف المجد، دار المنارة، جدة، ط 3، 1996م.
9. إبراهيم مضواح الأملعي: روائع الطنطاوي روائع من أدبه وفوائده من كتبه، دار المنارة، جدة، ط 1، 2000م.
10. علي الطنطاوي: صور وخواطر، دار المنارة، جدة، ط 4، 1998م.
11. علي الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام، دار المنارة، جدة، ط 1، 1989م.
12. علي الطنطاوي: يا بني، مجوهرات المغرب، المدينة المنورة، ط 1، 1406هـ.
13. علي الطنطاوي: يا بني، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط 1، 1406هـ.
14. علي الطنطاوي: ذكريات علي الطنطاوي (ثمانية أجزاء)، دار المنارة، جدة.
15. عبد العال بن سعد الرشيد: الكلمات النيرات من كتاب الذكريات، منشور في شبكة الألوكة.

¹ علي الطنطاوي: فصول في الدعوة والإصلاح، ص 298-299.

16. عبد الله بن جبريل: بعض الآراء التربوية للشيخ علي الطنطاوي (دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى-متطلب تكميلي لنيل درجة "الماجستير في التربية الإسلامية" 1420 هـ.
17. علي الطنطاوي: رجال من التاريخ (جزءان)، دار المنارة، جدة، ط 8، 1990 م.
18. علي الطنطاوي: فصول اجتماعية، دار المنارة، جدة، 1422 م.
19. علي الطنطاوي: مع الناس، دار المنارة، جدة، ط 3، 1996 م.
20. علي الطنطاوي: مقالات في كلمات (المجموعة الثانية)، دار المنارة، جدة، ط 1، 2000 م.
21. وفاعلي وفا: الاتجاه الإسلامي في أدب علي الطنطاوي، مكتبة العبيكان، 1431 هـ.
22. محمد المجذوب: علماء ومفكرون عرفتهم (ثلاثة أجزاء)، دار الشواف، الرياض.
23. د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004 م.
24. أحمد الجدع: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، دار الضياء، عمان، الأردن.
25. د. عبد الباسط بدر: دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 2005 م.
26. أبو الحسن الندوي: نظرات في الأدب، دار البشير، عمان، الأردن، ط 1، 1990 م.
27. أبو الحسن الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار الندوة، لبنان، ط 2، 1968 م.

مجلة "البعث الإسلامي" ودورها الأدبي في تطوير الصحافة العربية

رفعت آرا¹

المدخل:

لم تختلف الأقوال في أن المجالات العلمية قد أدت دورا هاما منذ وجودها لحفظ أفكار أصحابها ونشرها بما تشمل من الألفاظ والمعاني، حتى تصل الرسالة إلى المرسل إليه بأكمل وجه يريده أصحابها، وكانت تحرص على اللغة وتشجع على لباقها وتحفظ رونقها لكيلا تفقد قيمتها، وهي تحمل عبئا ثقيلا في التعبير عما في الصدور، وهي مرآة صافية تعكس حياة أصحابها، وما وصلت إليه أفكارهم من علوم ومعارف، كما تحرص كل الحرص على بناء المستقبل وتوجيه الأجيال المتعاقبة للمشاركة في رفع راية الثقافة والحفاظ على تراث الأمة لمصلحة البشرية.

وقد ظهرت الطباعة العربية في الهند مع الطباعة الفارسية والأردية ولكنها كانت محصورة بطباعة الكتب الدينية فقط، بعد وقت قليل اهتم العلماء الهنود بإصدار المجالات والجرائد العربية حتى صدرت باللغة العربية جريدة باسم "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" سنة 1871 من مدينة لاهور تعتبرها أول جريدة عربية في القارة الهندية وكانت لهذه الجريدة أثر صادق في انتشار اللغة العربية في الهند، تبعا لهذه الجريدة ظهرت في الهند جرائد ومجلات في اللغة العربية منها جريدة "شفاء الصدور" وجريدة "البيان" وجريدة "الهلال" وجريدة "الجامعة" ومجلة "الضيء" ومجلة "ثقافة الهند" ومجلة "البعث الإسلامي" ولكن معظم هذه الجرائد التي صدرت باللغة العربية انقطعت عن صدورها بعد سنوات قليلة بسبب الظروف الاقتصادية والسياسية أما مجلة "البعث الإسلامي" التي صدرت سنة 1955 برئاسة مولانا محمد الحسني بمساعدة زميله الدكتور مولانا سعيد الأعظمي الندوي ووقف نفسه لخدماتها وجعلها شهيرة في مجال الصحافة العربية واستضاء بنورها أكثر بقاع الأرض المجذبة ما كانت تعرف الصحافة ولا تعلم أهميتها. وقد قال محمد الحسني في أول يومها ووقت إصدارها "تنال كما نالت الضياء الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية"²، لذا تعد اليوم من أعظم مجالات في تاريخ الصحافة العربية في شبه القارة الهندية من حيث

¹ مديرة الكلية الحكومية للنساء بـسرينجر، rafat.arabic@gmail.com². البعث الإسلامي المجلد العشرون، العدد الثالث، الشهر أكتوبر عام 1975م ص 246-251.

الانتشار ومن حيث الأدب والبيان ولا تزال تصدر بانتظام حتى اليوم كما لها أثر واضح في الأوساط العلمية والأدبية في شبه القارة الهندية.

مجلة " البعث الإسلامي " وخصائصها:

مجلة " البعث الإسلامي " أعظم مجلة في تاريخ الصحافة العربية في الهند من حيث الإنتشار وتقبلها في الدوائر المثقفة في الهند وفي البلاد العربية، وتصدرها من أعظم دار تعني باللغة العربية وأدائها في الهند وهي دار العلوم ندوة العلماء التي اشتهرت بواحة اللغة العربية في الهند، انشأ الأستاذ محمد الحسني هذه المجلة العربية ويرأس تحريرها قمة أدباء اللغة العربية وكتابتها ويشترك فيها ببحوث الشخصيات الكبيرة وأصحاب الفكر والعلماء الكبار من سائر البلاد الإسلامية. ولندوة العلماء تأثير عميق في تخريج كفاءات فائقة في مجال اللغة العربية وأدائها أمثال المفكر الإسلامي أبو الحسن علي الندوي و مولانا مسعود عالم الندوي وغيرهما. وفي هذه الواحة نفسها نبتت مجلة "البعث الإسلامي" أصبحت تضارع كثيرا من المجلات الصادرة في البلاد العربية نفسها.

أما دور الأستاذ السيد محمد الحسني في إنشاء مجلة البعث الإسلامي واضح جدا كما تبقى هذه المجلة رمزا خالدا لتضحيته وإخلاصه ووفائه. وهو الذي أسس هذه المجلة لتكون لسانا ناطقة بقضايا الدين والأمة الإسلامية، أما السبب لإنشاء هذه المجلة كان له منذ زمان فكرة لإنشاء حركة تعني بالعربية وممارسة الكتابة والإنشاء فيها ولتحقيق هذا الغرض أنه أسس جمعية بإسم المنتدى الأدبي سنة 1954م وانضم إليها عدد من العلماء البارزين في ندوة العلماء وقد كانوا يجتمعون مرة في كل أسبوع حيث كانوا يقدمون مقالاتهم وأعمالهم الإنشائية ثم تجري حولها مناقشات ساخنة وهناك عرض عليهم الشيخ محمد الحسني ضرورة إنشاء مجلة عربية، فاستشار والده السيد عبد العلي مدير ندوة العلماء وقتئذ فواقفه وشجعه على ذلك عمه الشيخ أبو الحسن علي الندوي وهو الذي اقترح اسمها "البعث الإسلامي" وكان في مجلس الإدارة الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي والدكتور راشد الندوي وبجهودهم الجماعية ظهر العدد الأول للبعث الإسلامي في شهر أكتوبر سنة 1955م وقد أعلن في أول نشرها الهدف الأول الذي تسير عليه المجلة يقول: "إنها ليست مجلة كبعض المجلات الأدبية في القاهرة وببيروت تلعب وتلهو بالأدب وتبعث بالخزف والحصي وتسبح بحمد أعلام الغرب وتقديس لهم ولا تحسن صناعة المدح والإطراء والتزلف إلى الملوك والأمراء إنها

مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وذات رسالة¹.

عندما نشرت مجلة البعث الإسلامي سنة 1955م، فأضأت بنورها أكثر بقاع الهند التي ما كانت تعرف الصحافة، ولا تعلم أهميتها ولا تدري دورها في الحياة الإنسانية. قد ساهمت مجلة البعث الإسلامي في الصحافة العربية الهندية منذ سنة 1955م وصارت سفيرا وترجمانا لندوة العلماء بخدمات جلييلة في ميدان الصحافة العربية بقوة البيان والأسلوب والفكر الإسلامي السليم وفي الحقيقة عرفت مجلة البعث الإسلامي منذ نحو نصف قرن في جميع الأوساط العلمية والأدبية والأكاديمية في الدول العربية والإسلامية وتهدف أهدافا عالية من الحكمة والموعظة في مجال الدعوة الإسلامية. والموضوعات التي تعالج مجلة البعث الإسلامي عديدة جادة، خاصة البحوث والكتابات العلمية والموضوعات الأدبية بأساليب الحجة والإبداع، كلها نتيجة العاملين المخلصين عليها ونالت مجلة البعث الإسلامي قبولا حسنا في البلاد العربية وغيرها وأصبحت أشهر المجلات الصادرة من الهند باللغة العربية، لأنها تعالج القضايا الإنسانية وتحل مشاكلها وتقاوم الحركات الهدامة والعواصف التي تهب ضد الإسلام والمسلمين حيناً بعد حين.

ومن أهم أهداف محمد الحسني وجمعيته "المنتدى الأدبي" في إصدار مجلة البعث الإسلامي مما يأتي:

- بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب.
- توجيهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم.
- إنشاء روابط ثقافية بين طلبة المدارس العربية في الهند وشباب العالم العربي.
- توثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس العربية في الهند.
- رفع قيمة اللغة العربية والأدب العربي في الهند

قد وقف الأستاذ سيد محمد الحسني نفسه وقلمه لخدمتها وبلغت بدعوته إلى قمة الصحافة العربية. يذكر هنا عمه المفكر الإسلامي الكبير أبو الحسن علي حسن الندي عن تأثير كتابته: "فصدرت هذه المقالات في أسلوب قوي ملتزم، هو نتيجة كل صراع نفسي، رافقته قدرة بيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمته في إيقاظ الشعور وفي تحريك النفوس والعقول ومحاربة العدو وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة

¹. الصحافة العربية في الهند نشأتها وتطورها د. أيوب تاج الدين الندوي ص: 135

والاعتزاز بالقيم والمفاهيم¹. ويكتب عن كتابته الدكتور مولانا سعيد الرحمن الأعظمي الندوي: "وظل يجاهد في السبيل الذي اختاره لنفسه بقلمه الثائر، وكافح الانحرافات الفكرية والاجتماعية، ويفيد الأفكار الحضارية والفلسفيات المادية بكتاباته القوية ومقالاته الموضوعية، ويواجه القيادات الإنسانية التي تتجه بجماهيرها إلى الهلاك ويهددها بنهاية أليمة إنه كان يتناول المشكلات والأزمات الحضارية والاجتماعية بالنقد ويقدم لها حلولاً ناجحة في ضوء الإسلام"².

الهدف من إنشائها:

في بدايات القرن العشرين قد لقي الإسلام هجوما عنيفا علميا وسياسيا وثقافيا في عهد الاستعمار. وقد بذل المستشرقون جهودهم لتشويه الإسلام وتعاليمه وتنفير الشباب المثقف من تعاليم الإسلام. وفي هذه الحالة العصبية الدقيقة التي يمر بها العالم العربي الإسلامي الهندي أنشأ الأستاذ محمد الحسني هذه المجلة العربية بالأفكار الإسلامية المتدفقة بالإيمان والحيوية والرسالة النبوية الخالدة تحت إشراف عمه الجليل السيد أبي الحسني علي الحسني الندوي رحمه الله عام 1955م وهكذا ظهرت أعظم جريدة في تاريخ الصحافة العربية في الهند في شهر أكتوبر عام 1955م الموافق 1375هـ، ويقوم بتحريرها الدكتور مولانا سعيد الأعظمي الندوي و مولانا واضح رشيد الحسني الندوي الذي أضيف مؤخرا إلى هيئة تحريرها بعدما عاجلت المنية رئيس تحريرها مولانا محمد الحسني رحمه الله، بدأت المجلة تصدر في حجم 32 صفحة إلى أن وصل حجمها إلى 100 صفحة.

مزايا مجلة البعث الإسلامي:

لكل مجلة مزاياها التي تتجلى وتتسم في كتاباتها، ومجلة البعث الإسلامي خصائص كثيرة وهي لسان حال الدعوة الإسلامية واصبحت وسيلة للدعوة الإسلامية وربت جيلا من الدعاة الذين اعتصموا بالفكر الإسلامي الجديد. وقد تعالج أصحابها الصحافة كواجب ديني لا كوسيلة لجمع الأموال و أدوا أمانة الكلمة بدون مهابة. ونشرت مواضيع ساخنة عن الإضطرابات الطائفية في الهند أو عن عمليات قمع الحركات الدينية في بعض البلاد العربية والإسلامية. وتكون كتابتها في أسلوب قوي حديث جذاب، بالتزام آداب الصحافة المعاصرة، والكلمات الافتتاحية بقلم رئيس التحرير يستعرض فيها عامة مشاكل العصر والأوضاع

¹: الإسلام الممتحن، محمد الحسني، نص 16

²: مجلة البعث الإسلامي ج:24، عدد2 شوال عام 1399هـ

المعاصرة ويقدم توجهات بصددها، ويؤيد عن الحركات الإسلامية الصالحة مثل الإخوان المسلمين في البلاد العربية ودعمها ونشر فكرها، ويعتني هذه المجلة بشؤون البلاد العربية خاصة والتعليق عليها، وينشر البحوث القيمة مع عدم الإنحياز الفكري، فإنها دائما تنشر بحوث شخصيات الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية وجماعة التبليغ ومدرسة ديوبند ومدرسة أهل الحديث في الهند، وتعالج البحوث القيمة التي لاتزال تصدر بلغتين الأردية أو الإنجليزية ولا يطلع عليها القارئ العربي بسبب اللغة ومن أهم خصائص مجلة البعث الإسلامي أنها تصدر مواظبة منذ بدايتها إلى يومنا هذا وتصل إلى القراء قبل الموعد.

مجلة "البعث الإسلامي" والعالم العربي:

عندما صدرت مجلة البعث الإسلامي نالت قبولا وترحابا في الأوساط المثقفة في البلاد العربية. فتوسع نطاق توزيعها إلى سائر البلاد العربية من جزيرة العرب ودول الخليج وبلاد الشام والعراق وسائر البلاد الأفريقية الناطقة باللغة العربية، كما تتناقل منشوراتها أهم دوريات البلاد العربية مثل الدعوة القاهرية والمجتمع الكويتية والمهل السعودية وغيرها، وقد شرفها بتقديم الإنتاج ولها كثير من رواد الفكر الإسلامي في البلاد العربية.

وقد نالت هذه المجلة التقدير والإستحسان من قبل الجهات المثقفة في هذه البلاد فوق ما يتصور ونكتفي بتقديم فقرتين من هذه الكلمات ذكرها الصحافي السعودي المسلم المشهور الأستاذ محمد محمود حافظ مدير إدارة الصحافة والنشر في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ورئيس تحرير مجلة الرابطة الإسلامية قد كتب "مجلة البعث الإسلامي التي تصدر باللغة العربية من الهند كمجلة إسلامية شهرية تدافع عن قضايا المسلمين وتزود عن مقدساتهم، أكثر من عشرين سنة وهذه المجلة وتواصل أداء دورها الإسلامي الكبير وتحافظ على نقاء الفكرة وأصالة المضمون وصدق الكلمة ونزاهة الحرف وبقيت تكافح كل التيارات المعارضة وتنافح عن الإسلام مبادئه"¹.

وكتب عنها فضيلة الشيخ عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام في كلمة له منشورة في البعث الإسلامي: "لقد كان من حقي أن أسهم في الكتابة دوما لهذه المجلة لأنها كما أعتقد المجلة الرصينة الرشيدة المسددة التي تسلك الطريق دون حيد في المذهب أو انحراف عن المنهج رغم أنها تصدر وسط العواصف الهواج وفي بلد قد يكون الكثيرون فيه على غير

¹ مجلة البعث الإسلامي: ج 24، عدد 2 شوال عام 1399هـ.

منهجها إن لم يكونوا مناهضين لها"¹.

خدمات مجلة البعث الإسلامي:

قد خدمت مجلة البعث الإسلامي في آفاق الصحافة وهي تحمل دعوة إلى الأمة الإسلامية ووجهت دعوتها إلى الشباب المسلم بالخصوص، وقد نالت المجلة قبولاً في أوساط الشباب لأسلوبها عن أوضاع المسلمين، ولعبت دوراً هاماً في النهضة الدينية في الأمة الإسلامية إلى جانب نشرها دعوة القومية العربية والفلسفة الاشتراكية، فإن مجلة البعث الإسلامي قد نجحت في مناضلة هذه القيادات المنحرفة بأسلوب لم توفق له كثير من المجالات والجرائد الصادرة في البلاد العربية نفسها، تولت الدفاع عن العناصر المضطهدة لأجل الدين في سائر أنحاء العالم كأنها أصبحت لسان حال تلك الحركات أو العناصر، نشرت كلمات قيمة عن مواضيع حية كانت الأمة الإسلامية بحاجة إليها، مثل الجهاد في سبيل الله، والتصور الشامل للدين، والاقتصاد الإسلامي، وتدوين الفقه الإسلامي، والسيرة النبوة وغيرها، لها فضل كبير في تعميم الذوق العربي في أرض الهند، وهي الرائدة في مجال الصحافة العربية حيث تلتها دوريات عديدة باللغة العربية في الهند.

الخاتمة:

وبالجملة أن مجلة "البعث الإسلامي" ساهمت في مجال الصحافة العربية منذ بدايتها في إيجاد يقظة دينية في الجيل القادم، وعودة الأمة إلى الدين الصحيح الكامل وتقديم مواد قيمة عن الإسلام وعرض الفكر الإسلامي السليم، والدفاع عن الإسلام في كل مناسبة يوجه إلى الإسلام، وتنقد الأفكار المنحرفة والنظريات الهدامة والدعوات الزائفة، وتعتني بالأدب العربي في الهند وتربية الذوق العربي وخصصت لذلك صفحات مستقلة، ويتعرف بال شخصيات إسلامية والسلف الصالح وإحياء التراث الإسلامي، ونشر وتقديم مواضيع مترجمة من اللغتين الأردية والإنجليزية للقارئ العربي أنها فتحت في العالم العربي الهندي نافذة بالفكر الإسلامية وغيدرت كثيراً من النظريات الباطلة من القومية العربية والحضارة الغربية والمذاهب الأدبية التي تسودها الفواش والمنكرات ويعالج البعث الإسلامي منذ نحو نصف قرن في جميع الأوساط العلمية والأدبية والأكاديمية في الدول العربية والأعجمية. أنها تدخل في عامها الخمسين من غير تغيير في مضمونها وعناوينها وبدون أي تعديل في أهدافها

¹ مجلة البعث الإسلامي: ج 26، عدد 10 شوال عام 1401هـ.

ووجهة انظارها. ولأستاذ محمد الحسني دور كبير لا ينساه التاريخ في إنشاء مجلة البعث الإسلامي كما تبقى منارة خالدة لإخلاصه ونيتة الخالصة وتوفي في يونيو 1979 م لقد مات السيد محمد الحسني ولكن اسمه يبقى ما دامت الصحافة العربية الهندية تبقى في أرض الله.

.....

المصادر والمراجع

1. فن صناعة الصحافة ماضيه وحاضره ومستقبله، عبد العزيز سعيد الصويغي، المنشئة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، الطرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. الطبعة الأولى 1984 م.
2. الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، سليم الرحمان خان الندوي، المجمع الإسلامي العلمي بلكنو 2010.
3. الصحافة العربية في الهند، نشأتها وتطورها للدكتور أيوب تاج الدين الندوي.
4. إسهامات الهند للأدب العربي، قسم العربية، جامعة كاليكوت، مارس 2011 م.
5. أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية، الأستاذ الدكتور جمال الدين الفاروقي 2013
6. لمحات إلى الحركات والإتجاهات في الأدب العربي، حمزة علي أبي، مكتبة الهدي كالكوت 2011 م
7. كشاف مجلة البعث الإسلامي، السيد أزهر حسين الندوي، مؤسسة إحياء العلم والدعوة لكتناؤ. الهند 2009
8. محمد الحسني حياته وأثاره، د. أيوب تاج الدين الندوي، مؤسسة فيصل التعليمية جموكمشير 2004 م
9. الإسلام الممتحن، الأستاذ محمد الحسني، مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الطبعة السادسة 2016 م.

حياة مصطفى صادق الرافعي الأدبية

(1880 – 1937 م)

الدكتور معراج الدين الندوي¹

ولد مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي على ضفاف النيل في قرية "بهتيم" إحدى قرى مدينة القليوبية بمصر في يناير عام 1880م لأبوين سوريين أصله من مدينة طرابلس في لبنان وما زالت أسرة الرافعي موجودة في طرابلس حتى الآن أما الفرع الذي جاء إلى مصر من أسرة الرافعي فأب الذي أسسه هو الشيخ محمد الطاهر الرافعي الذي وفد إلى مصر سنة 1827م ليكون قاضياً للمذهب الحنفي أي مذهب أبي حنيفة النعمان وقد جاء الشيخ بأمر من السلطان العثماني ليتولى قضاء المذهب الحنفي وكانت مصر حتى ذلك الحين ولاية عثمانية. ويقال أن نسب أسرة والده يتصل بعبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم.

كان الرافعي شخصية عصامية مثل العقاد، فقد كمل نفسه بالقراءة الخاصة المتواصلة وإن كانت قراءاته انحصرت في الثقافة العربية وحدها واعتمد فيما صدر عنه من النقد الأدبي على الكتب الأدبية القديمة مثل : "البيان والتبيين" و "المثل السائر"، اللهم إلا ما قد يكون اطلع عليه مترجماً للعربية، فهو لم يستفد إلا قليلاً من معرفته للفرنسية التي تلقاها بمدرسة المنصورة الأميرية حيث لم يقرأ فيها بعد تركه المدرسة إلا يسيراً ثم هجرها ولم يعد إليها.²

هاجم مصطفى صادق الكتاب و الأدبا المصريين الكبار الذين كانوا يطالبون بتطوير الادب المصري و الحياه المصريه و اتهم بفجائه على كبار كتاب مصر و مفكرها في عصره مثل طه حسين و عباس محمود العقاد و مصطفى لطفاً المنفلوطي و سلامه موسى و أحمد لطفى السيد و أحمد رامى و غيرهم كثير، و عارض حرية النساء و مساواتهم في المجتمع.

وقد بدأ الرافعي إنتاجه الأدبي منذ سنة 1900م، ولكن كان أول ما كتبه في النقد هو مقدمته للجزء الأول من ديوانه الذي أصدره سنة 1903م. ففي هذه المقدمة تحدث عن معاني الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته، و عرف الشعر في بعض المواضع تعريفات غامضة لا يستطيع الأمراء أن يقف منها على شئ من حقيقته. وقوله في تعريف الشعر:

"ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه، والرأس عشه، والقلب روضته، ولكان غنائه مانسمعه من أفواه

¹ - رئيس التحرير لمجلة التلميح الصادرة عن وزارة التعليم العالي بـ سري نجر كشمير

² حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان صـ 19

المجيد من الشعراء، وحسبك بكلام تنصرف إليه كل جارحة، وتضم عليه كل جانحة، ويجنى من كل شئ، حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس¹.”

هذا ولا يمكن لأحد أن يفهم من هذا التعريف شيئاً واضحاً عن الشعر، فما هذه الطيور والعشاش والنحل والثمرات وشفاء الناس مما يخرج من بطونها؟ وأما في نقد الشعر فقد حدد مقياسه بقوله:

”وأما ميزانه فاعمد إلى ماتريد نقده، فردّه إلى النثر فإن استطعت حذف شئ منه لا ينقص من معناه أو كان في نثره أكمل منه منظوماً فذلك شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الإجابة وتلك مقلدات الشعراء².”

على أننا نفهم من سياق عبارته أنه يريد بهذه الجودة أو الرائدة النظر إليها من الناحية اللفظية فحسب، وهو على ذلك يجنح للنقد الفقهى ويدعوا إليه.

أما الجزء الثالث لديوان الرافعى وقد صدر سنة 1906م فقد كتب مقدمته تحت عنوان ”نوع من نقد الشعر“ وفيها جملة من النظريات الصائبة التي تعد أسساً من أسس هذا النقد الأدبي الحديث، منها أنه يدعو النظر إلى جوهر الشعر وروحه، لا إلى قشوره وظواهره، ومنها أنه يدعو للنظرة الشاملة عند الشعراء، فيريد الشعر أن يكون تصوير عالم حى من المعانى والألفاظ.

ثم يذم الشعر المتكلف الذى يفرض فيه الفكر على الإرادة، والإرادة على العاطفة، فلا تصدق العاطفة، ولا تخلو من الغلو، ويذم كذلك التكلف الذى يأتى من عبادة الأوزان وتقليد القدماء فى صورهم ومعانيهم، وللقدماء وجه عذر فى ذلك ليس للمحدثين، وليست الحضارة كالبداوة، وإنما على المحدثين أن يضيفوا للقديم ويحسنوه.

ويحدد الرافعى المثل الأعلى للأسلوب الجيد البليغ بأسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف شارحاً ذلك بأن من أسلوب القرآن الذى يتحدى به، ما يجىء فى بعض آياته من تكرار المعنى مع الاختلاف فى طرق الأداء كالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونوعها، أو فى بعض عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى ما يكون فى هذا الباب³ وكذلك من اعجازه تناسب آياته فى النظم والطريقة، مع اختلاف المعانى وتباين الأغراض، فكأنه قطعة واحدة من غير

¹ مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعى، ص 3 - 9

² أيضاً ص

³ تاريخ آداب العرب لـ الرافعى، ص 200 ، 345 ، 347

تفاوت في علو أسلوبه وإجادته.¹ وكان آياته من قوة حياته نفس كلامية في الكلام. وقد لاحظنا أن نقد الرافعي ينصب على الناحية اللفظية، ولذلك وجدناه يناقش استعارات الشاعر وتشبيهاته ومايجئ في شعره من أنواع البديع الأخرى، مبيناً الجيد منها والردئ ثم يبنى على ذلك حكمه على الشاعر، وهذا مثل قوله عن امرئ القيس:

"وبالجملة فإن امرأ القيس وسط بين شعراء التشبيه، وإن كان قد أكثر منه واحتذى فيه فعل أبي داود والمهمل وغيرها، إلا أن له طرقاتاً في التشبيه هي مبتكراته، وهي كل ما في يدنا من الأدلة على براعة وحسن تصرفه ورجحانه على غيره من متميزي الشعراء".²

وكذلك ينتقد الرافعي المعاني والألفاظ من ناحية مستوى تأليفها والابتكار فيها، وينتقد التكرار القبيح في الألفاظ والمعاني تفريقه في قصائد الشاعر، كما ينتقد اضطراب القوافي وثقل الألفاظ، وقد لاحظ كل ذلك عند امرئ القيس ووجدناه يتجاوز عن غريب شعراء الجاهلية لأنه يعتبره مألوفاً وليس غريباً عند أهله. والحق أن حملة بعض المعاصرين على الأدب الجاهلي من ناحية الغرابة ليست حملة صائبة.

والنقد الصحيح عند الرافعي ليس هو مدح الكاتب والكتاب أو الشاعر والشعر وإنما هو بيان قيمة الكتاب وما فيه من صواب وخطأ أولاً ثم وصف الكتاب بما ينتجه البحث بعد ذلك. وكان الرافعي قاسياً حين يتعرض لأحد معاصريه في رسائله لأبي ربه وهو كثيراً ما يتعرض لهم، وقد أشار أبوريه لهذه القسوة بقوله: "وقبل أن أضع القلم أذكر أمراً لا بد من الإشارة إليه، ذلك أنه قد ينبعث من بعض هذه الرسائل دخان خفيف مما كان قد شجر بين الرافعي رحمه الله وبين بعض كتابنا المعاصرين. وقد نازعتني نفسي بين تبديد هذا الدخان أو تركه ولكني أثرت تخفيفه بحذف بعض كلمات وعبارات اشتد فيها قلم الرافعي".³

ونجد كثيراً من الخصومات الأدبية بين الأستاذ الرافعي وبين أدباء عصره، وظهرت من أثرها كثرة أعدائه، فهناك خصومة بينه وبين الأستاذ طه حسين حول كتاب "رسائل الأحزان" ظهرت في سنة 1924م⁴. وكذلك هناك خصومة بينه وبين الأستاذ عباس محمود العقاد، وثالثة بينه وبين عبد الله عفيفي إلى غير ذلك من معارك وخصومات أدبية.

ويناسب هنا أن نذكر أول نقد صدر منه في تلك الخصومات هو مقالة "شعراء العصر" الذي قام

¹ أيضاً ص 209

² أيضاً ص 210

³ رسائل الرافعي - ل. الرافعي ص 6

⁴ حياة الرافعي، ل. محمد سعيد العريان ص 121 وما بعدها

بنشره في يناير من سنة 1905 م ، في مجلة الثريا، وقد ناقش فيه حول ترتيب الشعراء طبقات و درجات، وكتب رأيه في كل شاعر ، مقتبساً من شعره و مستشهداً به على ترتيبه في طبقاته، وقسم فيه شعراء عصره إلى ثلاث طبقات وقام بوضع نفسه في الطبقة الأولى و وضع معه فيها محمود سامي البارودي و الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي و حافظ ابراهيم . و ممن وضعهم في الطبقة الثانية جعل فيها أحد عشر شاعراً، و صدرها بإسماعيل صبري ثم أحمد شوقي ثم خليل مطران، ثم داود عمون، و محمد توفيق البكري ، ونقولا رزق الله، و أمين الحداد، و محمود واصف ، و شكيب أرسلان، و محمد هلال إبراهيم، و ختمها بـ حفني ناصف. و ممن وضعهم في الطبقة الثالثة وهم ثمانية شعراء على رأسها مصطفى لطفي المنفلوطي، ثم أحمد الكاشف ، فأحمد محرم، فمحمد إمام العبد، فالعزبي، فأحمد نسيم، فالسيد أمين الطبطباني، وجعل في آخرها محمد النجفي¹.

ولكن الراجح غير رأيه في هذا الترتيب فيما بعد، ومن ذلك خلاف رأيه في أحمد شوقي إذ قال عنه بعد ذلك الترتيب:

"أما في الشعر فهو حقيقة أشعر هؤلاء الموجودين بيننا ولكن لا يشرفه أنه أشعرهم"²
وقال عنه أيضاً:

"أما أن شوقي أشعر من البارودي فهو الواقع لأن البارودي لا يزيد على قوة الأسلوب و فخامته ، و لكن الشعر في معاني شوقي و مواضعه، والبارودي من هذه الناحية ضعيف جداً، و الفرق بينه و بين شوقي في هذا كالفرق بين زمن شوقي و زمن البارودي"³

ويجدر بنا أن نذكر كتاب الراجح "تحت رؤية القرآن" الذي أصدره سنة 1926 م، والذي كان يستهدف فيه الرد على طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" وتناول فيه أيضاً مسألة القديم والجديد، هذا الكتاب كان قد نشر أكثره مقالات في "كوكب الشرق" وبعضه في "البيان" وبعضه في "الجريدة" وكان أسلوبه فيه كسائر أسلوبه في نقد معاصريه من فظاظه وقسوة وعدم عفة في القلم.⁴ و ربما بدا روح كتاب الراجح واضحاً في قوله عن الفئة التي ينتقدها وهو كذلك مهاجم من يودون استعمال الألفاظ العامية للمستخدمات، ويرون في استعمال مفردات العامة وتراكيبها إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصحاة، وينادون برفع هذه اللغة إلى الاستعمال الكتابي، والنزول بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل، وهم يرون في ذلك إحياء للغة الرأي العام من ناحية وإرضاء للغة القرآن من ناحية أخرى.

¹ حياة الراجح ، لـ محمد سعيد العريان ص 38 وما بعدها

² رسائل الراجح ، ص 82

³ أيضاً ، ص 236

⁴ تحت رؤية القرآن لـ الراجح ، ص 6

ولأبأس الآن من أن نشير إلى كتاب الرافعي "على السفود" الذي أصدره سنة 1930 م نشير إليه لأن قسوة النقد فيه قد بلغت ذروتها، كما أنه يصور جانباً من المعركة بين العقاد والرافعي وهذا الكتاب كله في نقد العقاد، قال فيه الرافعي:

"وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء، مع أنه في نفسه يغلى حقداً وحسداً طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الإنجليزي الشهير "برناردشو" الذي يقول إنه لا يجد عقلاً يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير!!! ولكن انظر الفرق بين الأصل والتقليد، برنارد شو يحتقر النوابغ من جهة عقليته فلا يحسد، والعقاد من جهة نفسيته فلا يعقل، والأول يضع الآراء وابتكرها والثاني يسرق ويدعي، وذلك يحتقر احتقاراً سامياً أساسه التظرف، وهذا دنيء دنيء أساسه الحسد ولؤم الطبع والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع".¹

على أن أغلب نقد الرافعي في هذا الكتاب نقد فقهي كنقده في غيره إذ عني فيه بالبيت الفرد وبنقد الصياغة والألفاظ، كما اهتم ببحث السرقات والخطأ الإملائي واللغوي والنحوي والصرفي والعروضي، واهتم باللفظ المبتذل، وفساد المعنى، وفساد الذوق إلى غير ذلك من نقد لا يخلو من صواب لولا ما شابهه من غلو وغرض مما جعله لا يذكر للمنقود حسنة واحدة..²

أما عن روحه في النقد فقد كان الانتقام فيها واضحاً.³ وقد كانت هذه هي حاله مع كل من تعرض لنقدهم، وكان يتجنى على غيره لأتفه الأسباب، ولا يقف عند نقده لغيره ولكنه يسعى إلى تحطيمه، وإن حدث أن مدح أحداً فلا بد أن يعود إليه بالهجوم، وهذا ما فعله مع العقاد وطه حسين و زكي مبارك و عبدالله عفيفي وأمين الريحاني وسلامة موسى والبارودي والمنفلوطي ولطفى السيد وغيرهم وكان بوده أن يهدمهم جميعاً إذ قال:

"إن كل ما أتمناه من زمن بعيد هو أن أتفرع لمقالات في النقد نحو ستين أو ثلاث تهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة وتبنى عليه أدباً جديداً فإن هذا العمل ينشئ جيلاً قوياً جداً ويقضي على التدجيل للصحافي المتفشى الآن ويحدث في الأدب واللغة نهضة تنبعث بالحياة".⁴

وكان الرافعي يندفع في تجريح من يبدو منه نقد له، من ذلك أنه لما أشار زكي مبارك إلى وجود رسائل غرامية في الأدب العربي، وأورد بعضها لأن الرافعي يقول إنه بكتابه "أوراق الورد" إنما يسد مكاناً خالياً في الأدب العربي من أول تاريخه إلى يوم صدور كتابه، عند ذلك كتب الرافعي عن زكي مبارك:

"ومن أجل هذا عزمنا إن شاء الله على وضعه في السفود أو إتمام الجزء الثاني وسأبين غلطاته الهائلة في تصحيح زهر الآداب، لأن الرجل الآن مغرور جداً ولا يسقطه إلا ظهور هذه الأغلاط".⁵

¹ على السفود ، لـالرافعي صـ 26

² أيضاً ، صـ 7

³ حياة الرافعي ، لـمحمد سعيد العريان ، صـ 127

⁴ رسائل الرافعي ، لـالرافعي ، صـ 219

⁵ حياة الرافعي ، لـمحمد سعيد العريان ، صـ 38

ثم ظل الرافعي ينقده في رسائله له مدة شهرين. والخصومات الأدبية بين الرافعي وبين أدباء عصره كثيرة. هذا، وأكثر نقد الرافعي خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر نقد فقهي، وهو يتخذ فيه الأساليب القديمة أمثلة تحتذي والرافعي بذلك يمثل، لحدما بين نقاد العصر الحديث من يسمونهم أنصار القديم، وإن كنا نلاحظ أن له مقاييس فنية كسائر النقاد المجددين، بل كان أسبق منهم في بعض تلك المقاييس، ولكن الذي نلاحظه هو أنه كان لا يسير غالباً على هذه المقاييس في نقده التطبيقى مما دعا للقول بأن نقده فقهي في جملته.

.....

المراجع والمصادر

- 1 أحمد بدوي طبانة
- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة بدون تاريخ.
- 2 مصطفى صادق الرافعي
- تاريخ آداب العرب، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1952 م
- 3 مصطفى صادق الرافعي
- تحت رؤية القرآن مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1963 م
- 4 مصطفى صادق الرافعي
- رسائل الرافعي ، مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1956 م
- 5 مصطفى صادق الرافعي
- على السفود ، مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1951 م
- 6 مصطفى صادق الرافعي
- مقدمة الجزء الأول من ديوانه
- 7 د. محمد مندور
- النقد و النقاد المعاصرون ، مطبعة نهضة مصر 1969 م
- 8 د. محمد زغلول سلام
- النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية – بدون تاريخ
- 9 محمد مندور
- محاضرات في الأدب و مذاهبه ، معهد الدراسات العربية العالمية بمصر 1955 م
- 10 محمد عبد المغني
- الأعلام من الشرق والغرب
- 11 محمد سعيد العريان
- حياة الرافعي ،

الأستاذ أحمد أمين ومساهمته في الأدب العربي

الدكتورة عقيلة¹

حياته

يعد أحمد أمين من أهم رواد النهضة العربية الحديثة في الادب والفكر في مصر في النصف الأول من القرن العشرين⁽²⁾ ولد بالقاهرة⁽³⁾ في بيت علم وأدب في الساعة الخامسة صباحا من أول أكتوبر سنة 1886م⁽⁴⁾ نشأ وتربى في حضان أبيه العالم الذي كان من علماء الأزهر⁽⁵⁾ ومولعا بالكتب في مختلف العلوم في الفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ والادب والنحو والصرف والبلاغة ما يسر له الاطلاع على هذه الكتب والاستفاد منها⁽⁶⁾ بعد دراسته في أربعة كتاتيب والمدرسة الابتدائية نقله والده إلى الأزهر عام 1900م⁽⁷⁾ ولكنه لم يكمل الدراسة بها حيث لم يعجبه التدريس في الأزهر فتركها عام 1902م⁽⁸⁾ وقبل مدرسا في إحدى مدارس طنطا⁽⁹⁾ وهي مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بطنطا⁽¹⁰⁾ ثم عمل عام 1904م لبعض المدة في مدرسة راتب باشا⁽¹¹⁾ بالاسكندرية⁽¹²⁾ درس فيها اللغة العربية للسنة الرابعة الابتدائية ويقول "إنه كان فخرا كبيرا لي إذ من يدرس للسنة الرابعة ينظر اليه على أنه أرقى مدرس للمادة وأحسست كفايتي في تدريس القواعد"⁽¹³⁾ ثم تركها كذلك وعين مدرسا في مدرسة بنباقدان في أكتوبر 1906م⁽¹⁴⁾ ثم في عام 1906م عين مدرسا بمدرسة والددة عباس باشا الأول وهي التي تعلم فيها صغيرا وكان يحن إليها لما كان في الأزهر⁽¹⁵⁾ ولكنه لم يمكث في هذه المدرسة إلا سنة واحدة فقط وفي سنة 1907م لما

¹ الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية بجامعة راجوري

⁽²⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص: 36

⁽³⁾ الأعلام 101/1

⁽⁴⁾ حياتي ص 6

⁽⁵⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص: 36

⁽⁶⁾ حياتي ص 6

⁽⁷⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

⁽⁸⁾ المرجع نفسه ص: 36

⁽⁹⁾ حياتي ص 101

⁽¹⁰⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

⁽¹¹⁾ حياتي ص 108

⁽¹²⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

⁽¹³⁾ حياتي ص 108

⁽¹⁴⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص: 36

⁽¹⁵⁾ حياتي ص 113

تقرر فتح مدرسة القضاء الشرعي وهي السنة التي تولدت فيها الجامعة المصرية الأهلية⁽¹⁾ التي كانت تهدف تخريج قضاة شرعيين اختبر فقبل فيها ودرس هناك من الشيخ الخضري والشيخ المهدي والشيخ زيد وأحمد فهمي العمروسي بك، وعلي بك فوزي ومحمد بك زكي وعاطف بركات وغيرهم من الأساتذة الكبار⁽²⁾ والشئ الذي يجدر ذكره هنا أن أحمد أمين تفوق في الإنشاء مع أنه لم يكن يتفوق فيه في المدارس الابتدائية⁽³⁾ حيث تدرب وتمرن على كتابة الأنشاء وحذق في الكتابة ونال بها بعد دراسة أربع سنوات شهادة القضاء الشرعي سنة 1911م⁽⁴⁾ أو الشهادة العالمية⁽⁵⁾ ثم اختاره عاطف بك بركات⁽⁶⁾ مدرسا في المدرسة نفسها بعد شهرين من تخرجه فدرس فيها لمدة سنتين إلى عام 1921م⁽⁷⁾ ثم انتقل بعد ذلك إلى القضاء وشغل وظيفة القاضي مرتين الأولى سنة 1913م في الواحات الخارجة لمدة ثلاثة شهور، أما المرة الثانية فحين تم إقصاؤه من "مدرسة القضاء الشرعي" لعدم اتفاقه مع إدارتها بعد أن تركها أستاذه عاطف بركات، وأمضى في القضاء في تلك الفترة أربع سنوات عُرف عنه فيها التزامه بالعدل وحبه له⁽⁸⁾ ففضى سنة في قويسنا وسنة في طخ وسنتين في محكمة الأزبكية⁽⁹⁾ يقول أحمد أمين :

"لم أسعد بالقضاء ، كل ما أراه اسر قد خربت، أما الأسر السعيدة فلا أراها، زوجة تطلب نفقة من زوجها وزوج يطلب الطاعة من زوجته ونحو ثمانين في المائة من القضايا من هذا القبيل فيحكم بالنفقة على الزوج فإن لم يدفع فيحكم بالحبس ويحكم بالطاعة على الزوجة ، وظللت أحكم بالطاعة وأنا لا أستسيغها ولا أتصورها كيف تؤخذ المرأة من بيتها بالبوليس وتوضع في بيت الزوج بالبوليس كذلك؟ وكيف تكون هذه حياة زوجية؟"⁽¹⁰⁾

يعني أنه تمشيا من طبيعة عمله في المحكمة لم يكن يحب العمل فيها وفي عام 1926م وقع عليه الاختيار ليعمل مدرسا بكلية الآداب في جامعة فؤاد الأول، يقول أحمد أمين في هذا الخصوص:

(1) المصدر نفسه ص 124

(2) المصدر نفسه 119-121

(3) المصدر نفسه ص 128

(4) قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

(5) موسوعة وكبيديا

(6) المرجع نفسه

(7) الأعلام للزركلي ص 101

(8) مدونة المعرفة

(9) حياتي ص 190

(10) المصدر نفسه ص 190

"دق جرس التلفون بمنزلي في مصر الجديدة وأنا قاض بمحكمة الأوبكية سنة 1926م وإذا المتكلم صديقي الدكتور طه حسين يلطب إلي مقالته وذهبت لمقابلته فإذا هو يعرض علي أن أكون مدرسا بكلية الآداب فتردد قليل ثم قبلت لنفوري من القضاء وحيي للتدريس"⁽¹⁾

فقام أحمد أمين بأداء مهام التدريس فيها وهناك بدأ يدرس ويدرس الكتب اللغوية بعيدا عن الكتب الفقهية وهناك هيأت له الأجواء السفر إلى خارج البلاد يقول في هذا الخصوص:

"هيأت إلي الجامعة فرصة جميلة لرحلات خارج القطر وقد كاد ينقضي شبابي ولم أبرح القاهرة إلى حين عينت مدرسا بطنطا والإسكندرية وحين عينت قاضيا في الواحات الخارجية أما الرحلة خارج مصر فلم تخطر علي بال وما كنت اظن أن الزمن سيسمح بها"⁽²⁾

فسافر في عام 1928م إلى الأستانة بأمر من مدير الجامعة⁽³⁾ وكان ذلك أول سفر له خارج البلاد وقد مكث في الأستانة لمدة أربعين يوما⁽⁴⁾ وفي ديسمبر 1930م⁽⁵⁾ خرج إلى الشام في رهط من الطلاب والأساتذة فزار القدس ودمشق وبغداد ولقي هناك بالشاعرين الكبيرين جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي واستمع مع أصدقائه لشعرهما ولقي هناك مع المرحوم الملك فيصل على مائدة الإفطار⁽⁶⁾ ثم سافر عام 1932م إلى ليدن بهولنده للمشاركة في مؤتمر المستشرقين⁽⁷⁾ فزار فرنسا، وانجلترا، ولندن وأقام في لندن لمدة أربعين يوما⁽⁸⁾ ثم سافر في عام 1936م إلى أوربا مرة أخرى وشارك في مؤتمر المستشرق في بروكسل⁽⁹⁾ وفي سنة 1937 سافر إلى الحجاز للحج مع بعثة الجامعة المصرية⁽¹⁰⁾

(1) المصدر نفسه ص 199

(2) حياتي ص 205

(3) حياتي ص 205

(4) المصدر نفسه ص 206

(5) المصدر نفسه ص 222

(6) المصدر نفسه ص 227-228

(7) المصدر نفسه ص 235

(8) المصدر نفسه ص 237

(9) المصدر نفسه ص 235

(10) المصدر نفسه ص 232

ثم ترقى في الكلية من مدرس إلى أستاذ مساعد وأصبح عضوا في مجلس إدارة الكلية⁽¹⁾ يصف خبرته حين عضويته في هذه الكلية فيقول "وكان المجلس كبرج بابل يتكلم متكلم بالعربية وآخر بالفرنسية وثالث بالإنجليزية وإذا حزب الأمر ترجمت كل لغة إلى اللغات الأخرى وأحيانا في الأمور العامة تلعب السياسة لعيها من وراء ستار"⁽²⁾ ثم أختير ممثلا لكلية الآداب في مجلس الجامعة واستمر على ذلك نحو عشر سنين يقول أحمد أمين "كان هذا المجلس يمثل أعقل مجلس بمصر فهو كان يتكون من عمداء الكليات وبعض كبار الأساتذة من كل كلية ومن كل وكيل وزارة المالية ووكيل وزارة المعارف وبعض كبار البلد يعينون لخبرتهم العلمية من رؤساء الوزارة أو وزراء سابقين أو نحو ذلك"⁽³⁾ وفي عام 1939 عين عميدا لكلية الآداب⁽⁴⁾ واستمر في هذا المنصب لمدة سنتين فقد استقال بعدها بسنتين فقط يقول أحمد أمين في هذا الخصوص:

"وكانت مدة العمادة ثلاث سنوات حسب القانون، ولكن حدث بعد سنتين أن اختلفت وجهة نظري مع وجهة نظر وزير المعارف إذ ذاك فتصرف في أمر هام من أمور الكلية من غير أخذ رأيي فاعترضت على ذلك فاعتذر ، وتكرر هذا الأمر ثانية فكان شأنه كذلك ثم قرأت في الجرائد أن عددا كبيرا من مدرسي كلية الآداب وأساتذتها صدر قرار بنقلهم إلى الإسكندرية من غير أن يكون لي علم بشيء من ذلك فقدمت استقالي من العمادة وصممت عليها فقبلت وحمدت الله أن تحررت منها ورجعت أستاذا كما كنت وبدأت أتمم سلسلة فجر الإسلام وضحى الإسلام على النحو الذي رسمت⁽⁵⁾ إلى عمله كأستاذ، وهو يردد مقولته المشهورة: "أنا أصغر من أستاذ وأكبر من عميد"⁽⁶⁾

وفي عام 1940 م انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية⁽⁷⁾. ثم انتدب وهو استاذ بكلية الآداب ميرا للإدارة الثقافية بوزارة المعارف 1945⁽⁸⁾ ومن خلال هذا المنصب أنشا ما عرف باسم (الجامعة الشعبية)

(1) المصدر نفسه ص 242

(2) حياتي ص 242

(3) حياتي ص 245

(4) قاموس الأدب العربي الحديث ، ص 36

(5) حياتي ص 249

(6) موسوعة وكي بيديا

(7) قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

(8) قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

الشعبية) وهو ما تحول بعد ذلك إلى الثقافة الجماهيرية، ثم هيئة قصور الثقافة الآن⁽¹⁾. ثم عين مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة 1947⁽²⁾ و من خلال هذا المنصب أنشأ معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ثم حصل في سنة 1948⁽³⁾. وفي عام 1948م قرر مجلس كلية الآداب منحه الدكتوراه الفخرية⁽⁴⁾ فقلب بالدكتور ، وقد حصل عليها أحمد أمين بعد معاناة شديدة وانتظار طويل وهو يتحدث عن قصة حصوله على الأستاذية فيقول:

"وحدث - وأنا أستاذ مساعد - أن منعت من أن أكون أستاذا لعدم حصولي على الدكتوراه أنا وبعض زملائي وإن كان القانون يسمح أن يرقى الأستاذ المساعد في اللغة العربية بكلية الآداب والشرعية الإسلامية بكلية الحقوق إلى أستاذ من غير دكتوراه فواجهت المسألة بروح رياضية وقدمت طلباً لنيل الدكتوراه بالدخول على الأمتحان، على النظام الذي يتبع مع الطلبة في الحصول عليها وقمت لذلك كتاب فجر الاسلام وضحي الاسلام لرسالة للمناقشة واعترض إذ ذاك بأن الأساتذة بالكلية قد يحابوني لأنني أحدهم فاقترح أن يكون أكثر الممتحنين من الأساتذة الأجانب المتستشرقين فصمم وزير المعارف إذ ذاك على رفض هذا الطلب وكان هذا أيضاً تدخلا في شئون الجامعة لا مبرر له فلم يتم امتحاني..... وبعد ذلك أريد أن يمنح غيري الأستاذية من غير دكتوراه وأحرم أنا لموقفي السابقة في المحافظ على استقلال الجامعة لطلبت أن تؤلف لجنة لبحث مؤلفاتي فاختيرت لذلك لجنة من الأساتذة المستشرقين الدكتور شاده والدكتور برجستراسر فقرا فجر الاسلام وضحاها وقدما تقريراً باستحقاق الأستاذية على هذه الكتابين ولكن وزارة المعارف أخفت هذا التقرير لأنه مخالف لما كانت تأمل ، فطلبت من العميد أن يطلب التقرير من الوزارة فمأطلت ثم بعثته وعطلت أثره في مجلس الجامعة ولم أحصل على الأستاذية إلا بعد عناء وبعد أن هدأت النفوس وبعد أن قدمت استقالتي لأنني لم أعامل معاملة زملائي"⁽⁵⁾

(1) حياتي ص 22

(2) قاموس الأدب العربي الحديث ص 36

(3) حياتي ص 34

(4) المصدر نفسه ص 282

(5) حياتي 244-245

وفي سنة 1948 حصل على الجائزة الأولى للأدب عن مؤلفه (ظهر الاسلام)⁽¹⁾ ثم عين أستاذا غير متفرغ بالكلية عام 1949 وظل يمارس نشاطه العلمي والعمل في ميدان الثقافة حتى وفاته 1954م⁽²⁾
ب. مساهمته في الأدب العربي:

لقد قام أحمد أمين بمساهمة فعالة في إثراء الأدب العربي من خلال جهوده في لجنة التأليف والترجمة ومن خلال تأليفه عدة كتب في موضوعات مختلفة يقول الأستاذ فاخوري:

"عالج أحمد أمين الأدب والفكر الفلسفي والتاريخ والاجتماع والقضاء وحقق ونشر مع جماعة من رجال الفكر عددا كبيرا من الكتب المشهورة وكان من بين الذين وجهوا حركة التأليف والنشر في العالم العربي عامة وفي مصر خاصة وفتحوا للناس فتحا جديدا في البحث التحليل بأسلوب منظم رصين هادئ، وبتفكري منطقي وحرية تفكير واستقلال وسعة أفق"⁽³⁾ وبالتالي سوف نلقي ضوءا على جهوده الجبارة من خلال المباحث التالية:

أولا: لجنة التأليف والترجمة والنشر:

لقد قام أحمد أمين مع بعض الشبان المخرجين في مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الحقوق بتأسيس لجنة التأليف والترجمة والنشر في عام 1914م⁽⁴⁾ وقد كان أحمد أمين رئيسا ومشرفا لها طول حياته يقول أحمد أمين في كتابه "ولبثت طول هذه المدة رئيسا للجنة يعاد انتخابي فيها رئيسا لها كل عام"⁽⁵⁾ ويضيف قائلا:

"شغلت هذه اللجنة جزءا كبيرا من حياتي ، فكنت أذهب إليها كل يوم أدير شؤونها وأطله على مشاكلها وأقرأ بريدها أوؤشر على ما يلزم في هذا البريد ولم ينقطع ترددي عنها كثيرا إلا بعد مرضي"⁽⁶⁾

وبمناسبة انتخابه للمرة العشرين أقيمت حفلة كبيرة لتكريمه في مطعم «سان جيمس» حضرها لفيف من العلماء، والأدباء، منهم الشيخ محمد مصطفى المراغي «شيخ الجامع الأزهر» وعبدالعزیز فهمي

(1) المصدر نفسه ص 282

(2) قاموس الأدب العربي الحديث ، ص 37

(3) الجامع في تاريخ الأدب العربي ص 307-308

(4) حياتي ص 165 ، قاموس الأدب العربي الحديث ص 37

(5) المصدر نفسه ص 165.

(6) المصدر نفسه ص 166

باشا وأحمد لطفي السيد ومحمد كرد علي (وزير سوري ورئيس المجمع العلمي بدمشق) وطه حسين، وحسن حسني عبدالوهاب (أحد كبار علماء تونس) (ود. محمد حسين هيكل، وليثمان (مستشرق) وفيشير (مستشرق) وعبدالرحمن عزام (أول أمين لجامعة الدول العربية فيما بعد) وعبدالقادر حمزة (صاحب جريدة البلاغ) ود. أحمد زكي ومحمود فهمي النقراشي وعبدالرازق السنهوري (وزير) وغيرهم.⁽¹⁾

وقد لبعت هذه اللجنة دورا رياديا مهما في نشر التراث العربي من خلال الإصدارات الفكرية والثقافية والعلمية الهامة في مجال التأليف والترجمة وقد نشر منها كما يقول أحمد أمين "أكثر من مائتي كتاب"⁽²⁾

الف. مجلة الرسالة:

لقد أشارك أحمد أمين مع أحمد حسن الزيات وبعض أصدقائه الآخرين من لجنة التأليف والترجمة والنشر في إخراج مجلة "الرسالة" عام 1933م وكان يكتب فيها كل أسبوع مقالة تغلب عليها الصبغة الاجتماعية والنزعة الإصلاحية⁽³⁾

ب. مجلة الثقافة

لقد أنشأ أحمد أمين في ذي الحجة 1357 هـ / يناير 1939م⁽⁴⁾ مجلة في لجنة التأليف والترجمة والنشر باسم "الثقافة"⁽⁵⁾ وكانت أسبوعية⁽⁶⁾ وكان رئيسا لتحريرها⁽⁷⁾ واستمرت نحو أربعة عشر عاما حيث توقفت عام 1935م وذلك لتكبتها من خسائر⁽⁸⁾ وكان أحمد أمين يكتب فيها كل أسبوع مقالا حول الموضوعات الأدبية والاجتماعية جمعت فيما بعد في كتابه فيض خاطر.⁽⁹⁾

ثانيا: أهم مؤلفاته وكتبه:

من الكتب المهمة التي ألفها أحمد أمين هي كالتالي:

1. الموسوعة الإسلامية ("فجر الاسلام" و"ضحى الاسلام" و"ظهر الاسلام" و"يوم الاسلام")

⁽¹⁾ انظر مقالا للأستاذ أحمد حسين الطماوي في موقع مضرس للبحث

⁽²⁾ المصدر نفسه ص 166

⁽³⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 37

⁽⁴⁾ موسوعة وكي بيديا

⁽⁵⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 37

⁽⁶⁾ المرجع نفسه ص 37

⁽⁷⁾ المرجع نفسه ص 37

⁽⁸⁾ حياتي ص 165

⁽⁹⁾ قاموس الأدب العربي الحديث ص 37

لقد نشر أحمد أمين موسوعته الإسلامية التي سماها بفجر الإسلام وضحي الإسلام وظهر الإسلام ويوم الإسلام والتي أولها فجر الإسلام وقد أكمل كتابته في عام 1928م وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب نحو أول سنة 1929م⁽¹⁾ وقد قدم لها الدكتور طه حسين.⁽²⁾

يتحدث أحمد أمين عن سبب تأليف موسوعته الإسلامية وأنه كيف تنبى هذا المشروع فيقول إنه لما دخل كلية الآداب مدرسا رأى الأساتذة أنهم يعدون بحثا في مواضيع مختلفة فختار هو موضوع نشأة فكرة المعاجم اللغوية وتطورها في العصور العربية المختلفة يقول أحمد أمين بعد ذكر هذه الفكرة: "وكان ذلك تمهيدا لمشروع واسع في البحث وضعناه نحن الثلاثة الدكتور طه حسين والاستاذ عبد الحميد العبادي وأنا ، خلاصته أن ندرس الحياة الإسلامية من نواحيها الثلاث في العصور المتعاقبة من أول ظهور الإسلام فيختص الدكتور طه بالحياة الأدبية والأستاذ العبادي بالحياة التاريخية وأختص أنا بالحياة العقلية فأخذت أحضر الجزء الأول الذي سمي بعد "فجر الإسلام" وصرفت فيه ما يقرب من سنتين فرسمت منهجه ورتبت موضوعاته وكنت إذا وصلت إلى موضوع أجمع مظاهره في الكتب وأقرأ فيها ما كتب على الموضوع أمعن النظر ثم أكتبه مستدلا بالنصوص التي عثرت عليها حتى أفرغ منه وأنتقل إلى الموضوع الذي بعده وهكذا⁽³⁾

هذا الجزء من الكتاب يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية و يحتوي على سبعة أبواب وفصول عديدة الباب الأول يتعلق بالعرب في الجاهلية والثاني حول الإسلام ، والثالث حول الفرس وأثرهم والرابع حول التأثير اليوناني والروماني والخامس في الحركة العلمية في القرن الأول الهجري ومراكزها والسادس حول الحركة الدينية والسابع حول الفرق الدينية.

أما ضحي الإسلام فهو يحتوي على ثلاثة أجزاء وقد ألف على طراز فجر الإسلام ويبحث في الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة في العصر العباسي وقد قدم لذلك أيضا الدكتور طه حسين يقول أحمد أمين:

"عنيت بحقى الإسلام المائة سنة الأولى للعصر العباسي (132-232) أعني إلى خلافة

⁽¹⁾ انظر مقدمة الطبعة الثانية لكتاب فجر الإسلام

⁽²⁾ انظر ص د من كتاب فجر الإسلام

⁽³⁾ حياتي ص 202

الواثق بالله ... وقد رتبته أبواباً أربعة الباب الأول منها في الحياة الاجتماعي في ذلك العصر واجتزأت منها بما له اثر قوي في العلم والفن والباب الثاني في الثقافات المختلفة دينية وغير دينية والباب الثالث في الحركات العلمية ومعاهد العلم وحرية الفكر ومزايا البلدان في تلك الحركات والباب الرابع في المذاهب الدينية وتاريخ حياتها وأشهر رجالها وأهم أحداثها⁽¹⁾

يتحدث أحمد أمين عن سبب تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء فيقول:

"وكنيت أحزر أن سيكون حجمه حجم "فجر الإسلام" فلما شرعت في تأليفه اتسع علي موضوعه وغمرتني مناحيه وواجهت مسائل لم تكن خطرت لي فتركت البحث على سجيته والقول على طبيعته فإذا هوا ضعف فجر الإسلام أو يزيد فاضطرت أن أجعله جزءين في كل قسم بابان⁽²⁾

أما ظهر الإسلام فهو يحتوي على أربعة أجزاء تناول فيها المؤلف الحركات الاجتماعية والأدبية والفرق الدينية التي ظهرت في العصر العباسي الثاني كما تناول في الجزء الثاني من هذا الكتاب تاريخ العلوم والفنون والآداب في القرن الرابع الهجري الثالث تناول فيه الحياة العقلية في الأندلس منذ أن فتحتها المسلمون إلى أن أخرجوا منها والأخير من هذا الكتاب يناقش المذاهب والعقائد الإسلامية وتطورها وصراعتها ومستقبلها.⁽³⁾

أما "يوم الإسلام" فهو يحتوي على جزء واحد فقط يتحدث أحمد أمين حول تسميته بيوم الإسلام فيقول:

"وأخيراً اقترح علي أن أسميه اسماً يتناسب مع فجر الإسلام وضحاها ففكرت طويلاً ثم سميته "يوم الإسلام" لاشتماله على الإسلام أصوله وعوارضه في عصوره المختلفة إلى اليوم وأهم غرض منه شيان الأول أن نتيين منه الإسلام في جوهره وأصله وكيف كان والثاني أن كثيراً من زعماء المسلمين أتعبوا أنفسهم في بيان أسباب ضعف المسلمين فرأيت أن خير وسيلة لمعرفة أسباب هذا الشغف الرجوع إلى التاريخ فهو الذي يبين لنا ما حدث مما سبب ضعفه وبذلك نضع أيدينا على الأسباب الحقيقية حتى

(¹) انظر ضحى الاسلام ص ب - ج

(²) انظر ضحى الاسلام ص ج

(³) انظر كتاب ظهر الاسلام بأجزائها المختلفة

يمكن من يريد الإصلاح كيف يصلح" ⁽¹⁾ وقد نشر هذا الكتاب من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة. يقول الدكتور طه حسين عن هذه الموسوعة العلمية "لقد أهدى أحمد أمين إلى العالم الحديث بتأليف فجر الغسلام وضحاها وظهره كنزا من أقوم الكنوز وأعظمها حظا من الغنى وأقدرها على البقاء ومطاولة الزمان والأصراح" ⁽²⁾

يقول محمود تيمور "اقرأ كتابه فجر الإسلام وصنويه الضحى والظهر تلمح خلف مظاهر البحث والدرس لوامح الروح الاصيلية التي تميط الغبار عن معالم الفكر العربي وتترك الضوء من مصابيح" ⁽³⁾ يقول احمد حسن الزيات: "حسب أحمد أمين أنه حلل الحياة العقلية للعرب والمسلمين في كتبه فجر الإسلام وضحاها وظهره ، تحليل لا يتهيا مثله لأحد من قلله وستظل هذه الكتب الخالدة شاهدة على لاجهد الذي لم يكل ، والعقل الذي لم يضل والبصيرة التي نفذت إلى الحق من حجب صفيقة واهتدت إليه في مسالك متشعبة" ⁽⁴⁾

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق حول هذه الموسوعة الإسلامية: "وهذه السلسلة هي في الواقع أول محاولة علمية أصيلة جادة في بحث الحركة العقلية في الحياة الإسلامية منذ صدر الإسلام حتي نهاية القرن الرابع الهجري فهي تدل فيما تدل على سعة اطلاع المؤلف وعمق تكفيره وإلمامه الشامل بكل ما له اتصال لموضوع من مراجع المتبة العربية وكتب المستشرقين والمنهاج العلمي القويم الذي اعتمده في التأليف ، هذا بالإضافة إلى الطريقة المثلى التي اتبعها في معالجة الموضوع ومناقشة الظواهر العقلية من وجهة نظره الخاصة التي تتسم بحرية الفكر وسلامة المنطق وشمول النظرة واستقصاء عناصر الموضوع وبراعة التلخيص والتعليق" ⁽⁵⁾

2. النقد الأدبي:

هذا الكتاب في جزأين الأول منهما في أصول النقد ومبادئه والثاني منهما في تاريخه عند الإفرنج والعرب وقد نشر لأول مرة في عام 1962 م من مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ⁽⁶⁾ يقول أحمد أمين

⁽¹⁾ انظر مقدمة الكتاب

⁽²⁾ حياتي ص 299

⁽³⁾ حياتي ص 300

⁽⁴⁾ المصدر نفسه ص 300

⁽⁵⁾ انظر مقدمة كتاب حياتي ص 28

⁽⁶⁾ انظر غلاف الكتاب

عن سبب تأليف هذا الكتاب:

"عهد إلي تدريس البلاغة في كلية الآداب من جامعة فؤاد الأول حول سنة 1926م فاشتقت إذ ذاك أن أعرف ما كتبه الفرنج وما كتبه العرب في هذا الموضوع، واستفدت فوائد كثيرة من هذه المقارنة، ثم انتقلت بعد ذلك مما يكتبه علماء الإفرنج والعرب عن البلاغة إلى موضوع النقد الأدبي فبحثت عن كتب في هذا الموضوع إنجليزية فأعجبني الموضوع وكنت قد قرأت طبقات الشعراء لابن سلام وطبقات الشعراء لابن قتيبة والصناعتين لأبي هلال العسكري ونقد الشعر ونقد النثر لقدامية والمثل السائر لابن الأثير والموازنة بين أبي تمام والبحري للآمدي والوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني وعرفت طريقة هذه الكتب كلها فلما قرأت كتب النقد الإنجليزية رأيت فيها محاولة كبيرة لتحويل النقد إلى علم منظم له قواعد وأصول على حين أن الكتب العربية التي ذكرتها لم تؤصل الأصول وإنما كانت لمحات خاطفة في النقد لا تروي الغليل فاقترحت أن يدرس علم النقد في كلية الآداب على أن يطبق ذلك على الأدب العربي وبدأت بذلك. وسيرى القارئ أثناء الكتاب أن من رأينا أن هذه القواعد تنطبق على الأدب العربي كما تنطبق على الأدب الغربي وأتينا بحجج على ذلك فكان هذا الدرس على هذا الموضوع أول درس في مصر في النقد الأدبي على النمط الحديث فيما أعلم"⁽¹⁾

3. فيض خاطر:

أما كتاب فيض خاطر فهو عبارة عن مقالات لأحمد أمين نشر بعضها في مجلة "الرسالة" وبعضها في مجلة "الهلال" وبعضها لم ينشر في هذه ولا تلك، استحسن أحمد أمين جمعها في هذا الكتاب الذي سماه فيض خاطر. وهو يحتوي على عشرة أجزاء.

4. زعماء الإصلاح في العصر الحديث:

يتضمن هذا الكتاب سيرة بعض المصلحين والمحدثين في العالم العربي والإسلامي وهم "محمد عبد الوهاب، مدحت باشا، السيد جمال الإفغاني، السيد أحمد خان، السيد أمير على، خير الدين باشا التونسي، على باشا، عبد الله نديم، السيد عبد الرحمن الكواكبي، الشيخ محمد عبده.

5. حياتي

هذا الكتاب عبارة عن سيرته الذاتية التي نشرت في عام 1950م يقول أحمد أمين: "نبئت عندي

(¹) انظر مقدمة الكتاب

فكرة تاريخ حياتي منذ أول عهد شبابي فقد رأيتني أدون مزارات يومية عن رحلاتي وعن حياتي في الأسرة أيام زواجي، ووجدتني أسجل في المفكرات السنوية أهم أحداث السنة وما يسوء منها وما يسر ولكن لم يكن كل ذلك عملاً منظماً متواصلاً بل كان يحدث في فترات منتقطة ثم نمت الفكرة وشغلت بالي في العام الماضي فكنت أعصر ذاكرتي لاستقطر منها ما اختزنته منذ أيام طفولتي إلى شيخوختي وكلما ذكرت حادثة دونتها في إيجاز ومن غير ترتيب فلما فرغت من ذلك ضممته إلى مذكراتي اليومية ثم عمدت في الأشهر القريبة إلى ترتيبه وكتابته من جديد على النحو الذي يراه القارئ من غير تصنع ولا تألق⁽¹⁾

6. إلى ولدي

يقول أحمد أمين: "طلبت إلى مجلة الهلال في آخر سنة 949م أن أكتب لها سلسلة من مقالات بعنوان "رسالة إلى ولدي" تنشر خلال عام 1950م فأتممتها اثنتي عشرة مقالة في كل شهر مقالة وجهت فيها نصائحي ونتائج تجاربي إلى ولدي وصادف أن كان لي ابن يتم تعليمه في إنجلترا فاستحضرت في ذهني عند كتابتها"⁽²⁾ وقد نشرت لأول مرة في عام 1051م.

7. قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية:

جمع المؤلف في هذا الكتاب فيه عددا هائلا من العادات و التقاليد المصرية في المأكل والملبس والشرب والعلاقات الاجتماعية، يقول عن سبب تأليفه لهذا الكتاب:

"في نحو سنة 1938م طلب مني أن أكتب سلسلة مقالات في مجلة الإذاعة فاحترت في اختيار موضوع تتعاقب مقالاته وبعد ذلك هداني تفكيري إلى أن أكتب سلسلة مقالات في العادات والتقاليد المصرية بعنوان دائرة المعارف المصرية أرتها حسب حروف الهجاء فبدأت بحرف الألف وبدأت من حرف الألف بالإبرة أذكر على الأخص عقائد المصريين فيها والأمثال التي قيلت فيها واستمررت على ذلك نحو أربع عشرة مقالة ولما ينته حرف الألف ثم شاء القدر أن أختار عميدا لكلية الآداب سنة 1939م فنصحني بعضهم ألا أستمّر في هذه المقالات لأنها تتنافى مع جلال العمادة مع أنها كانت في اعتقادي أجل من عميد ... ومضت السنون وتركت العمادة وأخيرا في نحو سنة 1948م سألتني سائل هل كتبت في مجموع مقالاتك هذه شيئا عن أبي علي وأم علي وما معناهما؟ فأجبته وهاجني ذلك إلى أن أتم ما بدأت فأخذت أجمع

(1) حياتي ص 50

(2) مقدمة كتاب إلى ولدي

الماضي أكمله واشتغرف من ذلك نحو أربع سنين⁽¹⁾

8. هارون الرشيد

يقول أحمد أمين عن هذا الكتاب الممتع : طلب إلي أن أضع كتابا عن هارون الرشيد، فاغتبطت بهذا الطلب لأنني أحبه⁽²⁾ فأعد أحمد أمين هذا الكتاب ونشره وقد تحدث فيه عن حياته وخلافته ونهايته⁽³⁾

كما ترجم أحمد أمين كتابا مرجعيا بالاشتراك مع زكي نجيب محمود بعنوان "قصة الفلسفة في العالم" وآخر بعنوان "قصة الأدب في العالم".⁽⁴⁾

وله كتب وتاليفات أخرى ألفها ونشرها منها حيي بن يقظان ، الشرق والغرب ، من زعماء الإصلاح، الصعلكة والفتوة في الإسلام، المهدي والمهدوية، ابتسم للحياة، حرب الشر، كما شارك في تأليف عدة كتب منها قصة الفلسفة اليونانية وقصة الفلسفة الحديثة في جزأين وقصة الأدب في العالم في أربعة أجزاء، المنتخب من الأدب العربي، المفصل في الأدب العربي، المطالعة التوجيهية وغيرها من الكتب وكذلك شارك في نشر كل من كتاب : كتاب الإمتاع والمؤانسة، ديوان الحماسة والعقد الفريد والهوامل والشوامل.

يتضح من خلال هذه السطور المتعلقة أن حياة أحمد أمين كانت مليئة بنشاطات علمية وقد أثرى المكتبة العربية بجهوده المخلصة بعيدا عن كل الثناء والعجب ولذلك نراه أنه مظلوم من هذه الناحية حيث لم يلق من العناية والكتابة عنه في الصحف والمجلات ما ناله كثير من معاصريه لأن ولاءه كان للعلم وليس للناس ويكفي له أنه قدم للمكتبة الإسلامية سلسلته الإسلامية التي تعد موسوعة كبيرة ضخمة أصبحت مرجع كل طالب ومرشد كل باحث ومنارة يهتدى بها الناظر في التاريخ الإسلامي وحضارته على حد تعبير الأستاذ أحمد فؤاد الأهواني.

(1) انظر مقدمة الكتاب

(2) انظر مقدمة الكتاب

(3) انظر فهرس الكتاب

(4) انظر قاموس الأدب العربي الحديث ص 37

المصادر والمراجع

- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان، ط 13، 1998م
- إلى ولدي، تاليف أحمد أمين، الطبعة الأولى، ملتزم ان2 لطبع والنشر ، مطبعة الآداب ومطبعتها، القاهرة
- الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري، دار الجيل بيروت لبنان ، ط 1 986م
- حياتي لأحمد أمين، تقديم عبد العزيز عتيق، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان، سبتمبر 1406/1985م
- زعماء الإصلاح ، تاليف أحمد أمين ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012م
- ضحى الاسلام ، تاليف أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة
- ظهر الاسلام تاليف أحمد أمين، شركة نوابغ الفكر، الطبعة الأولى 2009م
- فجر الاسلام ، تاليف أحمد أمين، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة العاشرة
- قاموس الأدب العربي الحديث ، إعداد وتحرير الدكتور حمدي السكوت، دار الشروق
- قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ترجمة إلى العربية أحمد أمين، كلمات عربية للترجمة والنشر ، 2013م
- هارون الرشيد تاليف أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة 2012م
- النقد الأدبي تاليف أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1952م
- موسوعة وكبيديا
- مدونة المعرفة

الشيخ أحمد سرهندي (مجدد ألف ثاني)

الدكتورة تسمية محي¹

هو محي السنة ومميت البدعة، ومربي السالكين العارف بمداخل الوهن على الطالبين الإمام أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين السرهندي.

ولد الإمام أحمد بن عبد الأحد الفاروقيا لسرهندي بمدينة سرهند ببلاد الهند ليلة الجمعة في 14 شوال من سنة 971 هـ وتوفي رحمه الله تعالى سنة 1034 هـ ، وأخذ أكثر العلوم والطريقة الجيشتية عن أبيه واستفاد بعض العلوم العقلية عن الشيخ كمال الدين الكشميري وأسند الحديث من الشيخ يعقوب الصرفي الكشميري، ثم تناول الحديث عن القاضي بهلول وللشيخ أحمد إجازة برواية الكتب الحديثية وغيرها عن القاضي المذكور. ولما فرغ من تحصيل ما تيسر له من العلوم الظاهرة وكان إذ ذاك ابن سبع عشرة اشغل بالتدريس والتصنيف. ومما صنفه في تلك الأيام رسالة في اثبات النبوة. وبعد تاده توفيق من الله إلى الشيخ رضي الدين وجلس على مسند الارشاد، وأخذ في الدرس والارشاد والافادة. وكان يدرس في علوم شتى من الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث والتصوف. وله مكتوبات في ثلاثة مجلدات، وهي الجج القواطع على تجره في العلوم الشرعية، وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان لمن ليس لهم درك في مقامات العرفان فشُدوا النطاق في خصامه وسعوا إلى جهانكير سلطان الهند فأمر باصفار الشيخ ورضي بجوابه، فعرضوا عليه أن الشيخ ما سجد للسلطان تكبيراً فغضب عليه السلطان وجسه في قلعة كواليار. وكان شاهجهان مخلصاً للشيخ فارسل إليه أفضل خان والمفتي عبد الرحمن بدليل أن سجدة التحية تجوز للسلطين. فلم يقبل الشيخ هند الدليل فلبث في السجن ثلاث سنين وحفظ القرآن في تلك الحالة. ثم أخرجه السلطان من السجن عسكره بشرط أن يقيم في عنكره يدور معه، فاقام الشيخ في معسكرة ثماني سنوات، وبعد وفاة السلطان رخصه ولده شاهجهان المذكور. فعاد إلى سرهند وصرف عمره بالدرس والافادة.

ومن ألفاظه القدسية ما قاله في معارف الصوفية:

"اعلم أن معارفهم وعلومهم في نهاية سيرهم وسلوكهم إنما هي علوم الشرعية لا أنها علوم آخر غير علوم الشرعية، نعم تظهر في أثناء الطريق علوم ومعارف كثيرة ولكن لا بد من العبور عنها، ففي نهاية النهاية علوم العلماء وهي علوم الشريعة، والفرق بينهم وبين العلماء تلك العلوم بالنسبة إلى العلماء نظرية واستدلالية، وبالنسبة إليه كشفية وضرورية".

¹الأستاذة المشاركة بقسم العربية بكلية بيمنه الحكومية

ومن مصنفاته:

"الرسالة التهليلية" ورسالة في المبدأ والمعاد، وله رسالة في المكاشفات الغيبية، وتعليقات على عوارف المعارف للسهروري، ومكتوبات في ثلاث مجلدات. وفي كل ذلك كشف القناع عن وجوه الحقائق والمعارف مما لم تيسر لا حد قبله.

قال الشيخ محسن في "اليانع الجني" ولقد بلغه الله سبحانه من الولاية منزلة لا يرام فوقها. فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين في بلاد وخراسان وما وراء النهر من بلاد الترك والتتر إلى أقصى ثغر بالمشرق ثم أرض العراق والجزيرة وبلاد الحجاز والشام واقسطنطينية وما والاها إلا وقد نمت فيها طريقته وجرى على السنة أهلها ذكره". وقد انكر الشيخ وجود بدعة حسنة وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلق القول فقال: كل بدعة ضلالة، فلا يستثنى من هذا الإطلاق بدعته وله سائل قوية واضحة في الإنكار على أعمال شركية وتقاليد وعادات تسربت في مسلمي الهند عن أهل البلاد الوثنيين. وفي هذا مقاومة الإمام السرهندي رحمه الله لثورة الملك أكبر، على الإسلام وقضاء الإمام السرهندي على خطر الردة العقائدية والحضارية على بلاد الهند والشعب المسلم، وأسلوبه الحكيم في هذه المقاومة، ونجاحه المنقطع النظير في إبقاء هذا القطر والأمة على الإسلام وعقيدته وشعائره، ونجاحه في جهوده حتى خلف الملك أكبر ابنه الملك جهانكير كان أحسن منه حالاً وأسلم ديانة وعقيدة وخلفه شاهجهان وكان أقوى ديانة وأكثر صلاحاً وخلفه الملك عالمكير أسلم ديانة وصلاحاً أيضاً، والفضل في كل ذلك يرجع بعد توفيق الله وامره إلى جهود الشيخ السرهندي رحمه الله.

قال مولانا عبد الحكيم سيالكوتي، "كان للسرهندي رحمه الله عالماً ربانياً، عارفاً بالعلوم الشرعية والمعارف الإلهية، زاهداً قنوعاً عفيفاً دينياً، ملازماً لأنواع المغير والعلوم. قويافى دينه، جيد التفقه، كثير الصدقات والإيثار في حضره وسفره مع فقره وقلة ذات يده بصدق وإخلاص وتوجه وعرفان قانعاً باليسير قد غشه، نور الإيمان وسيماء الصالحين".

وبالجملة فانه درس وأفتى وصنف، وشرح الكتب ونقل معانيها من العربية إلى الفارسية، وكشف عن إشارات الباهرة ولطائفها الزاهرة بالعبرة الجليلة المشرق عليها نور الازن الرباني، وللائيج عليها أثر القبول الرحماني. وكلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها وهي حقيقة بذلك، وفي عباراته قوة وفصاحة وسلاسة، تعشقها الأسماع وتلتذذها القلوب.

قال محمد صالح:

"كان الشيخ السرهندي من أهل التفنن في الفضائل واللغات مقدما في المعارف متكلماً في أنواعها، ثاقب الذهن في تميز الصواب منها، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة

ولين الكنف والعلم والتواضع والشجاعة والكرم. وله علو الهمة مالا يمكن وصفه مع المعرفة للأدب ومطالعة كتبه، والإشراف على كتب التاريخ، والتزاهة والصيانة والميل إلى معالي الأمور". وقال الشيخ عبد القادر:

"كان الشيخ السرهندي رحمة الله رجلاً صالحاً اماماً علامة، غاية في التحقيق وجودة الفكر والتدقيق، كان قانعاً عفيفاً ولكن الله سبحانه رزقه الملكة الراسخة في كل علم وذهناً وقادراً وفكراً نقاداً فتيسر له معسرات العلوم".

قال السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي:

"واجه الشيخ أحمد السرهندي أكبر فتنة في تاريخ الهند الإسلامية، التي نشأت بانحراف الإمبراطور "أكبر" وعدائه السافر للإسلام ومخالفته، واختلاقه ديناً جديداً كان طورياً جديداً للدين الهندوسي، لإرضاء الأميرات الهندوكيات، بتأثير علماء السوء. وقد قضى الشيخ السرهندي شبابه في آخر عهد الإمبراطور أكبر في السجن على قول كلمة الحق ومعارضته لسياسة الإلحاد، واحتمل الأذى".¹

المراجع والمصادر

1. الرسالة المحمدية: الشيخ أحمد السرهندي
2. الفتوحات المكية: الشيخ ابن عربي
3. فصوص الحكم: الشيخ ابن عربي
4. رجال الفكر والدعوة: الشيخ أحمد السرهندي
5. حجة الله البالغ: الشيخ ولي الله الدهلوي
6. رسالة الانصاف: الشيخ ولي الله الدهلوي
7. كشف الغطاء: الشيخ عبد الحكيم سيالكوتي
8. مكتوبات في ثلاث مجلدات: الشيخ أحمد السرهندي
9. المنتخب: الشيخ عبد القادر البديوني
10. سواطع الالهام: الشيخ أبو الفيض فيضي
11. خلاصة الأثر: الشيخ فضل الله المحي
12. الأعلام: الشيخ عبد الحي الحسني

¹ الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، ص 56

المرأة تحت مظلة الإسلام

الدكتورة نور أفشاش¹

المدخل:

إن المرأة زهرة البيت وروحه بل زهرة المجتمع وروحه، وهي نصف الأمة ثمّ تلد لنا نصف الآخر فهي الأمة بأسرها، تتمثل لنا في صورة رائعة مختلفة في مختلف مراحل حياتها من الابنة والاخت والزوجة وفوق ذلك هي الأمّ، فهي المدرسة بل هي المعهد بل هي الجامعة التي تربي الأجيال أفضل تربية. فمن هنا تأتي أهمية وضرورة العناية بالمرأة. بل وإعطاءها الأولوية في ذلك على الرجل فالمرأة على هذا الأساس عماد المجتمع. كرمها سبحانه وتعالى بهذه الصفة، فلها دور فعال في جميع ميادين الحياة، كأنها درة ثمينة أخرجها أليم إلى الساحل ليستضي بها الكائنات. فلها فضل كبير في بناء العمران فهي نصف المجتمع بل هي بأصهرها، فهي شريكة الرجل في رحلة الحياة، وهي الأمّ والمربية والمعلمة، وهي لواء الوطنية، وهي شريكة بناء التنمية وتحقيق الطموح والآمال.

فالمرأة كالأجيال الراسيات ولو أنها خلقت ضعيفة في الهيئة والبنية ولكنها صاحبة قوة في الإرادة والعزم ومتوكل على نفسها، وهي تعد محدثة للثورة، ومربية لجيل وقتها، ومرشدة للنشء الجديد، كأنها قطرة من البحر وإن لم تكن بحراً، وكأنها قطعة من الجبل وإن لم تكن جبلاً، وتعمل القطعة ما لا يعمل الجبل فالمرأة العربية قدمت أمثلة رائعة ونماذج عملية في صور شتى وأشكال مختلفة في جميع مجالات الحياة. فإن المرأة العربية متميزة بتأثيرها كل مجال من مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية حتى العسكرية.

مكانة المرأة عند الأمم والشعوب:

قبل أن نتكلم عن مكانة المرأة تحت مظلة الإسلام يجدر بنا أن نتكلم قليلاً عن مكانة المرأة عند الأمم والشعوب والأديان الأخرى المشهورة قبل الإسلام بحيث تتمكن من المقارنة تبينهما لأن الأشياء تبين بأضدادها. فلو تصفحنا أوراق التاريخ القديم وتأملنا وفحصنا الحقائق وجدنا كلها صفحات سوداء عن حياة المرأة فنجد بأنها عاشت طوال العصور القديمة الغابرة مظلومة وحقيرة.

والمرأة في الحضارة اليونانية تعد مخلوق نجس، وكانت محتقرة مهينة حتى سموها رجسنا من

¹ المحاضرة المتعقدة بقسم اللغة العربية، جامعة كشمير

عمل الشيطان¹.

ويقول فيلسوفهم سقراط عن المرأة:

"إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانحيار في العالم، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلاً ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالاً"².
ونؤيد رأينا بقول "الأستاذ عباس محمود العقاد" فهو يتحدث لنا عن مكانة المرأة عند اليونان:
"فالليونان على وفرة نصيهم من الفلسفة والفن لم يرتفعوا بالمرأة إلى منزلة أعلى من منزلة الخادمة أو مدبرة البيت على أحسن الحالات، وكانوا يسكنون الزوجات في الحجرات تقل فيها النوافذ ويندر الخروج منها إلى الأسواق والمحافل، ويؤثر الرجال مصاحبة الغانيات الأجنيات اللاتي عرفن باسم الهيتير (hetairse) على مصاحبة زوجاتهما الشرعيات، ولكنهم كانوا يجلون المرأة الكاهنة كما يجلون المرأة الساحرة، ولعله إجلال الرهبة من عالم ما رواء الطبيعة وليس بإجلال المرأة ذاتها وهي تزاوّل السحر أو الكهانة، وعلى الرغم من مذهب أفلاطون في واجبات المرأة العسكرية والسياسية ظل النساء اليونانيات معزولات عن الحياة العامة وبحكم العرف وحكم الشريعة"³.

أما الحضارة الصينية فكانت تعتبر المرأة علامة نجس وعنوان شقاء يحرم عليها الخروج من منزلها أو النظر في وجه إنسان⁴.

فالحضارات السومرية والآشورية والبابلية في بلاد ما بين النهرين كانت لا تقيم وزناً للمرأة ولا تعطى لأمرها أي اعتبار بل إن قانون "حمو رابي" كان يحملها إثم ما لم تفعله وكان الرجل لا يتقل بالمرأة⁵.
أما الرومان فقد اعتبروا المرأة حيواناً نجساً يحرم علينا دخول المعابد ولذلك فهي ليست مؤهلة لدخول الجنة. واعتبروا أنوثتها سبباً من أسباب انعدام أهليتها في نظر القانون⁶.

1. المرأة عبر التاريخ، لمونيكا بيتر، ص: 59

2. "المرأة في الحضارة الإغريقية، بقلم عبد الرحمن جاسم المصدر والدراسات الاستراتيجية المعهد العربي للبحوث.

3. مركز المرأة في العصور القديمة، عقاد، ص: 473

4. المرأة عبر التاريخ، لمونيكا بيتر، ص: 45

5. تاريخ الحضارات العام، المجلد الأول، ص: 205

6. المرأة عبر التاريخ، لمونيكا بيتر، ص: 47

أمّا في شريعة حمورابي فقد كانت المرات تحسب في عداد الماشية المملوكة، حتى ان من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها.¹

بينما المرأة في الحضارة الفارسية فقد كان المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلقة يحق له أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة.

أمّا عند الهنود فإن لم يكن للمرأة في شريعة مانو حق في الاستقلال عن أبها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم مات زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود.²

اليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وقد جاء في التوراة: "المرأة أمر من الموت، وإن الصالح امام الله ينجو منها".³

فهذه لمحة خاطفة عن حالة المرأة ومكانتها عند الأمم والأديان الأخرى المشهورة، كما يشهد بذلك ما جاء في دائرة المعارف البريطانية 1984م.

الترجمة عن الانجليزية: "بلغت مكانة المرأة من الانحطاط انها صارت كعبد يربي الأولاد ويكون مسئولا عن حملهم وتربيتهم، وقيدت الزوجات بين جدران بيوتهن، كانت النساء محرومات من التعليم، بل لم يذقن حقاً في الحياة، وكان أزواجهن يعتبرونهن من البيت فحسب".⁴

مكانة المرأة في صدر الإسلام:

تعرفنا ممنا سبق أن المرأة كانت تعيش عيشا حرجا، حتى يشك الناس في الحضارات العالمية في كونها إنسانا قبل الإسلام إلى أن جاء الإسلام وشمسه أشرقت على المرأة. وأعلن أن المرأة هي إنسان وأن النساء والرجال من جنس واحد ولاقوام للإنسانية إلا بهما ولها شهادات رائعة منها قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

1. المرأة بين الفقه والقانون، تاليف: الدكتور مصطفى السباعي، ص: 18

2. المصدر السابق، ص: 18

3. المصدر السابق، ص: 19

4. دوائر المعارف بريطانيا، 1974م.

عَلِيمٌ خَبِيرٌ¹.

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً².

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا³.

فعد الإسلام المرأة نعمة عظيمة ونعمة نظيفة ينبغي أن يحمد الرجال ربهم عليها.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً⁴.

وقدر لها حقا مساويا للرجل في مضمار الحياة حتى بعد الحياة الدنيوية كما عبر عنه القرآن الكريم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ⁵.

لا شك أن الإسلام قد رفع من شأن المرأة إلى درجة لم تكن تعلم بها من قبل ولم تصل إليها في جوهر الإسلام. فقد لعب الإسلام دورا رائعا وقام بخطوة شديدة في رفع مكانة المرأة وإعادة حقوقها إلى سلبها منها الأمم والأديان الأخرى.

وحافظ الإسلام المرأة من أصناف الشرور التي كانت تقاسمها في عهد الجاهلية، وأحاطها بسياسات قوي من الحقوق الاجتماعية وبذلك ارتفع شأن نساء العرب وازدادن عزة وكرامة ومن حيث الحقوق ساوى الإسلام بين المرأة والرجل أمام القانون وفي الأمور الجوهرية، جعل لها حقا في المال والميراث ومنحها حق التصرف فيما تملك بحرية واستقلال، وجعل إذهنها شرطا في صحة زواجها، فأنقذها الإسلام من الجهل والظلم واعد لها حقوق الزوجية كاملة، واشركها النبي في مسؤولية الحياة بقوله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" وحض الإسلام على احترام المرأة وتبجيلها وحمايتها فمنع واد البنات بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ⁶.

1. سورة الحجرات: 13

2. سورة النساء: 1

3. سورة الاعراف: 189

4. سورة الروم: 21

5. سورة النحل: 97

6. سور الانعام: 151

وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾¹.

وورد في تقديم الأم على الأب، أن أعرابيا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال أبوك².

وحق الإسلام على الرفق بالزوجة ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾³.

فإن كان الدين قد قدم الرجل على المرأة فلم يكن ذلك عن احتقار لشأنها أو استهانة بمكانتها، بل لأن الرجال حملوا عباء مادية كثيرة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁴.

والرجل والمرأة يستويان في الشرف الإنساني، مشتركين في الكرامة، ومستحقين للحقوق الإنسانية على مستوى واحد وذكرهما الله تعالى متساويين في موضع، ذكرهما معا، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁵.

قال الشيخ محمد رشيد رضا، ما معناه: أن الإصلاح الأكبر الذي جاء به الإسلام، ونزل به القرآن في شأن النساء، هي الآية "وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَّمَنَ بِالْمَعْرُوفِ"⁶. فهذه الآية قد هدمت جميع ما كان من النظريات والدعاوي والعادات والتقاليد التي يستبد بها الرجال الأقوياء ويستعلمون على النساء الضعيفات.

فهذه الآية قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة كالرجل في جميع الحقوق إلا أمراً واحداً، عبر عنه بقوله

1. سورة الانعام: 140

2. رياض الصالحين، ص: 144 (سنة 1351هـ)

3. سورة النساء: 19

4. سورة النساء: 34

5. سورة الأحزاب: 35

6. سورة البقرة: 228

تعالى في سورة البقرة الآية 288 "وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ" وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى في سورة النساء آية 34 "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ" واستطرد قائلا: خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات، كما خاطب الرجال، وبايع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم المؤمنات كما بايع المؤمنين، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم، وأجمعت الأمة على ما مضى به الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على أعمالهن في الدنيا والآخرة.

"كما ذكر الله رضاه عن الذين بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان يوم الحديبية فقال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" وقال: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"¹. ذكر بيعة الرجال هذه كما ذكر بيعة النساء في قوله: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِمِثْتَانٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"².

فالإسلام في الواقع لم يظلم المرأة، بل رفع مكانتها، زادها عزة وكرامة، ومكنها بمختلف الحقوق على أداء واجباتها كاملة نحو الأسرة والمجتمع، فظلت أسماء النساء وسيرهنه تتردد في أفق الحياة العامة روحا من الزمن، وهناك في تاريخ البعثة النبوية الشريعة أمثلة كثيرة برزت فيها مواهب المرأة المسلمة، من حيث العقل والرأى والتدبير والشجاعة والكرم والعلم والحكم، ومن نساء فجر الإسلام الشهيرات السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم الأولى التي كانت تزاوّل التجارة، ويرجع الفضل الأكبر إليها في شد أزّر الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل، والسيدة عائشة وكانت تفقه الناس في الدين، والخنساء وكانت تشد الشعر في حضرة الرسول فيطلب منه المزيد.

ولا ننسى دور السيدات الفاضلات في تحمل الاعباء والمسؤوليات والمشاركة في جميع نواحي الحياة كالسيدة سمية أم عمار أول شهيدة في الإسلام، أسماء بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين، وفاطمة الزهراء زوجة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات العفاف والطهارة وغيرهن في هذا المضممار كثير، وقد شاركت في الدعوة والهجرة والابتلاء والرأى والغزو والعلم وحفظ

¹. سورة الفتح، الآيات، 10 و 18

². سورة الممتحنة: 12

القرآن والأحاديث والاجتهاد.

ونرى هناك بعض النساء المثقفات الآتي كن يعقدن المجالس العلمية والأدبية ويتسابقن فيها مع الشعراء والأدباء المعاصرين وكن يتبادلن الآراء والأفكار معهم وينتقدن كلامهم وهناك نذكر بالتخصيص سكينه بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وزينب بنت موسى جمحية لهن صيت في الأدب العربي.¹ وهناك بعض الشهيرات في الشجاعة نخص منهن بالذكر: أم عطية وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازينة والخنساء وغيرها.²

وهكذا نرى بأن المرأة المسلمة لها دوراً فعالاً ومساهمة علمية وثقافية في جميع ميادين الحياة. وهناك عدة أسماء لامعات من النساء الشهيرات المثقفات في التاريخ الإسلامي، فنذكر هنا بالتفصيل خديجة بنت خويلد.

خديجة بنت خويلد:

هي أول زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وأم أولاده وخيرة نسائه، وأول من آمن به وصدقته. أسماها خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى من قريش³ ولدت ولدت سنة 68 قبل الهجرة من بيت مجد وسوءدد ورياسة فنشأت على التخلق بالأخلاق الحميدة واتصفت بالحزم والعقل والعفة حتى دعاها قومها في الجاهلية الطاهرة.⁴

تزوجت مرتين قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم باثنين من سادات العرب هما: أبو هالة بن زارة بن التميمي، وأما الثاني فهو عتيق بن عائذ بن عمر بن مخزوم.⁵

ولها حظاً وافراً من التجارة. ولها مكانة مرموقة ومنزلة عالية في الثروة والجاه. وكانت تاجرة ذات مال تستاجر الرجال في مالها وتدفع لهم المال مضاربة.

كما قول أبي طالب لابن أخيه صلى الله عليه وسلم أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكورة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في

¹. تاريخ آداب اللغة العربية، لجرحي زيدان، ج1، ص: 35

². المرأة في حضارة العرب، محمد جميل بيهيم، ص: 17

³. الأعلام لخير الدين الزركلي، المجلد الثاني، ص: 302

⁴. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 326

⁵. الأعلام لخير الدين الزركلي، المجلد الثاني، ص: 302

مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لها يبلغها عنك من طهارتك¹.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا من الذين تعاملوا معها حيث أرسلته إلى الشام بصحبة غلامها ميسرة. ولما عاد أخبرها الغلام بما راه من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أمانته وطهره، وما أجراه الله على يديه من البركة، حتى تضاعف ربح تجارتها، فرغبت به زوجا.

"فقالت له: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقربتك ولسلطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها. فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن اسد فخطبها إليه. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولها من العمر أربعون سنة ولرسول الله خمس وعشرين سنة².

فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت وولدت له صلى الله عليه وسلم القامس وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة³.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمد صلى الله عليه وسلم⁴.

وهي أول من أسلم من الرجال والنساء. وكانت لخديجة منزلة خاصة في قلب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي عاقلة جليلة، دينية، مصونة، كريمة.

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. فذكرها يوما من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيرا منها فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيرا منها. آمنت بي إذ كفر الناس وصدقني إذ كذبني الناس، وواستني في مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها أولادا إذ حرمني النساء. قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبدا⁵.

وتوفيت خديجة أم المؤمنين سنة 3 قبل الهجرة بمكة ولها من العمر خمس وستين سنة. وعند

1. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 326

2. الأعلام النساء، لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 327

3. المصدر السابق، ص: 328

4. المصدر السابق، ص: 328

5. الأعلام النساء، لعمر رضا كحالة، ص: 330-331

دفنها نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها وأدخلها القبر بيده في الحجون. فكانت وفاتها مصيبة عظيمة تبعها مصائب وكوارث تحملها النبي صلى الله عليه وسلم برباطة جأش وصبر على المكروه ورضاء من الحق عز وجل¹.

السيدة عائشة بنت أبي بكر:

هي السيدة الفاضلة الكريمة أم المؤمنين رضي الله عنها عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة، وأمها أم رومان عمر بن عامر بن همان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة².

أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالأدب والدين، ومحدثات عصرها وناطقة في الذكاء والفهم والفقه والبيان، قد جمعت بين علم القرآن والحديث والفقه والأحكام كما جمعت بين التاريخ والأدب والطب. فكان يرجع إليها الصحابة الأجلاء في كثير من أمور العلم والدين والشريعة. ويسألونها المسائل ويرجعون رأيها. وكانت لها خطوة باللغة في نشر تعليم القرآن والإسلام والسنة.

وروى عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال خذوا دينكم عن هذه الحميراء³. وقال الزهري: لو جمع علم عائشة بعلم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وجميع النساء كان علم عائشة أكثر وفي رواية: أفضل⁴.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن عائشة كنت وحيدة بعصرها في ثلاثة علوم علم الفقه وعلم الطب وعلم الشعر⁵.

وروت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر بن الخطاب وفاطمة الزهراء وسعد بن أبي وقاص وحمزة بن عمرو الأسلمي وجذامة بنت وهب (2210) حديثاً أخرج لها منها في الصحيحين 297 والمتفق عليه منها 174 حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثاً ومسلم بتسعة وستين حديثاً.

1. المصدر السابق، ص: 331

2. الأعلام لخير الدين الزركلي، المجلد الثالث، ص: 240

3. موسوعة حياة الصحابييات لمحمد سعيد، ص: 564

4. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الثالث، ص: 105

5. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الثالث، ص: 105

وبذلك يمكننا أن نعد عائشة من رواة الحديث المكثرين. فتأتى بعد أبي هريرة الذي روى (5394) حديثاً¹. كانت السيدة فصيحة اللسان، بليغة المقال، وقال موسى بن طلحة: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة².

وقال معاوية: والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح من عائشة³.

وقال ابن أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر فما رايت متكلماً ومتكلمة قبليها ولا بعدها أبلغ منها⁴. كان بيت عائشة مدرسة تأتيا النساء يتعلمن منها أمورهن في الدين، ويتفق الكثير أن يعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن جوابهن حياء. فيوكلها بالتفسير والإسهاب حيث يغر الفهم على سائلاته اللواتي يستقصين من السؤال.

وبالجملة لا نغالي إذا قلنا على ضوء ما تقدم لن السيدة عائشة كبيرة عالمات الدنيا. فلا تزال شخصيتها العلمية والأدبية أعظم قدوة لنساء إلى الأبد والأمصار.

تماضر بنت عمرو (الخنساء):

شاعرة شهيرة وصحابية جلييلة قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم.

أسلمت في السنة الثامنة للهجرة⁵ (629-630) يقول فؤاد افرام البستاني في اسلامها لقد أدركت الخنساء الإسلام، فجاهدت في سبيل الدين، وتفوقت في عالم الأدب والشعر وكان الرسول يرتاح إلى سماع اشعارها ويستزيد منها⁶.

وبعد مجيء الإسلام وفدت الخنساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها وأنشدته من شعرها فأعجب بشعرها وهو يقول: هيه يا خناس⁷.

وقيل لجريير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء وقيل: لم فضلتك؟ قال: لقولها:

1. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الثالث، ص: 105

2. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الثالث، (أخرجه الترمذي، وقال حسن صحيح)، ص: 105

3. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الثالث، ص: 466

4. كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج2، ص: 15

5. الروائع: الخنساء، منتخبات شعرية، بقلم فؤاد افرام البستاني، ص: 466

6. المصدر السابق، ص: 466

7. أعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 360-361

"إن الزمان وما يفنى له عجب
أبقى لنا ذنبا واستأصل الرأس
إن الجديدين في طویل اختلافها
لا يفسدان ولكن يفسد الناس"¹

وقال حسان بن ثابت: جئت نابغة بن ذبيان فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنجه
فأنشدته فقال: إنك لشاعر وإن أخت بني سليم لبكاءة².

وسأل عبد الملك بن مروان أي نساء الجاهلية أشعر؟ فقال الشعبي: الخنساء، فقال له عبد
الملك فضلتها على غيرها؟ قال لقولها:

"وقائلة والناس قد فات خطوها
لتدركه يالهدف نفسي على صخر
ألا ثكلت أم الذين غدوا به
إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر"³

قيل إن عمر بن الخطاب سألها: ما أقرح مآقي عينيك قالت بكائي على السادات من مضر. قال يا
خنساء إنهم في النار. قالت: ذاك الطول بعولي عليهم. أني كنت أبكي لهم من الثار وأنا اليومن أبكي لهم من
النار⁴. وقالت:

يهين النفوس وهون النفوس
غداة الكريمة بقی لها⁵

وكان للخنساء أربعة بنين. فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بينها الأربعة وحرضتهم على
القتال ولضرة الإسلام فحاضوا معركة القادسية واستشهدوا جميعا فلما بلغها الخبر بشهادتهم لم تزد
على أن قالت: "الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجوا من ربي أن يجمعني به في مستقر الرحمة"⁶.

1. المصدر السابق، ص: 360-361

2. المصدر السابق، ص: 361

3. الأعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 362

4. المصدر السابق، ص: 368

5. المصدر السابق، ص: 370

6. الخنساء، شاعرة بين سليم للدكتور محمد جابر عبد العال العيني، ص: 89

دل على معرفه وجهه
 بورك هذا هاديا من دليل
 تحسبه غضبان من عزة
 ذلك منه خلق ما يحول
 ويلمه مسعر حرب إذا
 القى فيها وعليه الشليل¹

ثم انصرفت إلى البادية، إلى مضارب قومها بني سليم وأنهكتها الأيام والأعوام وما لبث أن فارقت
 الحياة مع مطلع خلافة عثمان بن عفان سنة 24هـ / 646م.²

(للمقالة صلة إن شاء الله)

المراجع و المصادر

- | | |
|---|----------------------------------|
| القرآن الكريم : سورة النساء و سورة الأحزاب و سورة البقرة و سورة الفتح | المراة عبر التاريخ |
| لمونيك بيتر، | المراة في الحضارة الإغريقية |
| عبد الرحمن جاسم المصدر والدراسات الاستراتيجية المعهد العربي للبحوث. | مركز المراة في العصور القديمة |
| عباس محمود العقاد | المراة بين الفقه والقانون |
| الدكتور مصطفى السباعي | تاريخ آداب اللغة العربية |
| جرجي زيدان | المراة في حضارة العرب |
| محمد جميل بهم، | الأعلام (المجلد الثاني) |
| لخير الدين الزركلي | أعلام النساء (الجزء الأول) |
| عمر رضا كحالة | موسوعة حياة الصحابيات |
| محمد سعيد | كتاب الأغاني |
| لأبي الفرج الأصبهاني، | الروائع: الخنساء، منتخبات شعرية، |
| فواد افرام البستاني | الخنساء، شاعرة بني سليم |
| الدكتور محمد جابر عبد العال العيني | |

¹. الأعلام النساء لعمر رضا كحالة، الجزء الأول، ص: 370

². الخنساء، شاعرة بني سليم للدكتور محمد جابر عبد العال العيني، ص: 89

مساهمة شعراء المهجر في المديح النبوي

دراسة تحليلية

دكتور رياض أحمد الندوي¹

الملخص:

المديح النبوي شعر ديني يتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام وبتعداد أوصافه وأخلاقه وهجرته وغزواته وحياته كلها، وهذا النوع من الشعر شعر صادق خالص لا يشوبه رياء ولا غرض دنيوي، بدأ منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم اتسع نطاقه في العصر الإسلامي والعباسي، وتطور في عصر الدول والإمارات، وأصبح فنا ناضجا في العصر الحديث حيث ساهم كثير من الشعراء في المديح النبوي حتى نرى عددا كبيرا من الشعراء المسيحيين المهجريين يشيدون بالنبي الأكرم صلى الله عليه وسلم داعيين العرب إلى التسامح والتآخي والمودة، وكلما كتبوا قصائد في المناسبات الدينية أو في الشرق ذكروا فيها الإسلام وصاحبه عليه السلام، وبعض الشعراء المهجريين اعتقدوا بوحدة الأديان فعلى هذا نظروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم نظرة إجلال وتكريم، وكثير من الشعراء المهجريين أرادوا أن يرجع العرب إلى أصلهم وإلى مجدهم القديم، وتمنوا أن تستنهض الأمة الإسلامية وترجع عصور الإسلام اللامعة من جديد.

الكلمات الدلالية: المديح النبوي، الشعر، المهجر، شعراء المهجر.

المدخل:

المديح النبوي نوع من أنواع الشعر ولون من ألوان التعبير عن العوطف الدينية والمديح النبوي حسب قول الدكتور زكي مبارك: "فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص"¹. وهو الشعر الذي ينظمه الشعراء في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، معددين صفاته الخلقية والخلقية، وواصفين الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذاكرين لمختلف معجزاته المعنوية والمادية، ومتحدثين سيرته وأحداثها المختلفة، ومتبعين لغزواته وحروبه. وقد يبرز الشاعر المادح تقصيره في أداء واجباته الدينية، ويذكر ذنوبه وزلاته مناجياً الله بصدق وخوف، مستعطفاً إياه، وطالباً منه الشفاعة عند الله يوم القيامة. "يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم"². والمديح النبوي يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولاً فالسنة النبوية ثانياً كما يتمثل في كتب التفسير التي فصلت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتفصيلاً كبيراً.

بدأ المديح النبوي منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونشأ في أحضان الإسلام فتوجه الصحابة إلى صاحبه

¹ الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، الكلية الحكومية، بدرواه.

بالمُدح والثناء، فأخذوا يعبرون عن عواطفهم تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم ويدافعون عن النبي الكريم وعن الإسلام فمنهم حسان بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم أجمعين. ثم تابع الشعراء في العصر الأموي والعباسي ما بدأه الشعراء الصحابة، واتسع هذا الفن شيئاً ما في بداية العصر العباسي فنجد شعراء يمدحون النبي الكريم وآله خاصة فمنهم الفرزدق وكميت ومهيار الديلمي والشريف الرضي. وقد زاد الإقبال على المديح النبوي في العصر الدول والإمارات وازدهر هذا الفن وصار غرضاً مهماً واستوى على سوقه وحقق وجوداً متميزاً في بيئة المتصوفة، ويعد البوصيري أستاذاً لهذا الفن بلا منازع، وكانت البردة نموذجاً كاملاً لما كانت عليه العصور السابقة. ومن مطلعها:

قلبت بردة البوصيري الموازين والمعايير، وأثرت في المدائح النبوية تأثيراً عميقاً، وكانت البردة خير نموذج يحتذيه الشعراء ويسيروا على منهجه ويقلدوه تقليداً واضحاً.

وقد حقق شعر المديح النبوي تطوراً ملحوظاً في العصر الحديث حتى أصبح فناً كاملاً أصيلاً، تسابق فيه كثير من الشعراء فجعلوا يتناولون صوراً من حياته وصفاته في أشعارهم ويبرزون خصائصه وميزاته ويتأسون به في قيمه الروحية ومثله العليا فمن أشهرهم محمود سامي البارودي، أحمد شوقي وأحمد محرم وغيرهم.

بواعث المديح النبوي في الشعر المهجر:

انتشر المديح النبوي انتشاراً كبيراً في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، ولم يخل عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة ولا أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب من مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ النبهاني: "إعلم أنّ مدّاح النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر ومصر كثيرون لا يحصّهم عد ولا يحيط بهم مد، ولو جمعت مدائح أهل عصر واحد منهم لبلغت عدة مجلدات"⁴.

وقد أشاد الشعراء بالمديح النبوي في العصر الحديث حسب مؤهلاتهم العلمية وحسب بيئتهم الدينية وقلما نجد شاعراً إلا ولج في هذا الباب، حتى نرى عدداً ملحوظاً من الشعراء المهجريين أنشدوا قصائد تفوح حبا وحنانا ومودة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم يشيدون فيها بالإسلام الذي يتسم بالحب والإخاء والتسامح والمودة، ويمدحون رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويدعون العرب والمسلمين إلى جمع صفوفهم والابتعاد عن التفريق والشتات، ويستحثونهم فيها لاستعادة أمجادهم القديمة ويحرضونهم على النهوض من غفوتهم ويوقظونهم من السبات العميق داعيين إلى التآخي والتسامح بين المسلمين والمسيحيين حتى ينهض الشرق ويعتلي، فجاء مديح هؤلاء الشعراء صادقا لا يشوبه غرض ولا يخالطه رياء فتأثروا بشخصية الرسول الكريم لأنه يجسد الإنسانية في قوله وفعله وحروبه وحياته، وهؤلاء كانوا عرباً يعرفون الإسلام بأنه دين الرحمة والسلامة. يحضّ على السماحة والأخوة ويأمر بالتراحم والتآخي مع الآخر ويدعو إلى التعامل معه بلطف وإحسان، وكذلك يدعو الإسلام أتباعه إلى الرفق والأناة والعفو والإحسان والألفة والأمانة، والقرآن يدعو إلى التسامح وحسن الرفق مع الآخرين قائلا: "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم"⁵. معنى التسامح هنا التعامل مع الآخر على أسس العدالة والمساواة بصرف النظر عن أفكاره وهذا ما يتجلى عندما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة ودخل مكة منتصراً فعفا عن المشركين

وقال: "لا تثريب عليكم اليوم"⁶ اذهبوا أنتم الطلقاء".

مساهمة الشعراء المهجريين في المديح النبوي:

وقد سبق أن ذكرنا أن الشعراء والأدباء المهجريين تعرفوا على الإسلام وصاحبه صلى الله عليه وسلم وتأثروا كثيرا بالقرآن الكريم، وكان البعض منهم يقرؤون القرآن ويرتلونه ويقتبسون منه ويستشهدون في شعرهم بآيات القرآن، وينظمون الأبيات والقصائد في الأعياد الدينية والمفاخر الإسلامية كما نرى شاعر المهجر الجنوبي رشيد سليم الخوري (1887م - 1984م) الذي اشتهر بالشاعر القروي يتأثر بالأسلوب القرآني وبالثقافة الإسلامية حتى نراه يستشهد من آيات القرآن بعد قراءته سورة القمر وينظم القصيدة ويقول منها:

يا نكسن اقتربت السا	عنة وانشق القمر
أعرضت عن آياتنا	وقلنت سحر مسـتمـر

وقد صاغ الشاعر القروي قصيدة بعنوان "عيد البرية" يستحث فيها المسلمين لاستعادة مجدهم القديم الالامع، ويقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاماته وحبه، داعيا إلى التحاب والتآخي بين المسلمين والنصارى خدمة لأوطانهم والشرق كله، ويتمنى الشاعر أن يعود عهد مجد المسلمين في بغداد وأنلدس فيعبر عن عواطفه قائلا:

يا فاتح الأرض ميدانا لدولته	صارت بلادك ميدانا لكل قوي
يا قوم هذا مسيحي يذكركم	لا يُنهضُ الشرقُ حُبنا الأخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرمته	فبلغوه سلام الشاعر القروي
يا حبذا عهد بغداد وأنلدس	عهد بروحي أفندي وذوي
من كان في ريبة من ضخم دولته	فيتل ما في تواريخ الشعوب روي

وللشاعر القروي قصيدة باسم "ونحن أعطينا القلم" التي ألقاها في عيد المولد النبوي سنة 1920م يفتخر فيها بعظمة الإسلام والعروبة وتنتشي روحه مجدا ويقول: كنا نسود الشعوب ونمد الأمم عندما كان الغرب يتخبط في الظلام والحيرة.

نحن الألي سُدنا الشعوب	ونحن من مَدنا الأمم
طلع الهدى من شرقنا	والغرب يتخبط في الظلام

ومن الشعراء المهجريين الشاعر الدمشقي المهجري جورج صيدح (1893م - 1978م) كتب قصيدة رائعة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان "حراء يثرب" يستنهض فيه همم الأمة الإسلامية مذكرا إياها بما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهمة والحمية والغيرة والأنفة حتى إنه ليقتبس آية من سورة الرحمن، ويتحدث عن ليلة الإسراء ويمتزج بقضية القدس التي تطأها أقدام شنيعة فيطلب منه أن يجدد العز والفخر، ويحرر

القدس الشريف من دنس الصهاينة، ثم يُظهر أسفه الشديد على حال العرب وذلمهم قائلا:

يا من سرّيت على البراق	وجُزت أشواط العنان
أن الأوان لأن تجدد	ليليلة المعراج أن
أنبت الـذي علمتهم	دفع المهانة بالسنان
ونذرت للشهداء جنا	تخيبرات حسان
يا صاحبي! بأيّ آلا	ء النبي تكذبان 10

وفي هذه القصيدة يمدح جورج صيدح النبي صلى الله عليه وسلم ويعد أوصافه وخصائله ويشيد بمحاسنه السامية ومنجزاته النبيلة، ويختتم القصيدة بأدعية يتمنى فيها أن يبارك الرسول الكريم جهاد المؤمنين النافرين إلى الطعان ويعينهم على الظالمين، ويصون فلسطين من أذى أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن الشعراء المهجريين المجيدين الشاعر جورج سلسي المسيحي اللبناني (1909م-1968م) يناجي الرسول عليه الصلاة والسلام بقصيدة عنوانها "الرسول الأعظم" يشيد بالقرآن الكريم، وبعظمة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وأخلاقه العالية وأوصافه السامية، ويتشفع به إلى الله أن يتدارك العرب الذين استضعفهم أعدائهم، وفي نهاية القصيدة يعتذر عن تقصيره في الوفاء بشعره وكلماته القاصرة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، إذ هو صاحب البيان ومالك ناصية جوامع الكلم وأفصح من نطق بالضاد، ومنها يقول:

أقبلت كال فجر وضاح الأساوير	يفيض وجهك بالنعماء والنور
فرحت والليل ليل الكفر معتكر	تفرى بهديك أسداف الـدياجير
بوركت أرضا تبث الطهر تربتها	كالطيب بثته أفواه القوارير
يا سيدي يا رسول الله معذرة	إذا كفا فيك تبياني وتعبيري
فاشفع فإنك أدني المرسلين إلى	الباري فنسلم من ذل وتعبير 11

وكان الشعراء المسيحيون العرب في المهجر الأمريكي يختلفون مع إخوانهم المسلمين بذكرى الميلاد النبوي في شهر ربيع الأول من كل عام ومن أشهر هؤلاء الشعراء الشاعر إلياس فرحات (1893م-1976م) يحيي مولد النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في قصيدته "يا رسول الله" ويشير إلى أنه جاء سراجاً منيراً ليخرج الأعراب الجفاة من حمأة البداوة والجفاء، ويتطالب بأن يتعرف الناس على الإسلام ليتعرف معالم الدين، ثم يستصرخ ناعياً التضليل الذي ترتكس فيه الأمة الإسلامية في أسلوب ممتع جذاب، فيقول:

كوكب لم تدرك الشمس علوه
ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
فتحت في مكة للنور كوه
عرف البحر ولم يجهل طموه 12

غمر الأرض بأنوار النبوة
لم يكد يلمع حتى أصبحت
بينما الكون ظلام دامس
من رأى الأعراب في وثبتهم

ومن أبرز شعراء المهجر إلياس قنصل (1914م-1981م) يمدح الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، ويشيد بأوصافه الغراء في قصيدة النبي العربي ويعدد خصائله ومناقبه، وفي الأخير يعترف بعجزه في تعداد مكارم خير البرية، ويتحسر على عصور الإسلام الزاهية وقيادته العظيمة. ومنها يقول:

روح الأخوة في بني الإنسان
ليذيع منها أشرف الألحان
شرف أعد النجم في إمكاني؟
تاريخ مجد طائل نوراني 13

إنّي ذكرتك يا محمد ناشراً
يعلو بلال العبد أشرف قبة
ماذا أعدد من مناقب كلها
كانت حياتك كل ثانية لها

نجد الشاعر المهجري نصر سمعان (1905م-1967م) في حفلة أقيمت بمناسبة المولد النبوي يشيد بذكرى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويشبه الرسول بكوكب ويقول: إن الله شاهد بأن كلنا أصبحنا أتباعه في سبيل الحق والرشد ويشكو الشاعر تراجع الأمة الإسلامية عن ماضيها الباهر، وفي أثناءها يشكو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من تقاعس أمته في حاضرها، ومنها يقول:

م تجلى على الوجود شعاعه
حق والمجد كلنا أتباعه
أضاعوا ما وقفت عليه جهدك 14

كوكب رحب الوجود به يو
شهد الله أننا في سبيل الـ
أعيذك أن تكون رسول قوم

ومن الشعراء المهجرين الشاعر السوري ميشال المغربي (1901م-1977م) نظم قصائد عديدة في المناسبات الدينية ونراه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويوضح فضل الإسلام على العرب ويرجع الشرق على الغرب لأنه مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم خير البرايا ومولى العرب والعجم، ومنها يقول:

بخير دين يضُم الدهر سمرده
ولا رواها جمال أنت موره
فالشرق يكفيه ما أعطى مجده 15

يا من طلعت على الفصحى وأمتها
الضاد لولاك ما كانت مخلدة
إن كان للعرب عرفان وفلسفة

والشاعر المهجري اللبناني رياض معلوف (1912م-1982م) يشارك إخوانه المسلمين في الاحتفال بذكرى

المولد النبوي، ويعدّ خصائل الرسول الأكرم السامية وأوصافه العالية في قصيدة له بعنوان "وحد الله"، ومنها يقول:

وحد الله فـالمؤذن وحد	وبذكر النبي في العيد أنشد
يا رسول الأنعام أنت وعيسى	خير من يـصطفى ويرجى ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب	لنبي هو النبي محمد ¹⁶

إن هؤلاء الشعراء المهجرين تأثروا بالثقافة الإسلامية واحتموها واعتزوا بها لأنها ثقافة ذات قيم إنسانية ولأنهم وجدوا فيها روح العروبة وأمجادها، حتى أن بعضهم اعتنق الإسلام عن قلب صادق وترك المسيحية، فآمن أبو الفضل الوليد (إلياس عبد الله) (1886م - 1941م) ووقف نفسه للدفاع عنه ولذلك كان أكثر التفاتاً من بقية شعراء المهجر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته، وقصائده بعنوان "المشرقية والمغربية والمكية والمقدسية والأموية والبغدادية والأندلسية كلها تدل على حبه العميق للرسول صلى الله عليه وسلم، يقول في نهاية قصيدته الأندلسية:

يا أحمد المرتضى والمرتضى أبدا	ألست من سطوات الروم تحمينا
يا أرفع الناس عند الله منزلة	متى نرى السيف مسلولا ليشفيناً ¹⁷

وهو في قصيدته "الصحابية" يتحدث عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه القصيدة تتجاوز مائة بيت وتتناول قضية الوطن العربي الذي ظلّ الشاعر يحمل همه في غربته، ومن هذا المنطلق يصل إلى أمجاد العرب الأوائل وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً:

وكيف أوفي خير من وطئ الثرى	من المدح حقاً والثناء عياء
دعا قومه والناس طرا إلى الهدى	وللأرض منه في الظلام ضياء ¹⁸

ونراه في أكثر القصائد يهتف بعروبته ويحسّ بغربته كما نره يذكر قصة إسلامه في أكثر من قصيدة وفي أكثر من مقالة معتزاً بدينه ومفاخر أرسوله الأعظم مستشفعاً به ومنها يقول:

أعاهد ربي أن أصلي مسلماً	على أحمد المختار من خير أمة
هداني هواها ثم حبب شرعه	إلى فصحت مثل حبي عقيدي
فمن قومه قومي أدين بدينه	لأنني أرى الإسلام روح العروبة
فشرفني بعد العروبة بالهدى	وفضلي بين الورى لقرايتي ¹⁹

ولم يتخلف الشاعر المهجري شكر الله الجر (1898م - 1975م) في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم فله فيه أبيات كثيرة، وهو يعتقد بتساوي الأديان، وأبياته تبين عن سعة نظره في الأديان ووحدتها، يقول فيها:

وأحسب موسى والمسح
سيد القلم الفصيح 20

إنني أحسب مجدا
وأحسب بينهم عليا

وخلاصة القول! أن الشعراء المهجريين يعتقدون أن الرسائل الدينية لا تتناقض في جوهرها، وأنها ما جاءت لتفريق الناس وتمزيقهم وتذليلهم بل لتمزيق الغشاوات التي كانت على أبصارهم وأعينهم فيؤمنون على وحدة الأديان فعلى هذا الأساس كانوا ينظرون إلى النبي الكريم نظرة إجلال وإكبار، فأغلبهم تغنوا بالماضي وشكوا مما آل إليه حال العرب، وحاولوا في استنهاض همم العرب واستحياء مواقف العزة والفخارة في التاريخ، فبدأوا يشيدون بالنبي الكريم الذي حمل لواء الديانة الإسلامية فحطم أوثان الفساد والشر ونقل العرب من غياهب الجهل والضلالة والطغيان إلى جو العلم والعدالة والإنصاف، فتمنّوا أن ترجع تلك العصور اللامعة من جديد، فالنبي صلى الله عليه وسلم أصبح عندهم رمزاً للتعبير عن القضايا القومية، فتفانوا في عروبتهم فعروبتهم قادتهم إلى التسامح الديني والمديح النبوي.

الهوامش والمصادر

- (1) المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الجيل، 1992م، ص/17.
- (2) سورة الشعراء، رقم الآية/ 88-89.
- (3) ديوان البوصيري، ص/135.
- (4) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج/1، ص/15-16.
- (5) سورة فصلت، رقم الآية/34.
- (6) سورة يوسف، رقم الآية/92.
- (7) مكتب التدقيق اللغوي، الشاعر القروي (الأعمال الكاملة) منشورات جروس، لبنان، ص/201.
- (8) نفس المصدر، ص/470.
- (9) نفس المصدر، ص/204.
- (10) الأدب العربي المعاصر في سورية، سامي الكيالي، دار المعارف، مصر، 1968م، ص/276.
- (11) القومية العربية في الشعر العربي الحديث، د/ أحمد محمد الحوفي، دار نهضة، للطبع والنشر، مصر، ص/342-343.
- (12) نفس المصدر، ص/343.
- (13) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة أدب المهجر، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986م، ص/216.
- (14) عيسى الناعوري، أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ص/118.
- (15) عبد الكريم الأشتري، أوراق مهجرية، دار الفكر العربي، بيروت، 2002م، ص/34.
- (16) خيالات رياض معلوف، طبع سان باولو 1945م، مأخوذ من مقالة "الرسول في الأدب العربي الحديث" للدكتور ماهر حسن فهمي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، 1984م.
- (17) ديوان أبو الفضل الوليد، بيروت، لبنان، ص/111.
- (18) نفس المصدر، ص/113.
- (19) راجع إسلامه في كتابه "التسريح والتصریح" (1) بيروت، لبنان، 1934م، ص(1).
- (20) أبو فاضل ربيعه بديع، الفكر الديني في الأدب المهجري، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص/1092.

اللغة العربية في ضوء أقوال العلماء

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم".
(المفصل في أحكام الهجرة 4/135)
- قال الامام الشافعي: "إنَّ من جَهْلٍ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذهبها جَهْلٌ جُمِلَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذهبها، وفَهِمَ ما تأوَّلَه أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبهة الدَّاخلَةُ على من جَهْلٍ لسانها من ذوي الأهواء والبدع". (تهذيب اللغة: الأزهرى 1/ 5)
- قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإنَّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميَّزون". (اقتضاء الصراط المستقيم ص 203)
- وقال أيضا رحمه الله: "معلومٌ أنَّ تعلمَ العربية وتعليمَ العربية فرضٌ على الكفاية، وكان السلف يؤدَّبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمرٌ إيجابٍ أو أمرٌ استحبابٍ أن نحفظ القانون العربي، ونُصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك النَّاس على لحنهم كان نقصاً وعباً". (الفتاوى 32/252)
- يقول الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسرُّ العربية": "إنَّ مَنْ أَحَبَّ الله أَحَبَّ رسوله، ومن أَحَبَّ النَّبي أَحَبَّ العرب، ومَنْ أَحَبَّ العربَ أَحَبَّ اللُّغة العربيَّة التي بها نزلَ أَفْضَلُ الكُتُبِ على أَفْضَلِ العجم والعرب، ومَنْ أَحَبَّ العربيَّةَ عُنِيَ بها وثابَرَ عليها، وصرفَ هِمَّتَهُ إليها".
- يقول الامام البنا في توصياته: "اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى فإنها من شعائر الاسلام".
- قال الفرنسي جاك بيرك: "إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية، وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية". (الفصحى لغة القرآن – أنور الجندى ص 304)